هدية الكتاب

CD موسيقى رعب

رواية

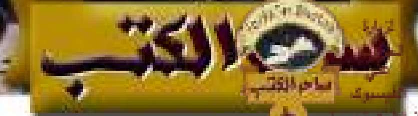
الطبعة الأولي

شقة الهرم

تامر عطوة



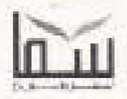
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع



رواية رعب

شقة الهرم

تامر عطوة





العنوان: شقة الهرم

المؤلف: تامر عطوة

إشراف عام: نجلاء قاسم

الناشر



15 ش يوسف الجندي ميدان باب اللوق
أمام مول البستان وسط البلد
تليفون: 24517300 - 01271919100
emil: samanasher@yahoo.com

التوزيع

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة
تليفون: 24518068 - 01099998240
emil: aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف



إخراج داخلي: معتز حسنين

الترقيم الدولي: 978-977-6451-88-9
رقم الإيداع: 20302 / 2014
الطبعة الأولى: يناير 2015


شقة الهرم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾

صدق الله العظيم






ساحر الكتب

كلمة الفنانة إسعاد يونس

«شقة الهرم» حكاية حقيقية.

هكذا قدم تامر عطوة قصته لنا نحن أصدقاءه علي الفيسبوك والذين استمتعنا بأننا أول القراء الذين اطلعوا علي هذا الكتاب، وأشعر بتميزي الخاص عندما أصرّح بأنني كنت من الأوائل حيث راسلني تامر علي بريدي الخاص بأول فصول القصة، أعجبت بطريقة السرد وشدتني الاحداث وأحبطت تردده في نشرها، وبدأ ينشرها تباعا وأعداد القراء تتزايد وتفاعلهم مع الأحداث يتصاعد ومطالبتهم بالمزيد تصخب إلحاحا.

والسر، أن القراء أصيبوا بالرعب الحقيقي من الأحداث وتساءلوا طوال الوقت، أيمكن ان يكون هذا واقعا قد حدث؟؟

تثير «شقة الهرم» لدينا تساؤلات، الخوف من المجهول هل هو غريزة إنسانية طبيعية كما قال قدامي العلماء؟، أم هو ميل فطري كما قال أحدثهم؟

يتنافس العلماء علي دراسة الخوف بينما يتنافس صناع الدراما علي وضعنا أمامه ليطلقوا طاقات دفينة داخلنا تحثنا علي التفكير والمقاومة والتصدي، فالخوف لدي علماء النفس يوجد علي رأس قائمة الانفعالات الأصلية التي تبدأ معنا منذ ولادتنا كمرادف طبيعي





للبحث عن الأمان، فالخوف يعد من المشاعر المهمة فى حياتنا والتي تنشأ من الطاقة بداخلنا، وهذه الطاقة هى أساس قوة الحياة، ولذلك يظل السؤال الحائر.

إذا كنا نشعر بالخوف من القصص المرعبة وكذا الأفلام، فلماذا نعيد القراءة والمشاهدة عدة مرات؟؟، لماذا تفوز بكل هذا الإقبال؟؟، والإجابة تكمن في أنه نوع من العلاج لإخراج طاقة نفسية نشعر بعدها دون ان ندري إننا نمام.

خلاصة القول، «شقة الهرم» ستصيب أطرافك بالبرودة وستشعر أن جليدا تراكم فوق أذنيك ومصارينك حاتكركب، وهو المطوب إثباته.

إترعبوا تصحوا، وإلا ما كان تامر صمد أمام ما تعرض له من أهوال. ولكن المؤكد أن المتعة ستتحقق، بالشفا.

إسعاد يونس






إبــدأ القــراءة



1 لقاء غير مرغوب فيه بالمرة

اليوم الأربعاء وفي إحدى ليالي نوفمبر الباردة عام 1997 وقد استسلمت للنوم مبكرًا -على غير العادة- في شقتي التي استأجرتها حديثًا وكانت المرة الأولى التي أنام فيها قبل آذان الفجر فقد كنت متعبًا ومرهقًا بعد يوم طويل شاقٍّ في عملي المتواضع.

جرس التليفون الأرضي يصرخ بانتظام في الغرفة المجاورة لغرفة نومي أسمعه بعيدًا في أحلامي وأمزجه تلقائيًا مع أحداث نومي العميق.

فأنا أعشق النوم وأحترمه ليس لكسل مني فأنا معروف بالنشاط والإصرار ولكن النوم عندي له مذاق خاص جدًا.

الجرس يدق بإلحاح وتبجح وأنا غير قادر على القيام من فراشي الدافئ لأخرسه.

من عساه يتصل بي في هذه الساعة المتأخرة؟ أيكون أمي؟ أحدث مكروه ما لأحد؟ كل هذه الأفكار تدور في رأسي الناعس وأنا في الحالة المتوسطة بين النوم واليقظة.

أنهض متكاسلاً متأففًا وأتمنى أن يكف المتصل عن إصراره فأنا أريد إكمال وجبة نومي اللذيذة.

وصلت للغرفة الأخرى وقبل أن أمسك سماعة الهاتف توقف عن الرنين وطبعًا لم تكن خدمة إظهار الرقم متوفرة كما الآن.





وقفت في الظلام شاعرًا بحيرة وتساءلت بيني وبين نفسي هل كان المفروض أن أسرع أكثر من هذا للرد؟ لعله تليفون مهم أو طارئ

وطبعًا كنت مازلت ناعسًا فقررت الرجوع للسرير الدافئ لأن الجو بارد بدرجة عجيبة خصوصًا وأن الشقة شبه خالية من الأثاث لأنني - كما قلت لكم - استأجرتها حديثًا لأستقل بحياتي بعيدًا عن أهلي، تراجعت لغرفتي وأنا أسير في الظلام متناسيًا أمر الهاتف اللعين.

آه نسيت أن أصف لكم شقتي فهي واسعة ذات ثلاث غرف وصالة استأجرتها وقتها بمبلغ 300 جنيه وهو مبلغ كبير بالنسبة لتلك الأيام وغرف الشقة كبيرة عدا غرفة هي التي اخترتها لتكون غرفة نومي فهي صغيرة - محندقة - حتى لا أشعر بالبرد فيها.

وفجأة.... تناهى إلى سمعي صوت غامض يأتي من البلكونة المغلقة.

صوت ضعيف لكنه واضح بما يكفي إذ يوجد شخص ما في البلكونة يحاول فتحها من الخارج وخصوصًا أنني أسكن الدور الثاني أول بلكونة.

تجمدت في مكاني وشعرت بخوف وقلق ونظرت عبر الظلام لشيش البلكونة المغلق بإحكام ومن خلفه الباب الزجاجي المغلق.

وعلى الضوء الآتي من الشارع لا ألاحظ أي سلويت أو تكوين لإنسان لكن بالفعل يوجد شخص يحاول الاقتحام الصامت لداري الجديدة كما لو كان يعرف أنني هنا.



والصوت مازال مستمرًا.... يا إلهي ماذا أفعل وقد تنامى الصوت الخافت ليصبح واضحًا لدرجة صادمة.

مددت يدي المرتعشة إلى زر النور في الصالة حيث أقف وسبحت الصالة في الضوء المفاجئ، وتمنيت أن يعرف المتسلل أنني موجود في المنزل ويهرب قبل أن أواجهه.

سكت الصوت بعد إضاءة النور.. انتظرت لدقائق لأطمئن بأن الزائر غير المرغوب فيه قد رحل، تقدمت من البلكونة وقدماي ترتجفان في تقدمهما من الباب وأحدثت أكبر ضوضاء ممكنة وأنا أفتحها حتى أعطيه الفرصة في الهرب.

لا تتهموني بالجبن فأنا وحيد في الشقة شبه الخالية وجديد في المنطقة كلها ولا أعرف ما يحدث فيها وأنها المرة الأولى التي أنام فيها مبكرًا منذ عدة أشهر، فقد اعتدت السهر حتى الساعات الأولى من الصبح أشاهد الفيديو وأدخن الشيشة المعسل الأصم أمام التليفزيون.

وكانت الساعة حوالي الثانية والنصف صباحًا.

مددت يدي وعالجت الباب الزجاجي أولاً محدثًا أكبر قدر من الضوضاء وانتظرت قليلاً ريثما أتيح الفرصة لهذا المتسلل.

ثم عالجت مزلاج الشيش بنفس الضوضاء وبنفس التثاقل.

ثم دفعت الباب الخشبي بهدوء وخوف ووقفت أنتظر أي ردة فعل.





بررررررر البرد يهجم بأشواكه الإبرية لاسعًا جلدة وجهي وقدميّ الحافيتين ويتطاير شعر رأسي الناعم معلنًا أنني في مواجهة هواء الشارع البارد الذي لا يرحم.

لكن لا أحد على الإطلاق، نظرت للأرض المتربة قليلاً بفعل الإهمال لكن لا أثر مطلقًا.

دخلت إلى أرضية البلكونة متوجسًا ونظرت يمينًا ويسارًا لكن لا أحد! فقط بعض الكراكيب المهملة في زاوية البلكونة البعيدة، أقترب من السور لأرى الشارع مكدسًا بالصمت والخواء والريح تجري محركة الأوراق والشجر بكل انفراد على ضوء أعمدة الإضاءة ولكن لا أحد لا بشر أو حتى الكلاب الضالة.

تراجعت بظهري للغرفة مرة أخرى.

أعدت غلق البلكونة بإحكام مرة أخرى وغادرت الغرفة كلها ومشيت إلى آخر الشقة حيث غرفتي الصغيرة لأواصل نومي.

وأطفأت النور في طريقي إلى فراشي الدافئ لأنني لا أحب الضوء أبدًا أثناء نومي ولكنني هذه المرة تركت نور الصالة لإحداث بعض الألفة بيني وبين موجودات الشقة وتفاصيلها.

وعدت لسريري الحبيب المواجه لباب الغرفة وتركت بابها مفتوحًا.

وحاولت النوم مجددًا وتقلبت عدة مرات أسفل غطائي الثقيل حائرًا مما سمعته ولم أره وبعد فترة تثاقلت جفوني رغمًا عني ورحت في النوم مجددًا شاعرًا بتكاسل غير عادي في أطرافي ومتناسيًا ما حدث وكأنه حلم عابر لا معنى له.



خخخ

تررررررررررررررن ترررررررررررررررن

يدق جرس الهاتف مرة أخرى محدثًا صوتًا مفزعًا ومنبهًا لي.

فتحت عيني مرة أخرى أسفل غطائي الدافئ نهضت متأففًا من فراشي وأزحت الغطاء عن جسدي وفيما كنت أنزل من فراشي شعرت بتجمد وبرد غير طبيعي يجتاح جسدي ويهزني رغمًا عني.

وتوجهت مرتعدًا إلى الصالة المضاءة لأسكت هذا الرنين المزعج.

وفي طريقي للهاتف صعقت تمامًا وأنا أنظر للبلكونة في الغرفة الأخرى وقد فتحت على مصراعيها شيئًا وزجاجًا، مع أنني متأكد من إحكامي لغلقها ومن خلال الباب تندفع ريح مسمومة محملة بمعاول إبرية شديدة البرودة.

تمارس عملها الأزلي في تبريد تفاصيل الشقة وبما فيهم أنا شخصيًا.

أنظر بذهول ورعب للبلكونة وكأنني أنظر لفم جهنمي مفتوح يريد التهامي وتدافعت إلى رأسي أسئلة بلا إجابات.

من فتح باب البلكونة؟؟؟؟؟؟؟ وكيف لم أشعر به؟؟ وهل هو الآن موجود معي في الشقة؟؟

تجمدت وأحسست أنني عارٍ تمامًا في مهب الريح الباردة.

وفي الوقت نفسه سكت الهاتف عن الرنين المتواصل ليسود صمت ثقيل له طعم البرد والخوف ذاته.



تراجعت بظهري لغرفتي الصغيرة وقفزت على السرير ولففت نفسي بالغطاء الثقيل وأنا أنتفض بذعر لم أعرفه قبل ذلك.

الصمت الصمت الصمت يقطعه صوت اندفاع الرياح الباردة تجول في شقتي بحرية الاقتحام الإجرامي.

ومن خلال ذلك الصمت المسموم سمعت صوت أقدام ثقيلة تمشي بتثاقل من البلكونة المفتوحة على مصراعيها عابرة الغرفة الواسعة ثم إلى الصالة ثم إلى ..إلى.. إلى غرفتي الصغيرة حيث أتدثر بغطائي مرتجفًا من الرعب.

أقدام حافية تتحرك بـ[illegible] ثم توقفت عن الحركة فجأة لتقف حيث فراشي وحيث أنا

لم أجرؤ أبدًا على رفع ناظري لصاحب هذه الأقدام.

فقط وفي مجال رؤيتي الضيق وعلى الضوء الآتي من الصالة أرى بكل وضوح قدمًا نسائية متورمة بدت رجراجة مشوهة تقف بجانب فراشي في غرفتي الصغيرة.





2 الشقة دي مش مريحة يا تامر



استأجرت الشقة من شخص يدعى جابر، وهو رجل كهل وأب لثلاثة شباب تقريبًا في مثل عمري وقد تعرفت عليه عن طريق سمسار عقارات في شارع الهرم- ذهبت لبيته الكائن في نهاية شارع فيصل وهو بيت كبير مريح وكنت قد شاهدت الشقة مسبقًا مع السمسار دون الحاج جابر نفسه، وعندما وافقت مبدئيًا عليها وسألت عن التفاصيل قال لي السمسار: لا تقلق فالحاج جابر رجل عملي وكريم ولن يمانع في أي تفاصيل تطلبها منه- ولاحظت أن الشقة مهجورة منذ زمن بعيد فالأثاث الموجود بها مغطى بالكامل ويعلو كساءه طبقة كثيفة من الأتربة، فيما يعني أنها مغلقة منذ زمن ليس بالقريب وعندما سألت السمسار جاوبني بأنه لا يعرف الرجل إلا من مدة بسيطة بواسطة الابن الأكبر للحاج جابر وأن الشقة مطروحة للإيجار ولم أبالي وقتها بمعرفة السبب، فقد يكون الرجل عائدًا من سفر قريب، وعرفت أيضًا بالصدفة أن العمارة عبارة عن منزل لعائلة واحدة وأن صاحبة العمارة والتي تقطن الدور الأول هي حماته وجدة أولاده من ناحية الأم.

وعندما نزلت مع السمسار قابلت هذه الجدة وكانت متحفظة لا تنظر أبدًا إلى وجه المتحدث لها- سيدة بيضاء تحمل جمالاً غابرًا وتتشح دائمًا بالسواد المريح مكتنزة الجسد تميل للقصر بيضاء الوجه حليبية اللون يتسم وجهها بالاستدارة المحببة للناظرين تلبس العوينات الطبية الخفيفة لتضفي لمحة تقول إنني على قدر من العلم والثقافة،





وكانت لا تتكلم إلا فيما ندر- وعرفت أيضًا أن أبناءها الرجال يسكنون في الطوابق التي تلي الطابق الكائن به الشقة، وقد أزعجني أن أتواجد في بيت عيلة- كما يقولون- ولكني تناسيت هذه التفصيلة نظرًا لأن الشقة لقطة وإيجارها مناسب جدًا لإمكانياتي.

وذهبت مع السمسار للحاج جابر في بيته البعيد عن المنطقة، فالشقة كانت في أول شارع الهرم في شارع جانبي منه- ذلك الشارع الشهير والذي كان في ذلك سكن وملاذ لكل الجوعى جنسيًا واجتماعيًا وتتميز بقربها من نهر الشارع الأساسي، فالعمارة تقع في شارع جانبي هادئ وتتسم العمارات والفلل فيها بالصمت المريع المحبب بينما الصخب غير بعيد في الشارع الشهير، وبيت الرجل كائن في ترعة المريوطية وهي مسافة بعيدة جدًا- أدخل في حساباتك الازدحام وانعدام الطريق الدائري في ذلك الوقت- دخلت لبيت الرجل ولاحظت أنه على قدر من التدين والوقار يحمل ملامح مصرية وتتلون بشرته بذلك اللون القمحي الضارب إلى السمار المميز لمعظم رجال مصر، يلبس الجلباب الصوف ولا تترك يداه المسبحة وعلامات الصلاة موسومة على صفحة وجهه، ووافق بسهولة على التعاقد لمدة خمس سنوات بدون شروط تأمينية قاسية- ووقعت معه عقد الإيجار بمنتهى الارتياح وسلمني مفتاح الشقة ومفتاح باب العمارة- وعندما هممت بالخروج من عنده استوقفني قائلًا:

- يا أستاذ تامر أنصحك بالاقتصار عن الجيران وخصوصًا حماتي الساكنة في أول دور؛ حيث إنني على خلافات مع الحاجة صاحبة العقار- والتي هي حماته وجدة أولاده- بسبب خلافات عائلية قديمة





بيني وبينها، تشاءمت من كلامه للحظات، حيث إنني أكره وجودي في وسط متوتر، خصوصًا عندما يكون التوتر عائليًا، ولكني استخففت بكلامه في سري فأنا أصلاً لا أحب الاختلاط مع الجيران، وأعتز جدًا بخصوصيتي ووحدتي مع نفسي وأرى أن اختلاطي مع الجيران فيه انتهاك صريح لراحتي المنشودة وانعزالي المحبب، بل أنا أفضلهم من النوع المتحفظ الذي يريد طوال الوقت أن يظهر أمامك وكأنك نسيبه أو زميله في العمل فهذا شعور مريح جدًا لي.

ودعت السمسار وأعطيته حقه وزيادة، ورجعت للشقة الجديدة سعيدًا بالإنجاز الجهنمي وبالعقد اللقطة، واستعنت بامرأة البواب في العمارة المقابلة لتنظف لي الشقة من الأتربة، وترفع الملاءات عن العفش المخزن كيفما اتفق، وذهبت من فوري لأنقل متعلقاتي الشخصية للشقة وأنا في منتهى السعادة بهذا الإنجاز.

وكانت متعلقاتي أيامها مجرد حقيبة متوسطة لملابسي وجهازًا للفيديو كاسيت، وقمت بتفريغ الغرفة الكبيرة من الأساس تمهيدًا لوضع بضائعي التي أتاجر فيها، واستخدمتها كمخزن، فأنا أقوم بطبع وتوزيع شرائط الكاسيت التي كانت وقتها في أوج رواجها، وجدته عملاً يلائم شخصيتي الميالة للفنون بكل أنواعها، فقد كانت الموسيقى والأغاني وقتها عبارة عن وجدان جمعي للناس، فأنت في شوارع بولاق الدكرور تسمع صوت حسن الأسمر وطارق الشيخ، وكأنها موسيقى تصويرية دائمة لمشهد الشوارع هناك، بينما تسمع صوت إيهاب توفيق وحمادة هلال وحكيم مصاحبًا لشوارع المهندسين، وطبعًا تسمع ماريا كاري وويتني هيوستن وباك استريت بويز في مصر الجديدة، والقاسم




المشترك بين كل هذه المناطق هو صوت عمرو دياب الملتاع، نعم هذا العمل يتسم بلمحة فنية ثلاثيني بعد حرماني القدري من دراسة الفنون، وكان عملي يقتصر على توزيع بعض الألبومات الأجنبية مثل اينيجما ومايكل جاكسون وبعض الكوكتيلات التي كانت توزع أكثر من الألبومات نفسها، وكل ذلك بمساعدة صديقي وشريكي في العمل وقتها خالد، وكان أهلي ضدي على طول الخط بسبب هذا العمل مجهول المستقبل، وخصوصًا والدي الذي شن عليَّ حربًا شعواء.

ومرت الشهور وأنا ساكن بهذه الشقة وكانت لي طقوسي وقتها.

كنت في الغالب أعود من عملي في حوالي التاسعة مساءً، وقبل دخول البيت أعرج على نادي فيديو حورس القريب، والذي ضربت فيه صداقة مع صاحبه ليزودني بالأفلام الأجنبية التي أعشقها وكنت زبونًا مميزًا عند هذا الرجل، وكان لا يبخل أبدًا في إعطائي كمية من الأشرطة بأسعار إيجار زهيدة وكلما انتهيت منها أرجعها له ليعطني غيرها على سبيل الاستعارة المدفوعة الأجر وغير المحددة المدة.

قبل ذلك أمر على أي مطعم قريب من شارع فيصل لأشتري عشاءً كيفما أتفق، فمرة الدجاج المشوي مع طبق المكرونة من الانسجام، ومرة أبتاع أرغفة من اللحم - الحواوشي - مع السلطات، وأعود لتلك الشقة محملاً بعشائي وأفلامي وأدخل البيت على الساعة العاشرة والنصف لأنعم بحمام سريع ثم أجلس - أرضًا - في صالة الشقة لأتناول عشائي وأقوم بتشغيل جهاز الفيديو كاسيت ماركة باناسونيك ياباني وكنت خبيرًا في صيانته ومسح الأتربة عن الهيد بورقة النتيجة الرقيقة، وأتابع بشغف لا ينتهي الأفلام المستعارة، وأنا أحتسي الشاي الممزوج





بالحليب وأدخن الشيشة الأص أمام التليفزيون حتى أذان الفجر، فتلك طقوسي أحبها وأعتبرها من تفاصيل شخصيتي، فأنا أجلس على وسادة مريحة أرضًا - شلتة مستطيلة - وبجانبي كل ما أرغب، فالموقد الصغير - وابور شرائط يعمل بالكيروسين أحب رائحته جدًا - واضعه بجواري لصيقًا بالحائط، أجهز عليه الشاي وأشعل عن طريقه فحم الشيشة بل وأسخن طعامي عليه إن لزم الأمر وأنا جالس في مكاني، ولا أعرف حقيقة سبب هذا المزاج، ولكنه شيء مريح جدًّا فقط أجلس وأفعل كل شيء وأنا أتابع أفلامي المفضلة، وكنت قد تعودت النوم بعد الفجر بساعة أو أقل حسب رغبتي للسهر أو للنوم.

ولكنني كنت دائمًا أنام بعد هذا التوقيت - أذان الفجر - دائمًا.

وكنت ألاحظ أشياء ولكني لم أعرها اهتمامًا باعتبارها صدفًا أو تفاصيل غير مهمة ناتجة عن شرودي أو عدم تركيزي، ولكني الآن أتذكرها بعنف شديد.

من هذه الملاحظات كنت عندما أذهب للحمام أجد نفسي في المطبخ أو العكس دائمًا يحدث هذا الخلط وكأنه طبيعي.

نعم - لا تندهشوا - كان هذا يحدث لي بطريقة لا يمكن تفسيرها إلا بالسرحان أو الشرود ليس إلا، وأنا أصلاً مشوش ومتهم بالشرود قليلاً.

وكانت تلك الحوادث تزورني على حين غرة فكانت تحدث بتكرار غير منتظم لذلك أقنعت نفسي أنني بالتأكيد شارد أو سارح.

أدخل الحمام لأغسل يدي مثلاً أو أقضي حاجتي لأجد نفسي في المطبخ لأعود أدراجي، وأنا قلق على نفسي من ذلك الشرود، وحدث ذات مرة أنني وقفت لأتبول مثل باقي الخلق وأنا سارح مع أغنية تنطلق





من جهاز التسجيل الضخم، والذي اشتريته خصيصًا ليرضي ذوقي في الاستماع لشرائط الكاسيت بمنتهى النقاء الصوتي.

بهاء سلطان يشدو وصدى الصوت يضيف ذلك الشعور بأنه يغني لك وحدك.

تضحك يومين نبكي سنه ... نعطش حنين نشرب ضنى ومحرومين من الهنا!!!!!!!!!!!!!!!!!

أقف مستمعًا بجودة الصوت وتأثير الإيكو.

لأجد نفسي فجأة أقف أمام الموقد أمارس رش باب الفرن.

واصلت رغمًا عني وأنا أنظر بتمعن.

أراقب تدفق مائي على زجاج باب الفرن المغلق وأقول لنفسي: لا بد أن هذا من تأثير تلك السيجارة اللعينة التي شربتها مع صديقي خالد الحشاش الأصيل.

كذلك كنت أشعر بتلك القشعريرة الغريبة عندما أمر في الممر الواصل بين الصالة وبين عفشة المياه،

قشعريرة خاطفة وكأني تعرضت لريح باردة مفاجأة ولكنني أيضًا لم أعر الموضوع أي تركيز أو انتباه.

أما الطامة الكبرى فتتمثل في أنني أشعر وباستمرار أن هناك من يجلس معي - صامتًا - في المكان لدرجة أنني بتركيزه معي وهو يتابع أفلام الفيديو، فقط ضيف صامت لا يتكلم ولا يحدث صخبًا أو مطالبات ترهقني، فقط يجلس في مكان ما غير بعيد عني يشاركني





المشاهدة، كنت في مرات عديدة ألمح بزاوية عيني من يجلس إلى يساري غير بعيد، ألمح كتلة تشغل حيزًا من الفراغ ولكنها غير منظورة.

ومع مرور الوقت تطورت هذه العلاقة العجيبة لدرجة أيضًا لم أعرها اهتمامًا إلا فيما بعد، لقد كنت أشعر بتململه أو كسله أو عصبيته لو كان الفيلم غير مسلي بالنسبة له.

لدرجة أن ذوقي نفسه تغير في انتقاء أشرطة الأفلام نفسها، فأصبحت أستأجر الأفلام العربية والمسرحيات على غير عادتي.

ووجدت نفسي أتابع تلك الأفلام بمنتهى الشرود والصمت بينما يتابع هو بتركيز واستمتاع ولا يقطع هذه الجلسة المعتادة إلا عندما أتحدث في الهاتف الأرضي مع أحد أصدقائي أو أستضيف زائرًا من أصدقائي أو من أسرتي.

كذلك كنت أتعجل رحليهم لأنعم بهدوئي وطقوسي التي تخللها هذا الزائر الغامض بدون أي اعتراض مني.

أليس هذا عجيبًا؟ بل الأعجب أنني بالفعل لم ألاحظ ولم أهتم.

أما الأكثر غرابة هو أن كل من يزورني منهم يقول لي شيئًا مشتركًا بينهم جميعًا فقط جملة واحدة تتكرر بطرق مختلفة وبشخصيات عديدة، جملة تقال إما بعصبية أو تركيز أو بهدوووء.

- الشقة دي فيها حاجة مش طبيعية يا تامر.

سمعتها مرارًا من أمي ومن أصدقائي ومن عملائي.

دائمًا يقولون إن للشقة ظلاً ثقيلاً محيرًا غير مريح.



وكنت لا آخذ الكلام على محمل الجد، فأنا سعيد مستقر لا أشعر بعدم الارتياح هذا، فالشقة واسعة ورطبة يجري فيها الهواء بمنتهى النعومة صيفًا وتتغلق على نفسها شتاءً ككهف منتظم.

إلى أن جاء يوم تأخر عندي صديقي خالد، والذي هو أعز أصدقائي، كما كان شريكي في عملي التجاري الوليد.

وهو رجل من برج العقرب يملك إحساس التاجر العملي، وكان لا يتحدث معي إلا في شئون المكسب والخسارة وما إلى ذلك من تفاصيل العمل لدرجة أنني كنت أطالبه بالكف عن الكلام في العمل طوال الوقت.

فكان ينظر لي باستغراب ويقول:

يعني هو فيه إيه أهم من الشغل نتكلم فيه يا «طوط» كان يناديني دائمًا بهذا الاسم متجاهلاً أن اسمي يبدأ بالتاء وليس الطاء.

وكنت ولازلت أحبه وأعتبره أخي الأكبر المختلف عني نهائيًا في السلوك والشخصية.

فهو مدخن شره للحشيش يلف السيجارة تلو الأخرى بكل حرفية، ويشربها مكان السجائر العادية وكأن هذا هو العادي والمألوف، ودائمًا ما يأتي بالأصناف الجديدة ليعلن عنها بطريقة تعودت عليها.

- تعورتي معايا دخنه ملبن اسمها صدام أو سبع حروف أو ورك ليلى علوي أو ال جي أو ديجيتال.





وكنت أتعجب إذ كيف يسمي منتجو الحشيش هذه الأسامي، أم إن الموزع هو المسئول عن ذلك إمعانًا في الدعاية العجيبة، أم إن هذا له علاقة بتأثير الحشيش نفسه على الشاربين.

وحاولت بكل الطرق إبعاده عن ذلك فوجدته يتعصب ويكشر عن أنيابه معلنًا ألا دخل لي بمزاجه الشخصي، ومن ثم التزمت الصمت اتقاءً لغضبه ونفوره من وعظي ونقدي له.

استغرق خالد في النوم على سرير صغير وضعته في الصالة على سبيل الاستراحة عليه، لو حدث وآلمني ظهري من الجلوس أرضًا وهو يشاهد معي إحدى المسرحيات- كانت مسرحية عش المجانين لمحمد نجم- وكلما صرخ نجم بشفيييييق يا راجل ينطلق الناس بالضحك بطريقة استغربتها في بادئ الأمر ثم صرت أشاركهم الضحك تاركًا انتقادي وتحفظي، ومندمجًا مع الجو الفكاهي للمسرحية، ولم أنتبه إلى سباته إلا عندما علا صوت شخيره وقد تدلت السيجارة المحشوة بين أصابعه فمددت يدي وأمسكت بالسيجارة وأطفأتها.

وابتسمت في إشفاق وقمت من فوري بتغطيته ووضع وسادة صغيرة تحت رأسه حتى ينتظم تنفسه ويرتاح رأسه.

ورجعت لمتابعة المسرحية بشرود وأنا أدخن الشيشة وعلى صوت المسرحية وشخير صديقي زارني النعاس أنا الآخر، فقمت وأطفأت النور والتلفاز وأرجعت النارجيلة للمطبخ، وغسلت أسناني وتوجهت لغرفتي الصغيرة مستلقيًا على فراشي العريض، حيث تعودت طوال حياتي أن أقرأ قليلاً قبل النوم بواسطة أباجورة صغيرة بجانب السرير





حتى تغمض عيناي ويفلت الكتاب من يدي فهذه أيضًا عادتي منذ زمن بعيد أحسب أنني ولدت بهذه العادة.

وفي هذه الليلة بالذات حدث شيء غريب جدًا.. بينما أنا مستمر في القراءة- كان كتابًا مملاً استعرته من أحد أصدقائي يتكلم عن قدرات العقل البشري، ولا يوجد ضوء في الشقة كلها إلا من الأباجورة وصديقي خالد يغط في نومه وصوت شخيره العالي يسليني، تذبذب الضوء في الأباجورة بجانبي قليلاً وانخفض سطوعها بدرجة ملحوظة، وإن لم تنطفئ تمامًا في الوقت الذي انقطع صوت شخير صديقي العزيز وساد صمت مفاجئ لفترة قصيرة ثم انتبهت لأسمع همهمة وأصواتًا- محادثة - من الصالة المظلمة... صوت خالد صديقي يتحدث مع مع؟!!! لا أعرف بالضبط، ولكنه صوت آخر شبه أنثوي مكتوم بينما صوت صديقي واضح النبرات ولكنه بطيء الإيقاع لدرجة جعلت تبين الكلمات نفسها شيئًا صعبًا، وكلا الصوتين مبهم التفاصيل أو يسير بالمقلوب لا أعرف بالتحديد.

اندهشت وضحكت وتصورت أن صديقي العزيز يحلم ويمارس التحشيش وهو نائم.

ولكن من أين يأتي الصوت الآخر؟!! هل يكون صديقي يتكلم بصوتين في حلمه مثلاً؟!! ناديت عليه بهدوووووووء.

- يا خالد إنت يا بني بتحلم بإيه؟!! يا خالد يا خاااااااااالد!!





صمتت المحادثة بعد ندائي الأخير وعم الصمت الكامل المكان لا محادثة لا شخير ولا أي شيء، وعاد ضوء الأباجورة منتظمًا ساطعًا كالعادة.

وعندما هممت بالقيام من فراشي لأطمئن على صديقي... فوجئت به... واقفًا على عتبة باب غرفتي الصغيرة صامتًا... ينظر إلي بثبات وقد استند بجسده للحائط وحاجبًا مكان زر النور الأساسي للغرفة.

ارتعدت مفاصلي وأنا أنظر له من أثر المفاجأة ثم ابتسمت مرتبكًا وخرج صوتي ضعيفًا خافتًا رغمًا عني

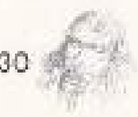
– واد يا خالد ما لك واقف كده ليه؟!!!

لا إجابة.

: خالد إنت يا بني فيه إيه ما لك سهم وواقف زي الصنم؟!! مازال ينظر إلي ولا إجابة.

مددت يدي وهززته برفق وحذر... فتحرك ناحية باب الشقة بهدووووووووء ماسكًا بيده حذاءه والجاكت الجلد ويدير المفتاح ويفتح الباب ويقف على بسطة السلم المقابل لباب الشقة ويلبس حذاءه وجاكته بمنتهى الهدووووووووووء الشارد.

ضحكت بتوتر وارتبكت وأنا لا أدري ماذا جرى لصديقي العزيز وقلت له: استنى يا بني وإلا بات معايا لحد الصبح الدنيا برد، لم أتلقى منه أي إجابة، قلت له: طيب استنى أما أنزل معاك أفتحلك باب العمارة لأنه اكيد مقفول.



ولبست معطفي على ملابس نومي ونزلت لأفتح له وهو صامت كأنه صنم، وقد ظهرت على وجهه أمارات غضب لا أعرف سببًا له.

خرج صديقي للشارع واتجه ناحية سيارته المركونة أمام العمارة وذهب بلا أي تعليق.

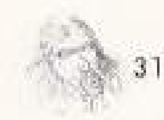
ظننت وقتها أنه قد يكون - تقل في العيار - وأنه أوفر دوس وبلاش أضايقه بالأسئلة حتى لا يثور علي.

رجعت للشقة وعاودت النوم مستغربًا جدًا تصرفه، فصديقي أبعد ما يكون عن الإنسان الشارد أو الصامت، فهو صاحب متحرك كالفيروس ولدرجة كانت تثير جنوني في أحيان كثيرة، وعندما اتصلت به في اليوم التالي وجدته لا يتذكر أي شيء أصلاً ووضع الحادث على رف شرودي بجوار ملاحظاتي السابقة

■■■

نسيت أن أذكر أن روابط الصداقة والألفة جمعت بيني وبين صاحبة العقار - الحاجة ذكية وهو اسمها - ووجدتها أمًا حنونًا، وتحبني بلا أي مقدمات، وكانت تقدم لي أطباقًا من صنع يديها من وقت لآخر؛ متمثلة في البصارة والأرز باللبن أو بعض المعجنات والفطائر، وأحببت وجودها وكنت أهاديها بأشياء كثيرة وأطعمة كلما سمحت الظروف، خاصة أنها كانت تحب الأسماك المملحة - الفسيخ - جدًا، وأنا كنت أحضره دائمًا من رحلاتي لدمياط وكفر الشيخ خاصة الفسيخ الوارد من دسوق؛ حيث إنه عادم أو قليل الملح وكانت دائمًا ما تقول:

- ده مش فسيخ يا تامر ده زبادي بناكله بالمعلقة.



وكنت أسعد بهذا التقرير وأعتبر نفسي موازيًا لكرمها السابق.

■■■

كذلك لا بد أن أعرفكم بنجلاء، وكانت تحبني وتتبادل معي بعض الحديث كلما وجدتني بشرفة غرفة نومي، حيث كانت جارة لي في العمارة المجاورة لعمارتي، وكنت أتعامل معها بحرص شديد فلا أنا أرفضها ولا أقبلها، فهي لا تعجبني تمامًا، هي طويلة ناحلة الوجه شرسة العينين متحركة صاخبة مباشرة الشخصية تتكلم كثيرًا في عدة مواضيع في وقت واحد، ذات شعر مصبوغ بلون لا يلائم بشرتها السمراء، تضع الكثير من الكحل وأحمر الشفاه بطريقة تثير جنوني منها، وتلبس ملابس لا تتسم بالوقار العام المغلف للشارع نفسه، فهي زاهية فاقعة الألوان لا تحسب لقوامها النحيل حسابات الأناقة فتلبس الملابس الضيقة والأحذية عالية الكعب مما يزيدها طولاً ونحولاً بدرجة لا تصدق وكأنها تريد إبراز عيوبها بكل الطرق التجميلية، كذلك لا يعجبني حال أسرتها التي تتشاجر من وقت لآخر مع الجيران، وكنت زاهدًا تمامًا في أن يكون لي نصيب من هذا الشجار، خصوصًا وأن هذا الشجار يتسم بكل البهارات والتشبيهات غير اللائقة أصلاً بأهل الشارع الوقورين.

وأنا أعزب وأعيش وحدي بعيدًا عن أهلي؛ لذلك آثرت السلامة حتى لا تطيح أمها الشرسة بكرامتي أو يتهور أخوها والذي يشبهها كثيرًا على شخصي وأنا أحب كرامتي جدًّا، ولكن نجلاء اللعينة مصرة على صداقتي رغمًا عني، وكنت لا أعرف كيف أنسحب منها لدرجة أنها

كانت تدق على شباكي كلما سنحت لها الفرصة وهذا كان يثير توتري لأقصى حد.

طبعًا أنا آسف لهذه المقدمة الطويلة فكل الأشخاص الذين ذكرتهم في هذه المقدمة كان له دور في الأحداث الرهيبة التي حصلت فيما بعد.

نعود للحظة المهولة... نعود للرعب الذي كانت له مقدمات لم ألتفت لها ولم أعرها انتباهي وقت حدوثها.

■■■

أنا متجمد تحت غطائي.

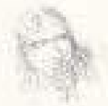
شيء ما يمشي بمنتهى الثقة ويتحرك في ظلام شقتي متوجهًا إلي أنا بالذات.

شيء لا يصدر إلا صوت خطوات.

شيء يمشي بقدمين حافيتين مشوهتين.

لم أجرؤ على النظر لأعلى فقط تسمرت عيناي على بلاط الأرضية الموزاييك الناعم، توقفت القدمان بالقرب من فراشي.

يااااااه أشعر برأسي موصلاً بأقطاب كهربية عنيفة، إنني أرتجف أبكي بقهر ولكن دون دموع ودون صوت، انزلقت بظهري نازلاً للجانب الآخر من الفراش بدون أي إرادة وكأن جسدي ملك لشخص آخر يتلقى منه الأوامر.





أمسكت بالغطاء وكأنه طوق النجاة لغريق لا يعرف السباحة، تميل رأسي رغمًا عني لتلتصق بأرض الغرفة ويلامس خدي البلاط البارد، نعم نعم هذه حقيقة لا مهرب منها الآن، فأنا أرى القدمين من أسفل الفراش، نعم نعم قدم نسائية ولكنها كبيرة منتفخة مازال تعلق بأظافرها آثار المونيكير، ولكنها منتفخة قاسية كأنها بالون مملوء بالماء يترجرج ذاتيًا، ويموج بالقيح والصديد ومزركشة بحروق قديمة إيه في القبح، أجز على أسناني بغل أريد أن أفقد الوعي، أريد أن أموت، ولكن كان هذا اختيارًا لا أملكه أبدًا.

كل ما أملكه هو أن أرتعب وأنتفض داخليًا.

فجأة وبدون مقدمات بدأت القدمان تقفزان في مكانهما مثل فتاة تنط الحبل، تقفز وترجرج وتقفز وترجرج وهي في مكانها، تقفز بإصرار، ترجرج بتصلب تدق الأرض بهدووووووء حازم.

وأنا مذهول على وشك الجنون الصامت المليء بالصراخ المكتوم.

ثم وبدون مقدمات تقفز قفزة عالية لتستقر فوق سريري العريض.

اختفت الأقدام ولكنها فوق السرير تمارس القفز بتصلب واستعراض.

أسمع صوت عوارض السرير الخشبية تئن تحت ثقل صاحبة الأقدام المنتفخة الرجراجة.

وأنا مطروح بجانب الفراش تقريبًا تحته أشاهد العوارض الخشبية - ملة السرير - تتكسر بواقع الضغط والوزن الشيطاني القافز فوقها.



تكسر أربعة أو خمسة ألواح من ملة السرير الخشبية محدثة صوت تكسير الخشب المعروف.

لقد انفلق كل لوح على حده من المنتصف تقريبًا وإن لم ينفصل تمامًا.

وأنا غارق في الذهول والصمت أضع يدي بقوة على فمي وأعض بجنون كف يدي كيلا أصرخ، كيلا لا أجن.

وكل ما تـوارد للذهني في هذه اللحظة أن أسكت كيلا تنتبه صاحبة الأقدام المشوهة لوجودي، ثم سمعت ذلك الصوت:

قفففففففو ااااااااااااااااااااااااااااه قففففففففففو اااه

وففففففففففففف فووووووووووووو آه ممم

صوت يأتي مكتومًا لكنه صريخًا لإنسان يقطع أو يذبح أو يحترق أو أي شيء شنيع ومهول، ثم قفزت على الأرض مرة أخرى واتجهت بخطوات مسعورة، خطوات شخص يجري ويستغيث بالناس بينما الألم يأكل لحمه نيئًا.

تجري الأقدام خارجة من غرفتي إلى الصالة تجول في أنحاء الشقة بسرعة مهولة محدثة صوت طرقعة لحم القدم على البلاط العاري ومصحوبة بأنين قاس له فعل الموسى في شق وقطع أعصابي، ولاحظت في وسط هذا بمطاردة بين هذه الأقدام وبين شيء آخر لا أعرف ما هو على وجه التحديد، بسبب حالتي المزرية، ثم تختفي فجأة





وهي تجري على الممر المؤدي للحمام والمطبخ محدثة ذلك الصوت المكتوم.

اومفوووووووووووووووووووووووووووووووووه فووووووووووووو ووووووووووااااااااااااااااااااااه

بينما يتجاوب معها صوت مكتوم آخر له رنة طفولية مذعورة باكية.. محادثة جنونية أشبه ما تكون بضرب وعقاب من أم مجنونة لطفل ارتكب ذنبًا كبيرًا أو تراه هو كبيرًا لا يغتفر، وقد أوشكت على قتله.. يمر الزمن بي وأنا في مكاني [illegible] السرير المكسورة، وغلفت نفسي بالبطانية وأنا [illegible] على البلاط البارد [illegible] أبكي بلا صوت، يمر الزمن ثقيلًا وأنا لا أدري هل انتهى العرض المذهول أم أنني أنا الذي انتهى.

مع مرور الوقت استعدت وعيي ولكني لم أتحرك.

الفجر يعلن عن وجوده القادم بصوت المؤذن.

أظل نائمًا على وجهي في مكاني لا أقدر أصلًا على الحركة.

ومع خيوط النور الصباحية استعدت بعضًا من روعي وهدوووووووووئي، بينما يرفض قلبي التوقف عن ماراثون الجنون مع الذعر نفسه.

وعزمت أن أترك هذا المكان بأي ثمن.. قمت وأنا أنظر لسريري وقد وجدت تجويفًا يتوسط الحشوة- المرتبة - بفعل تكسر ألواح الملة الخشبية تحته، توجهت بكل مشقة لباب الشقة عازمًا على





الخروج بملابس تومي للشارع، أريد بشدة أن أرى الناس وأن أشعر بلذة وجودي بين الآدميين، أريد أن أتأكد من كوني على قيد الحياة.

فتحت باب الشقة وخرجت جلست على السلم واضعًا رأسي بين ساعدي، ومستعدًا تمامًا للانهيار والبكاء، ولكنه مطلب عزيز جدًا يبخل على أعصابي الممزقة بأي تفريغ انفعالي مريح.. مر الوقت وسمعت صوت أقدام تنزل من أعلى... لا بد أنه أحد الجيران من أبناء السيدة الطيبة.

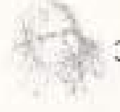
جريت لداخل شقتي مرة أخرى.. لا أريد لأحد أن يراني على هذا الحال.. جريت لأفتح كل نوافذ الشقة ومنها نافذة غرفة تومي نفسها.. لأجد جارتي نجلاء تبتسم بارتباك المعجبين، ومن الواضح أنها استيقظت لتوها وقد استطال وجهها وانتفخ جفناها وتكور أنفها شبه المتورم من أثر غطيطها الجنيني.

وتناثرت خصلات شعرها الليفية على جانبي جمجمتها، كانت تشبه تلك الصورة لجدو في مسرحية سمير غانم الشهيرة، أو لعلي أتوهم تحييني تحية الصباح المتفائلة بصوت أخنف مرتبك:

– صباح الخير يا تابر– نطقتها بالباء– أول مرة أشوفك تصحى بدري كده!!

أنظر لها ولا أرد.

تنظر بتمعن وقد تقاربت ملامح وجهها أكثر بتركيز لتبدو وكأنها رسم كاريكاتيري، فمن الواضح أنها تنام بزينتها ومكياجها الفاقع، تنظر في وجهي لتجد كارثة قد حلت بملامحي.. فهالات الجزع الرمادية





قد غلفت وجهي المحتقن بالخوف المركز .. ظهر عليها الانزعاج وتشابكت ملامحها النيسية لتصنع لوحة من جمال جديد بكوكب بلوتو وتسأل:

- ما لك وشك أصفر كده ليه؟!

تمالكت نفسي بصعوبة فرجولتي تمنعني من الانهيار أما هذه المعجبة:

- صباح النور يا نجلاء أبدًا ما مفيش.

قالت بشك وهي تقاوم التثاؤب في وجهي:

- لأ فيه.. قولي ما لك؟

ارتبكت أمام وجودها وفرحت بأنني ما زلت على قيد الحياة في نفس الوقت.

سألتها بشكل صادم:

- إنتي تعرفي حاجة عن الشقة دي؟!

نظرت إلي بتركيز ثم تثاءبت رغمًا عنها فاتحة الفم على أقصى اتساع فهي ما زالت ناعسة مختمرة في سوائل نومها اللزجة والجديرة فقط بالجنين في بطن أمه.

- حاجة زي إيه يعني؟!

- يعني حاجة غريبة أو مش طبيعية.

نظرت إلي بتركيز أكبر ومالت برأسها للأمام ومدت شفتيها الرفيعتين لأسفل مقاومة التثاؤب للمرة الثالثة وقالت:

- إيه ده؟ ده أنا كنت فاكراك عارف.

اتسعت عيناي حتى كادتا تخرجا من وجهي.

- عارف؟!!!! عارف إيه؟ اتكلمي لو سمحتي.

نظرت إلي بارتباك وقد استفاقت جزئيًّا ولم ترد.

نظرت لها بعيون أقل حدة وأكثر دفئًا، ومثلت دور الحنون الصادق وقلت لها:

- اتكلمي يا نجلاء مش احنا أصدقاء؟

فرحت بالتحول المزيف- تلك البلهاء- ولانت ملامحها الفلكية برومانسية مفجعة وقالت بحروف خفاء:

- طبعًا طبعًا احنا أكتر من أصدقاء.

يا إلهي عن ماذا تتحدث تلك السحلية عن الحب مثلاً.

فواصلت رجائي الحنون.

- يبقى تقولي كنتي فاكرة إني عارف إيه؟

نظرت لي نظرة طويلة ثم قالت:

هو أنت متعرفش حكاية الحاجة ناهد؟!!

- الحاجة ناهد مين؟!!

- الحاجة ناهد مرات الحاج جابر صاحب الشقة.

نظرت لها بدهشة وقلت متذكرًا شيئًا ما:

- أيوه فعلاً وَصْل النور باسم ناهد [illegible]ب لكن مالها يعني؟



صمتت قليلاً ثم قالت بصوت هامس حتى لا يسمعها الكون نفسه لتجيبني بسر متوقع بشدة ولا أريد أن أعرفه.

- إنت متعرفش إن الحاجة ناهد ماتت محروقة في المطبخ من خمس سنين؟!!!!!!!!!

■■■





3 السلم والقطط والقمامة والفضيحة

عندما يمر الإنسان بتجربة شاذة أو شديدة التطرف كالتي مررت بها يصبح وكأنه من عالم آخر، فالذي شاهد غير الذي سمع وغير الذي لا يعرف، فالحقيقة المريعة أنني أقيم منذ شهور في شقة مع شبح أو عفريت لسيدة احترقت منذ خمس سنوات.

والحقيقة الأكثر مرارة أنني كنت أشعر بشيء غير عادي ولكني بررت هذا بالشرود أو عدم التركيز لتداعي المعاني والذكريات إلى عقلي المعجون بالتجربة القاسية.

الحقيقة الواقعة أعلنت عن نفسها بكل وضوح فالشبح كان يجول في شقتي بكل حرية، ويؤثر على تصرفاتي ومزاجي ويلعب معي كما يتراءى له، ويغير من مزاجي الشخصي ويجبرني على تصرفات ما كنت أتوقع أن أفعلها والآن يريدني أن أن... أن.. ماذا؟! أن أرحل أو أن ..... لا أعرف ولا أريد.

اسودت الدنيا في وجهي فأنا أعيش الآن تحت رحمة شبح قاسٍ احترق لحم جسده وواجه أشنع المصائر، وبالتالي فهو لا يهتم أبدًا بمصيري بل سيجعلني لعبة يمارس معها كل أنواع الذعر والرعب الذي لم أجده حتى في الأفلام.

فمن خلال تلك المواجهة غير المتكافئة أبدًا عرفت أنني في حالة من الضعف لا توصف إلا بأنها العجز والانسحاق نفسه.

والمشكلة الأكبر أنني لا أملك ترف الانتقال السريع بسبب ظروف عملي، وبسبب أن إحدى الغرف مكدسة بالبضائع المكونة من أشرطة الكاسيت بكل أنواعها والتي كنت أتاجر بها، وأن الشقة كانت شقة ومكتبًا ومخزنًا في آنٍ واحدٍ... مشكلة شاذة بلا حل تقريبًا سوى الرحيل.

سيقول بعضكم لمَ لا ترجع بيت أهلك؟!

أقول لكم إنني كنت على خلاف مع أبي - رحمه الله - في ذلك الوقت، ولو رجعت سيحولني لأمثولة للنقد والتشفي، وسيلاحقني بتلك السخرية الجافة التي يجيدها الآباء بكل جدارة، فهو رجل شرقي يعرف أنه ملك مستبد في داره، ويجب على الجميع طاعته طاعة عمياء، حتى لو اتسمت كل دوافعه بالعنف أو العناد أو الطيش، وهو أبي الذي أعرفه بحكم عشرة طويلة.

ولو أخبرت صديقي الهيستيري سيقلب الدنيا على رأسي ويصرخ في وجهي ويرفض حتى [illegible] للأبد خصوصًا أن تجارتي كانت وليدة تحتاج رضاعة الاستقرار ودفء التكرار حتى تثبت أقدامي أمام وحوش السوق في ذلك الوقت، وسأخسر فعلاً الكثير وأنا في بداية مشواري المهني، وحتى لا أملك المال الكافي لانتقال جديد مريح كما أرجو.

دارت كل هذه الأفكار وأنا واقف في غرفتي الصغيرة، وعزمت على النزول لأشم هواء الشارع البارد، وأفكر كيف أتخلص من كل هذا العبء، فلا أنا قادر على المصارحة ولا قادر على الاستمرار وليكن الله في عوني، خصوصًا وأنني مازلت أشعر بالذعر الممزوج بالابتلال





البارد وغير القابل للتنظيف إلا بفعل الزمن نفسه، وبعدم تكرار ما حدث معي لأن مجرد تذكر ما حدث في ليلتي السوداء الماضية يحيلني لنصف ميت نصف مريض.

والمشكلة إنني حتى لا أجرؤ على النظر ناحية ممر الحمام والمطبخ، وأشعر أن هذا الكيان المريع واقفًا ينتظر الانفراد بي مرة أخرى.

تجمدت الدموع في عيني وتيبست الأفكار في رأسي، وتجلت حيرتي كأبشع ما يكون، وشعرت بالعجز الكلي، واتجهت لباب شقتي وفتحته عازمًا على الخروج حالاً بكل هذا الميراث الجنوني الجديد، وبمجرد ما خرجت وأغلقت الباب واتجهت للنزول على السلم.. إذ أفاجأ بصرخة وصوت انهيار على السلم نفسه، ووقوع أشياء، وبادلت الصرخة بصرخة أكبر واختل توازني تمامًا من الفزع، ووقعت متدحرجًا على السلم ومحدثًا أكبر قدر من الضجة، وقد جرحت ساقي وفتح حاجبي من أثر السقطة والدحرجة، وكل هذا بسبب قطط الجيران التي كانت تتصارع على صندوق القمامة الموضوع على بسطة السلم، إذ إنهم رأوني وسارعوا بالخروج من الصندوق، فوقع الصندوق نفسه ووقعت البقية الباقية من مقاومتي المشحونة بالذعر لأجد نفسي مطروحًا أمام شقة الدور الأول، والتي تقطن بها العجوز الطيبة صاحبة العقار وأم السيدة المحترقة في شقتي.

طبعًا فتحت كل أبواب الشقق في انزعاج هائل، ونسيت أن أخبركم أن الدور يمثل شقة واحدة، وأن العمارة خمسة أو ستة أدوار، وخرج الجيران الذين هم إخوة الس[illegible]حترقة من الأدوار العليا، وخرجت

السيدة العجوز من شقتها بالدور الأول وهي في حالة من الذهول والخضة إثر هذه الضوضاء المنفجرة على السلم.

نزل رجلان- بملابسهما الداخلية- من أعلى ومعهما زوجاتهما وأولادهما ليشاهدو هذا السيرك وبطله الوحيد والذي هو أنا.

وأنا مطروح على الأرض أنزف من قدمي ومن رأسي والسيدة العجوز تصرخ وتلطم وتحاول أن تسعفني، وأنا في حال لا يمكن وصفه، إضافة لأعصابي التي تمزقت تمامًا واندمجت تلقائيًا مع القمامة المتناثرة من الصندوق- بقايا عظام لدجاج وبعض [illegible] وأكواب بلاستيكية فارغة وأعقاب سجائر وبعض الأشياء السائلة- الذي كانت ترتع فيه القطط على السلم. كلما تجمع الجيران المجاورين للعمارة ومنهم البواب في العمارة المقابلة وبعض المارة بالصدفة.

شعرت بطعم الإحراج الملتهب والذي يورث صاحبه رغبة شديدة في الاختفاء ولكن كيف هذا؟!

أحسست أن وعيي يتسرب من داخلي وأن نهايتي قد حانت الآن.. إضافة للفوضى الحادثة وهيئتي الشبيهة بضحايا الحرب الأهلية، فأنا ممزوج ببقايا صندوق القمامة تمامًا.

انحنى الرجلان على جسدي بسرعة وقاما برفعي وأدخلاني إلى شقة أمهما بينما الأم تصرخ:

- يا خرابي الواد مات ولا إيه؟ حصل إيه ؟ إيه الدم ده؟ في حد ضربه على نافوخه وألا إيه؟.

أحد الرجال وكان يعرج عرجًا خفيفًا:





- مش عارف يا أمي إحنا سمعنا صرخة جامدة وصوت حاجة بتقع على السلم.

الأم مولولة:

- آه يا حبيبي يا بني قوم بسرعة اتصرف واعدله وشوف الدم ده جاي منين.

الابن الآخر وهو يتفحصني بسرعة؟!

ده حاجبه مفتوح الظاهر من الوقعة يا أمي، متخافيش سليمة سليمة ورجله كمان اتجلطت من صفيحة الزبالة لما اتحدرج بيها على السلم.

الأم لا تصدق وتصرخ:

- يا نهار أسود يا نهار مهبب، اسم الله عليك يا بني قوم هات البن من المطبخ بسرعة.

ينظر لها ابنها طويلاً مضيقًا عيونه بينما تنظر لي الأم بجزع، ثم تلتقي عيناها بعيون الابن المسهمة وتصرخ به:

يالا!!!!! ما لك واقف زي العمود.. يالا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!ه.

يتحرك الابن ذو العرج الخفيف لإحضار البن، بينما أنا واعٍ تمامًا لما يحدث، ولكنني عاجز تمامًا عن الكلام والحركة وكأنني مشلول، فقط دموع غزيرة انطلقت أخيرًا من عيوني لتعلن عن انهياري التام وحرجي المتناهي لكل هذه الفضحة الحادثة والتي تشبه الفضيحة شكلاً ومضمونًا، والرجل الابن الآخر وقد بدا سمينًا أحمر الوجه يلبس ما يشبه ترينج النوم يحملني حتى يصل بي إلى صالة شقة الأم.

الأم تمسح الدم عن وجهي برفق شديد، وتنخرط في بكاء هستيري، بينما الجيران في الخارج يدقون باب العمارة المغلق بالجنزير والقفل، وزوجات أبنائها يبسملون ويحوقلون ويحتضنون أطفالهم التي تصرخ بكل قوة

ولكم أن تتصوروا حجم الفوضى والصراخ والتساؤل عن جارهم المهذب الذي صرخ وتدحرج وأصيب في بيتهم بينما هم مازالوا نيامًا.

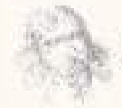
أراحو جسدي على كنبة في صالة شقة الأم وغسلوا دمي عن وجهي، وكشفوا عن ساقي بينما الأم تبكي بحرقة، وكبست حاجبي المفتوح بالبن ليقف النزيف وربطو ساقي التي انجرحت بفعل صندوق القمامة - الذي هو صفيحة من الصاج - وأشربوني ماءً مخلوطًا بسكر.

يحدث كل هذا بينما تتلاحق أنفاسي مختلطة بعبارات الأسف والإحراج .. ومع الوقت استعدت قدرتي على الحياة وأنا في أحضان السيدة الباكية التي جلست ووضعت رأسي على فخذها وهي تنهنه وتنادي عليّ باسمي:

- يا تامر اسم الله عليك يا ضنايا، الحمد لله سليمة اتكلم يا حبيبي قول حاجة إنت وقعت على السلم إزاي؟

نظرت لها في ضعف وحاولت التماسك بينما انسابت دموع قهري وإحراجي والتزمت الصمت.. عاودت مسح وجهي بيديها الممتلئتين والتي تشعر معهم بأنها وسادات صغيرة مريحة.

- اسم الله عليك يا بني قوم يا مجدي - وهو ابنها ذو العرج الخفيف- هات شوية ميه وملح و... على السلم.



ثم تنظر لابنها الآخر آمرة:

- وأنت يا محمد شوف الجيران وقولهم مافيش حاجة ده الراجل وقع من على السلم، فيقوم الابنان صاغران لأوامر الأم بصمت.

من الواضح أنها ذات شخصية كاسحة على أولادها الرجال.. ثم تنظر لي بكل قلق الدنيا وقد طفرت عيونها بالدموع خوفًا وجزعًا على شخصي المتهالك.

- يا حبيبي يا بني الحمد لله بس وقعت إزاي؟!

بكلمات جمل ممزقة أتكلم بصوت خافت:

- القطط .....وصفيحة الزبالة.. اللي على البسطة.. اتخضيت.. ووقعت.

الأم بذعر:

- اللهم احفظنا.. يقطع القطط والزبالة معلهش يا حبيبي حصل خير.

أنا:

- الحمد لله.

يفتح محمد الباب للجيران المتجمعين على باب العمارة لتندفع نجلاء بكل قلق لتدخل رغمًا عنه

وتصرخ بكلام متلاحق وعبارات مبتورة:

- نينه تامر حصل له حاجة؟ تامر إنت كويس؟!!!!

وتنخرط في بكاء فاضح [illegible] لي أكبر قدر من الارتباك.

تنظر لها المرأة بغيظ وتقول لها بجفاء:

- مافيش حاجة يا نجلاء روحي إنتي يا حبيبتي عشان أمك.

تواصل نجلاء البكاء، وتنظر لي بعتاب وتقول:

- عاجبك كده؟! أدي سيرة العفاريت واللي بييجي من وراها، أديك كنت هتموت.

وتنحني علي حتى ترشك على احتضاني بطريقة أوصلتني لآخر حدود الارتباك والإحراج.

تنظر السيدة لها في تركيز وتصمت، كاظمة غيظها الدفين ثم تقول:

- عفاريت؟ بسم الله الرحمن الرحيم عفاريت إيه وتخاريف إيه؟

تحاول نجلاء مجادلة السيدة بتبجح:

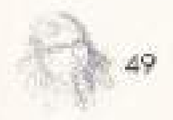
- أبوه يا نينه كان بيسألني على اللي حصل في الشقة- وتغمز لها بعينها بطريقة متلاحقة أثارت تحفظ الأم.

لكن السيدة تقاطعها بحزم قائلة:

- قلتلك خلاص يا حبيبتي يالا عشان أمك متعملكيش باللو على الصبح حصل خير واهو الراجل قدامك زي الفل.

تنظر لها نجلاء في عناد وغباء وتحدٍّ ثم تنظر لي فتجدني شاردًا وصامتًا فتنصرف محرجة وهي تبرطم:

- طيب يا نينه الحق عليّا.. ما هو اللي صبح بيسألني عن الحادثة.. وأنا مالي معلش كله بثوابه.





تخـرج المعجبـة مضطـرة مـن كادر الحـادث محدثة أكبر قدر من البرطمة والغضب بسبب سلوك الأم معها.

تنظـر لهـا الســيدة شـزرًا وتقـاوم رغبـة هائلة فـي ركل البنـت على مؤخرتها النحيلة.

يهدأ الجو تدريجيًا وينصرف الناس إلى أعمالهم، وابقى أنا والسيدة العجوز وابنها مجدي في شقتها صامتين.

يسود صمت كله كلام وكله أسئلة، وأنا غير قادر على الإتيان بأي رد فعل، فساقي تؤلمني وحاجبي متورم

وحالي يعكس انهياري، أحـاول النهوض فتمنعني السـيدة، ويأتي ابنها بوسـادة كبيرة لتقوم السيدة وتضعها بدلاً من فخذها تحت رأسي وكتفي وتجلس فـي المقعد المقابل لي وهي تنظر لي بإشفاق وأمومة صارخة.

يخرج ابنها عن الصمت ويقول:

– تحب أبلغ والدتك في التليفون يا تامر؟

تنظر له الأم نظرة صارمة وتقول:

– هتقولها إيه؟ إنت عايزها تطب سـاكتة؟ تامر كويس وكلها شـوية ويبقى زي الفل وهو هيقعد هنا لحد ما يطيب.

ثم تنظر لي فتجدني موافق على كلامها ضمنيًا.. فآخر شيء أرغبه أن تعرف أمي مصابي خصوصًا وهي المعترضة الحزينة بسـبب استقلالي الفجائي عن بيتها، مع إنها كانت تزورني بانتظام، وقد شـاهدتها السيدة الطيبة وأحبت مجلسـها، وأبدت إعجابها بأمي كثيرًا، واصفة إياها بأنها





هانم بنت أصول، وأعربت عن هذا الإعجاب في جمل متناثرة كلما تحدثت معها، وكذلك كانت تحملني بالسلام لشخص أمي الوقور، ولعل هذا أيضًا سر اهتمام السيدة بشخصي فيما بعد؛ حيث إنها أعجبت بأمي كثيرًا وعرفت فيما بعد أنها تذكرها بابنتها الراحلة.

فيقوم مجدي ويعلن أنه تأخر على عمله، وأنه لا بد له من الذهاب على أن يعود بعد ساعات، فأشكره وأنا متضجع على الكنبة، ويذهب صاعدًا إلى شقته في الأدوار العلوية من العمارة.

تقوم السيدة وتحضر شايًا وبعض الفطائر، هي تبتسم لي بأمومة واضحة، فهي سيدة ذات جمال غابر حزين، ممتلئة تلبس نظارة طبية رقيقة، وتلبس جلبابًا منزليًا محتشمًا، وتضع الطرحة السوداء على رأسها، تعاود الجلوس أمامي وتناولني الشاي وهي تقول:

-اشرب يا حبيبي والنبي ده أنا بعزك زي ولادي ومنساش أبدًا الفسيخ الجميل اللي إنت بتجيبه في كل مرة تسافر.

أشكرها من قلبي وأعتدل قليلاً لأتناول الشاي والفطير.

تنظر إليَّ السيدة الطيبة في ارتباك وتقول:

- البت البايظة دي اللي اسمها نجلاء ما لها وما لك؟!!

أنظر لها وأقول بصدق:

- ما فيش حاجه والله يا تيته.. هيا اللي بتجر كلامي كل ما تشوفني.

يتعكر وجهها الطيب وهي تقول:

- بلا قرف دي عيلة وسخة، كل يوم خناقات في الشارع، وأمها وأخوها عاملين زي الوباء، ابعد عنهم يا تامر يا بني.





أنا: والله ولا في دماغي حاجه يا نينه وإنتي عارفه.

السيدة: عارفه إنك ابن ناس، ده إنت أمك زي الهوانم.. ضحكتها بحساب وكلامها زي العسل وشكلكم ولاد أصول.

أنا: أشكرك يا نينه.

تنظر السيدة إلي بطرف خفي وتقول بحذر:

- وإيه حكاية العفاريت اللي بتقولها البت الشعنونة دي؟

أنظر لها بعمق ثم أنظر للأرض ولا أتكلم.

تنظر إلي السيدة بتركيز ويمر وقت ثم تضع يدها الحنونة على كتفي وتقول ببطء:

إيه يا تامر؟! إنت شوفت حاجة؟ ها؟!!

أنظر لها وأرتبك جدًا، فليست لدي الجرأة لأقول لأم أن شبح ابنتها يهاجمني ليلاً، ولكنها تدرك من صمتي إجابتي.

تنخرط السيدة في البكاء الصامت.. تنظر لأعلى وهي تدعو:

يا رب ما يحرق قلب أمك عليك يا بني.

ثم تبكي بحرقة وتقول من بين دموعها:

النار اللي حرقت بنتي لسه مولعة في قلبي لحد دلوقتي يا ابني.

أنظر لها وقد طفرت عيناي بالدموع ولا أتكلم.

تعود السيدة لتقول لي من بين دموعها:

أنا كل يوم بدعي ربنا يغفر لها ويرحمها.

أنظر لها وأقول:





- ده قضاء ربنا يا أمي وانتي مؤمنة.

تصرخ السيدة صرخة مكتومة وتتنهد بحرقة مفاجئة وكأنها تزيح كتلة لزجة عن صدرها وتقول:

- ونعم بالله يا بني.. بس يا ترى ربك هيغفر لواحدة انتحرت وحرقت نفسها؟! ربك هيغفر لواحدة ماتت كافرة؟!

أنظر لها بذهول ولا أجد أي كلمة تسعفني.

إذن فالعفريت الذي رأيته بالأمس هو لسيدة- منتحرة حرقًا- عن عمد، وليس الموضوع حادث كما توقعت.

يا نهارك الأسود يا تامر!!









4 أنا جيت نورت البيت

رحبت السيدة العجوز بوجودي في منزلها على سبيل النقاهة، وطبعًا كنت مرحبًا بوجودي عندها، ولعدم الشبهة نزل ابنها مجدي ذو العرج الخفيف ليقيم مع أمه في وجودي في شقتها بالدور الأرضي، واكتشفت أنهم آية في الكرم والحفاوة ولم أشعر بأي حرج كأنني في بيتي، وكانت المرأة تغيب في السوق وتعود لتقف في مطبخها وتمارس عملها كأي أم يعيش معها أبناؤها الرجال، وكان مجدي رجلاً لطيف المعشر رقيق الملامح دقيق التكوين، شعره فاحم ناحل في مقدمة الرأس يمتلك عيونًا حزينة حساسة جدًا، وأتى ببنت ممرضة من الصيدلية لتداوي جراح ساقي ورأسي بأدواتها الطبية، واستكنت واستراحت نفسي واستعدت بعضًا من هدوئي المعروف عني، وزارتني الابتسامة بين هؤلاء الناس الطيبين وتناسيت مأساتي خصوصًا مع اجتماع أبنائها الرجال عندها في السهرة، وتعرفت عليهم بشكل أقرب بالرغم من أنني كنت أسكن معهم في نفس العمارة من أكثر من ثماني شهور.

وبينما كنت أحادثها سألتها بطريقة عفوية:

أنا شايف يا نينه إن كل ولادك رجال؟

نظر مجدي لأمه في إشفاق وعمّ الصمت الحزين على الجميع، بينما سهمت المرأة قليلاً ثم تنهدت قائلة:





مكنش عندي إلا ناهد الله يرحمها وهي البكرية على كل الصبيان دول.

أنا: الله يرحمها.

هي: الله يرحمها ويسامحها، كانت نور عيني وإيدي ورجلي، وأبوها كان بيحبها بجنون، ومن كتر حبه فيها أصر إنها تتجوز معانا في البيت ويكون لها شقة زيها زي الصبيان، أبوها كان فاتح محل في شارع بوسطة سوق الحد في الجيزة، وكان محبوب من كل الناس، وكان اسمه أبو ناهد من كتر اعتزازه بناهد.

التمعت عيون المرأة بالدموع، وهي تحكي عن ابنتها الوحيدة، ونظرت لمجدي فوجدته منتبهاً لكلام أمه من الواضح أنها المرة الأولى التي تتكلم فيها المرأة عن ابنتها منذ سنوات.

■■■

احنا أصلاً من الإسماعيلية يا تامر يا بني، وأنا اتجوزت أبو ناهد وهاجرنا للقاهرة سنة 56 وربنا رزقنا بأول خلفه كانت ناهد، وكان أبوها بيحبها ومهووس بيها ويدلعها ويجيب لها أحسن حاجة، وكان اسمه وسط الناس - أبو ناهد - وخلفت بعدها خمس صبيان، واحد منهم ربنا افتكره، وعشت مع أبوها حياة مستقرة وكبرت ناهد وبقت أجمل بنت في الحي كله، كانت طويلة مقسمة، جسمها كان زي الملبن، وسطها زي نجوم السيما، عيونها بني غامق وشعرها اسود طويل، كانت زي القمر الله يرحمها من صغرها وهي محل إعجاب الجميع من جيران ومعارف، وكانت جنبي تساعدني لأني زي ما قلتلك

كنت موظفة في التربية وتعليم وهي اللي ساعدتني في تربية إخواتها الصبيان، وخصوصًا إن أبوها قعدها من المدرسة بعد ما خلصت الابتدائية لأن ماكنتش ليا في التعليم، لكنه كان بيهتم بيها ويدلعها خصوصًا إنها كانت فايرة العرسان ابتدوا يخبطوا على بابنا وهي في سن 14 سنة، وياما حصل مشاكل بسبب رفض أبوها للعرسان لأنه كان مرتبط بيها لدرجة حصلت مشكلة كبيرة بسبب إنه رفض عريس لناهد ابن تاجر زميله في الجيزة وقامت عداوة كبيرة بينهم بسبب الرفض ده لإن التاجر ده هو ومراته اللي هي كانت صاحبتي برده كانوا عايزين ناهد بسبب جمالها لابنه وكان ابنهم مجنون بيها وبيطاردها في كل حته لدرجة إنه كان بيستنى بالساعات على ناصية شارعنا مستني ناهد تخرج تجيب حاجة، وكل شوية يبعت أمه - الله يلعنها - وإنت عارف زمان البنات كانوا بيجوزوا وهما صغيرين، أنا نفسي اتجوزت أبوهم وأنا بنت 15 سنة وكملت الإعدادية وأنا مع أبوهم.

وكانت ناهد حبيبتي شايفة أد إيه أنا شقيانة في البيت لإن معنديش غيرها، والباقي صبيان وانت أدب وحنية الدنيا فيها ونعم الصديقة ليا، وكانت بتدبر كل أمور البيت أحسن مني وخصوصًا طلبات أبوها لدرجة إني كنت بغير منها لأنها كانت بتعبد أبوها، وارتبط كل إخواتها بيها كأنها أمهم مش أنا، وعشان كده لما أبوها قرر إنها تعيش معانا في نفس البيت كلنا رحبنا وإحنا خصوصًا إن العريس - جابر - كان ابن عمها وكان طاير بيها... تسكت المرأة وتسهم ببصرها بعيدًا وتستعيد ذكريات أكثر وتواصل، بينما أنا وابنها مجدي ننصت بكل جوارحنا..

اتجوزت ناهد من ابن عمها في سن 17 سنة وكان الكلام ده في سنة 75 أو 76 مش فاكرة.

وولدت أول ولد ليها - حسام - بعد تسع شهور، وفرحنا فرحة الدنيا بيه، وكانت نفسها طول الوقت تخلف بنت عشان تكون ليها صديقة ومساعدة زي ما هي، كانت معايا لكن النصيب جه بالولد الثاني ووراه جه الولد الثالث وهي هتموت على بنت، وجابر جوزها كان مبسوط بخلفة الصبيان، وابتدى الموضوع يكبر في دماغ ناهد، وكانت نفسها في البنت، ولما كانت تقول كده أدام جوزها كان يقولها أنا خلاص مش عايز عيال تاني بس أنا أعرف أربي دول، وطبعًا هي كانت حزينة لان نفسها في البنت، المهم هي ركبت شريط - وسيلة - عشان تمنع الحمل زي ما طلب جوزها منها، وقطعت حوالي خمس سنين وفي سنة 86 تقريبًا حملت على الشريط - اللولب ولكن جرت العادة على تسميته بالشريط - وكانت مشكلة بينها وبين جوزها اللي مش عايز عيال تاني وكان عايزها تنزله لكن أبوها اتدخل وقالله: يا جابر حرام عليك!! والغريب إن جابر كان رافض جدًا إن ناهد تحمل ومكناش عارفين ليه، وعاشت في نقار ومشاكل كتير مع جوزها لدرجة إنه بقي يبات بره البيت في عز ما كانت في تعب الحمل، واللي زود الطينة بلة إن أبوها ربنا افتكره وهي حامل في الشهر السابع، وبقت البت تنزل ترف من كتر الحزن على أبوها، حزنت عليه لدرجة إننا قلنا إنها هتموت وراه، وليل ونهار بكى وعياط لدرجة إني بقيت أنا اللي أصبرها وأقولها: «وحدي الله يا بنتي وخافي على اللي ببطنك» وبقت تصرخ زي المجنونة وتخرج لوحدها من البيت ومبنقاش عارفين هيا





بتروح فين، وطبعًا زادت المشاكل مع جوزها ومبقاش بيجي البيت بعد العزا ولا يسأل فيها، واتغير شكلها وبقت عاملة زي المجانين تصحى من النوم تصرخ وتنده أبوها للدرجة إننا عرفنا إنها بتخرج بالليل من غير ما نعرف بتروح فين وتتأخر وترجع مليانة تراب وشكلها غريب جدًا، وبقت ساكتة ومسهمة وأنا مبقتش عارفة مالها، لا طايقة البيت ولا طايقة عيالها ولا طايقاني أنا شخصيًا، ولما كنت أحاول أقرب منها كانت تصرخ في وشي وتقولي: «يا ريتك إنتي اللي موتي مكان أبويا أنا عايزة أبويا» وتسيبني وتطلع تقعد لوحدها على السطوح، وبقينا نخاف نكلمها لحسن يجرالها حاجة خصوصًا إنها كانت على آخرها وعلى وش ولادة، وبقيت مش عارفة أعملها إيه، ولما كنت أطلع أشوفها أسمعها بتتكلم مع حد مش موجود، وترتطن بطريقة غريبة وبكلام مش مفهوم وجوزها هربان من البيت مش عارفين هو فين، وولادها بقوا مش عارفين يتعاملوا معاها وبقوا بيخافوا منها وينزلوا يناموا عندي مع أخوالهم ويسيبوها هي فوق لوحدها.

وفي يوم أسود جالها الطلق وكانت بتموت ووشها كان أزرق وحسيت بقلب الأم إن بنتي هتموت، وبدل ما نجيب الداية جريت وجبت حكيمة- ممرضة ذات شأن تسمى حكيمة- كمان وكانت الولادة عسيرة وصعبة، وافتكر إن ناهد قعدت تولد في المولود يومين ورا بعض وتصرخ بعزم ما فيها كأنها بتتشق من جوه

وكنا كلنا على أعصابنا وحسينا إن ناهد هتموت في الولادة دي.

وساعة الولادة سمعنا صرخة ناهد وشهقة الداية وصرخة الحكيمة مع بعض في نفس واحد.

سكتت المرأة لتلتقط أنفاسها بينما أنا ومجدي ننتظر باقي الحكاية.

نظرت لنا المرأة وتغير صوتها ليصبح مرتجف قليلاً رهمست بصوت مبحوح: المولود جه مشوه ومش باين إن كان ولد ولا بنت، وكانت شفايفه مشقوقة وشكله استغفر الله العظيم شبه الحيوان أو شبه الضفدعة حاجة كده تقع من طولك لما تشوفه، ومتقدرش تبص في وشه استغفر الله العظيم كان حاجة كده زي الشياطين ولا الحيوانات والمصيبة إنه لا كان باين إنه ولد ولا بنت.

نظرت باندهاش أكبر للمرأة وسألتها:

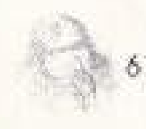
يعني اتولد مخنث زي ما بنسمع؟

المولود كان زي ما تقول كده الاتنين في بعض لا منه ولد ولا منه بنت، وكان عايش وبيصرخ بصوت غريب جداً زي استغفر الله العظيم صوت الكلب ولا العرسة مش عارفة، وجريت على الأوضة لما سمعت صوت الدكتوره بتحاول تهدي ناهد وناهد بتصرخ بصوت تعبان:

الحقيني يا ماما يا ماما يا ماما.

دخلت لقيت الدكتوره والدايه وشهم أزرق وشايلين العيل ومش عارفين يعملوا إيه، وأول ما بصيت عليه حسيت إني هيغمى عليا من شكله، كان بشع وعيونه باظرة وشفايفه الفوقانيه مشقوقة بالطول ويتلوى في إيديهم وهما خايفين منه.

مسكت المولود منهم ولفيته في الشكير وقلتلهم:





صلوا على النبي أمال.. وإنتي يا ناهد كل العيال بيكون شكلها كده أول ما تتولـد وبعدين هيكون زي الفل يا حبيبي، وناهـد على صرخة واحدة.

- مش عايـزاه يا ماما أنا خايفة منه ده شـوم.. يا مامـا مش عايزاه ده شـوم.. ده مـوّت أبويا وخالّلي جابـر جوزها طفـش- وكان ليها حق- لكـن الحكيمة قالـت لها :متخافيش يا ناهد شـفايفه دي هتتخيط وتتلم وده بيحصـل لما الجنين بيتولد وسـقف حلقه مشقوق.. وهيكون طبيعي وأنا شايفه إنها بنت مش واد وكله بالجراحة يا حبيبي.

- ولقيت الداية بتبص في المولود أوي وسكتت وأنا لاحظت طبعًا وش الدايـة ومعلقتـش ونضفنا المولـود وقربناه من صدر ناهد عشـان ترضعه، وهي منهارة ورافضة وبتنهج وأنا بقولها من ورا قلبي يا حبيبتي خدي بنتك والله هتبقى زي الفل صلي على النبي، وقولي يا رب، وأنا من جوايا لاقيـت قلبي اتقفـل ومبقتش عارفـه أعمل إيـه خصوصًا إن الدكتوره بتقول إن المولود صحته ممتازة ووزنه عال العال.

لكن ناهد- المسكينة- رافضة حتى تبص عليه من كتر ما هو شكله استغفر الله العظيم زي العفريت، راسه كانت كبيرة وجسمه مسحوب وإيديـه ورجليه كبيـرة وعنيه بعيـدة أوي عن بعض ومبرقـة وبتلمع، ده غير شـكل بقه- استغفر الله العظيم اللهم لا اعتراض- وجسمه مكسي بالشعر الخفيف الأسـود، ولاقيت الحكيمة بتقول فيـه مواليد بيتولدوا كـده نتيجـة إنهم كانـوا مزتوقيـن في عنـق الرحم ومـع الأيـام حالتهم بتتحسن، وحسيت إن الحكيمة عايزه تقفل وتمشي بأي طريقة، وفعلاً مشيت وكان ما فيش حد في البيت غيري أنـا والداية وناهد وإخواتها،



وكان أبوها مات من حوالي شهرين ودمه لسه ميردش، الله يرحمه، وجوزها جابر -الله يسامحه - طفشان ومنعرفش عنه حاجة.

وبعد ما مشيت الدكتوره مسكت الداية من دراعها وقلت لها - ما لك يا أم محروس؟ وشك بيقول فيه حاجه انطقي.. بصت الداية في عيني وسكتت، ولاقيت ناهد بتعيط بحرقة وهي لسه تعبانه.. لاقيت الداية بتقولي:

معلش يا أم ناهد قدر ولطف المهم ناهد تبقى كويسة.

سألتها بتركيز وأنا هتجنن ومش طايقه أبص في وش المولود:

إيه ده يا أم محروس العيل شكله استغفر الله غريب كده ليه؟!

بصت الداية في وشه فترة وظهر عليها علامات الفهم حيث ترتفع الحاجب وتشرد العيون وقالت:

المولود ده (مبدول) يا أم ناهد!!

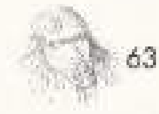
قلت لها: مبدول يعني إيه يا وليه؟!

بصت في عيني وقالت:

إنتي مش غريبة المولود ده لابسه جن، وقالب سحنته زي ما بنقلب الشراب ضهره على وشه.

- يا نهار أسود بتقولي إيه يا وليه؟!

- قدّر ولطف وإن شاء الله نشوف هنعمل إيه متقلقيش بس المهم بنتك دلوقتي تاخده في حضنها وتكفي على الخبر ماجور وربنا يسهل لما تشد حيلها.





بصيت للدايه وأنا مش فاهمه.. فاتكلمت بصوت واطي بيني وبينها:

- فيه ناس بيحسدهم الجن على اللي في بطنهم، ولو كان بيعشق الأم بيبدل العيل بعيل تاني من الجن عشان الأم تخاف منه ومترضاش ترضعه فيموت منها عشان الجن عايزها خالصة مخلصة ليه هو.

استغفرت ربنا ومدخلتش الكلام مخي خصوصًا إن الوليه الدايه دي مشهورة بالحاجات دي وأنا ست مؤمنة ومبحبش الكلام في الحاجات دي.

ولما سألتها العمل إيه قالت لي:

: احنا نهتم بالعيل وترضعه ونخليه معانا لحد ما يعرف إن ما فيش فايدة فيرجع يبدل العيل تاني بالمولود بتاعنا أو نشوف طريقة، لفيت المولود في اللفة وقربته من ناهد لاقيتها منهارة ومسكت مني المولود وكانت عايزه ترزعه في الأرض.

مسكت إيديها على آخر لحظة وقلت لها: يا بنتي حرام عليكي.. اتقي الله إنتي عايزة تقتلي ضناكي بإيديكي.

صرخت: مش عايزاه يا ماما مش قادره أبصله.

موتيه يا ماما ارميه في الزبالة ارميه في الكبانيه مش قادره يا ماما.

وطيت عليها وقلت لها:

: يا بت اصبري وصبرك بالله وكل شيء هيتداوى وعلى فكرة الدكتوره بتقول إنها بنت مش ولد.

صرخت ناهد في وشي:




: كمان بنت وشكلها كده؟ ليه يا ربي بس؟ يا ريتني كنت سمعت كلام جابر يا ريتني كنت مت ولا أشوف بنتي بالشكل ده.

لاقيت الداية بتقرب منها وبتمسك إيديها وبتقولها:

متخافيش يا بنتي اصبري شوية وكل شيء هيتصلح وربنا هو المعين.. ومتعرفيش الخير فين.

صرخت ناهد بضعف شديد:

: خير؟! فين الخير ده؟ أنا حاسة إن أيامي أسود من الليل أنا عايزه أموت عايزه امووووووووووت

■■■

سكتت الحاجة ذكية عن الكلام بينما تنظر لها أنا ومجدي بذهول وصمت.

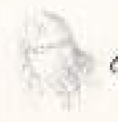
وسألتها:

: مبدول؟ أنا سمعت الكلمة دي قبل كده أو قريتها في كتاب.

: العيل المبدول هو الطفل اللي يكون شكله وحش أوي ويكون لابسه والعياذ بالله جن أو شيطان.

رجعت أسألها بإلحاح.

طيب وده من إيه؟ إزاي ده حصل؟ وعملتم إيه؟



نظرت لي الحاجة ذكية بإشفاق وقالت لي متستعجلش.. كل اللي أقدر أقول هولك إن ناهد كان عندها حق وأنها فعلاً ماشفتش إلا العذاب والويل بعد ولادة بنتها أشجان.

أنا: إنتوا سمتوها أشجان؟

الحاجة: أيوه يا تامر ومن ساعتها مشفناش الخير تاني.

سألتها وأنا كلي فضول:

إزاي يا نينه؟

نظرت إلي وتنهدت وقالت:

مش هتصدق يا بني.

أنا نفسي مش مصدقة لحد دلوقتي.





5 الليل والمقابر والنداء واللقاء



لماذا دائمًا ما تتعلق الابنة بالأب بهذه الطريقة المرضية؟ فناهد توحدت تمامًا مع الأب وأصبحت له الخادمة والمهتمة بكل شئونه الخاصة لدرجة أثارت غيرة الأم والإخوة الرجال حتى – بعد زواج – ناهد ازداد تعلقها بأبيها لدرجة الجنون، وبادلها الأب حبًا واهتمامًا ولبى كل طلباتها مبديًا أهميتها لديه عن باقي أولاده وعن زوجته، كانت تشعر به كأخ توأم لها، تهتم بمظهره وبعطره وتشتري له الملابس بنفسها، وعندما يمرض ترقد بكل إصرار تحت قدميه تداويه وتدلكه وتترك زوجها وأولادها من أجله، كانت تبر به بدرجة هيستيرية، وهو يبادلها بحنان الأب واهتمامه ورعايته، وكان لا يطيق أبدًا أن تعاملها الأم بجفاء أو أن يؤذيها جابر زوجها أو يدوس لها على طرف، وكان دائمًا ما يتبادل معها الأسرار الخاصة بعمله ومكاسبه دون الأم فقد كان لا يثق إلا فيها.

وعندما تزوجت ناهد من جابر أدرك هو أن العلاقة بين البنت وأبيها علاقة مرضية، وأنه لن يستطيع زحزحة هذه العلاقة خصوصًا أن والدها هو عمه وصاحب الفضل الأول عليه في تكوينه كتاجر ورجل محترم بين الرجال، ومع تقدم الأب في العمر وكبر أولاده زادت المسئولية على ناهد كأم فأصبحت تتابع أبيها بدرجة تركيز أقل ولكن على مضض منها، واستمرت الحياة ومع رغبة ناهد الشديدة في إنجاب





البنت توهجت الخلافات بينها وبين زوجها خصوصًا عندما حملت رغمًا عنه، وتدعيم الأب لها في هذا الإنجاب،

وقبل الولادة بشهرين كان الأب في طريقه للقاهرة بعد رحلة عمل في الإسكندرية ليقع حادث مأساوي على الطريق الزراعي ليموت الأب تاركًا الجميع في ذهول الأحزان، وليختفي جابر بعد العزاء بيومين بعد عدم تحمله لمظاهر الحزن العارمة لناهد نفسها والتي كان يراها مبالغًا فيها جدًا.

والآن لننعم بنظرة قريبة لناهد المذهولة من فاجعة موت أبيها، تلقت ناهد الخبر ببطن منتفخ من الحمل وعقل مشغول بتغير معاملة جابر لها ليطبح بها الحزن في هوة عميقة بلا قرار، فأصبحت كالمجانين تصرخ وتلطم وتقطع شعر رأسها وتمزق لحم وجهها، وقد أصابتها لوثة مدمرة، وأصبحت غريبة الأطوار لا تأكل ولا تتعامل ولا تنظر ولا تهتم بأي تفصيل، تتحرك كالتمثال وتعجن طحين الحزن بماء عينها والخبز، في لهيب حرقتها على الغالي المفقود، تلعن وتسب الزمن والأيام وتشاءمت بعمق من وليدها المنتظر، وقد أيقنت أنه نحس وأنه سبب كل الكوارث التي حلت بها، فزوجها هجرها ولم يراع حزنها العميق، ومات الوالد الذي تعتبره السند والحبيب في الدنيا، ولم تعد تطيق الحياة نفسها وتمنت الموت لتلحق بأبيها فهي لا تطيق أنفاسها التي تثبت أنها على قيد الحياة، بينما أبوها الحبيب في عالم الموت بلا رجعة،





لقد ما تغيرتي يا ناهد وذبلتي وأصبحت كعصاة يابسة متورمة من المنتصف بحمل لا تريدينه أصلاً، يجيء الليل وينام الجميع بأحزانهم السطحية لتنعمي أنتي بالنصيب الأعظم منها، وفقدت الحياة نفسها، الطعم واللون والرائحة، تصحين من غفوتك على دموعك الحارة وتنادين بكل يأس على من لا يرجع، ترغبين بشدة في رؤيته.

نعم أريد ان أرى أبي أريد أن أزور أبي حالاً، فهو يريد أيضًا أن يراني أنا أنا، أنا أعرف ذلك، تقومين من رقدتك عازمة على الذهاب للمقابر تنزلين على السلم ليجدك أخ من إخوتك أو ابن من أبنائك أو أمك ذاتها تصرخ فيكي بأنك جننتي، ولكن كل هذا لا يهم، إنني أريد الذهاب لأبي.

يجبرونك على الرجوع بكل الطرق، تنهار مقاومتك وتستسلمين رغمًا عنك، كما تركك جابر رغمًا عنك ومات أبوك أيضًا رغمًا عنك.

نااااااااااااااهد نااااااااااهد

تنتبه ناهد لهذا الصوت الخافت في أعماقها نعم يا أبي أنا هنا ماذا تريد؟

دائمًا تسمع ذلك النداء دائمًا تشعر به ينادي من بعيد.

يا ناااااااااهد....

كانت ترى ذلك الصوت– ولاحظوا أنه مجرد صوت– لكنها كانت تراه كبالون الكلام في القصص المصورة، إن أبي يناديني ليقول لي شيئًا مهمًا لعله يريد البوح بسر مهم لها.





استحوذ هذا الإحساس تمامًا عليها، وترقبت وصول هذه الرسالة الروحانية طوال الوقت، لذا صمتت أكثر الوقت، وانتظرته كثيرًا في نومها الكثير لعله يجيء، وفي ليلة قمرية وقد نام الجميع تسمع الصوت بوضوح أثناء نومها:

- نااااااااهد تعاااااااالي.

تقوم ناهد وكأنها منومة مغناطيسيًّا تلبس عباءة سوداء، وتلتفح بطرحة سوداء، وتتجه ناحية باب شقتها بهدوء حذر، فالساعة تقارب الواحدة صباحًا وقد نام الجميع، تنسحب خارجة من الدار ومتوجهة رأسًا إلى مقابر الأسرة حيث يرقد أبوها، تخرج للشارع وتشير لأول تاكسي وتطلب منه التوجه للسيدة نفيسة، ينظر السائق لبطنها المنتفخة بإشفاق ويوافق على مضض ظنًّا منه أنها تريد الذهاب إلى الحي نفسه ولا يعرف أنها تريد الذهاب إلى المقابر المتاخمة للجامع الكبير.

تركب معه ساهمة شاردة يحاول التحدث معها لا ترد عليه فقط تنظر للطريق وتتعجل الوصول للمقابر على أحر من الجمر، تنهب السيارة الطريق بسرعة بفعل تأخر الوقت، فالساعة قاربت على الثانية صباحًا، تصل السيارة للمنطقة التي هي عبارة عن شوارع مظلمة تحفها أحواش المقابر من الجانبين، قبل الوصول للمسجد الشهير تأمره بالتوقف في منطقة ساكنة قريبة من مقبرة الأب، يتوقف السائق مندهشًا وتترجل من السيارة وتلقي له بالنقود دون أن تنظر له أو تنطق بكلمة، ينظر لها السائق بدهشة أكبر ويشعر بخوف غريب منها ويتحرك مسرعًا تاركها وحدها تمشي في الشوارع الجانبية المظلمة للمقابر، تمشي بهدوء واطمئنان وذهول، وكأنها إنسان آلي لا يعي ما يفعله الآن فقط، فهي الآن، وهنا

غريب، تشعر بألفة واطمئنان عجيب، وكأنها تشمي في رقعة من ذاتها، تتحرك من الشارع الواسع إلى الشرايين الضيقة المظلمة قاصدة مقبرة الأسرة، لا تخاف ولا ترمش عيناها، تمشي بحملها المتضخم متوجهة بمنتهى الثبات حيث المثوى الأخير والرقدة النهائية للأب العزيز.

لا تهتم بظلام ولا تكترث بالموت فهي تعرف أن أباها ينتظرها وينادي بكل حنان عليها، لعلك يا أبي تريد شيئًا أو ترغب في قول سر لي، فأنا قادمة يا أبي لا تقلق، ها أنا على وشك الوصول يا أبي الحبيب، وقبل الوصول إلى الممر الضيق الواصل لمقبرة الأب نفسه، تمشي على أرض متربة غير ممهدة وغير متماسكة أيضًا، تمشي بصعوبة لكن بثبات، تشاهد شاهد القبر من بعيد وهي تعرفه فهو مطبوع في ذهنها، تتحرك ناقلة أقدامها على التراب، الدموع تحتشد في عينها تتجمع وتتجمع لتجعل الرؤيا عسيرة حقًا، تتسارع أنفاسها وتستعد للعويل والبكاء، تقترب وتقترب من القبر، احتشدت الدموع الساخنة بينما ثم.........................

تنزلق قدماها في حفرة لم ترها بسبب الدموع، ليختل توازنها بفعل غرس قدميها في الحفرة إلى ركبتيها، لتتهاوى على الأرض الترابية منكفئة على وجهها وعلى بطنها المنفرخ بكل عنف ومفاجأة، يصطدم وجهها الأبيض بالتراب وتدور الدنيا من حولها، وعندما تدرك أنها تفقد الوعي ترى بعيون غائمة كيانًا أسود ضخمًا يقترب منها، كيانًا يمشي على أربع ويلهث بثقة وود، كلبًا أسود ضخم يقترب منها ببطء وثقة، وقبل أن تغيب تمامًا عن الوجود تمنت أن تموت سريعًا.





6

اختفاء مريج

انطرحت ناهد على بطنها المتفخ وأحست بأن رحمها يكاد ينفجر من أثر السقطة المفاجئة وتعفر وجهها الأبيض بتراب المقابر، وقبل أن تغيب تمامًا عن الوعي رأت بأم عينيها كلبًا أسود بالغ الضخامة يتقدم منها ببطء وثقة، رأت في عيونه نظرة لا تمت للحيوان بصلة.

أبصرت كف أرجله السمين وأصابعه المدملجة التي تضرب الأرض بغرور وثقة، شعرت بأنفاسه الحارة وهو يتشممها في صمت.. نعم في صمت فقد كف عن اللهاث المميز للكلب، فكان الكلب يتفحصها ويتشممها ويضع أرجله الأمامية على كتفيها ويقبض على ملابسها بأسنانه ليجرها بعيدًا عن الحفرة، وقبل أن تغيب المرأة تمامًا عن الوعي أطلقت آهة ذعر طويلة خافتة، بينما المخلوق الأسود الهائل يجرها جرًا بعيدًا عن الحفرة، ولكن تلك الآهة البسيطة وصلت لأذن مخلوق آخر غير الكلب.

إنه عم عبد الله التربي الذي كان مضجع بالجوار يشرب الشاي الأسود، الكلب الضخم يتحسسها بأرجله الأمامية ولسانه في صمت، وعم عبد الله يقوم من رقدته ليتجه رأسًا لمكان تلك الآهة الخافتة، الكلب يقوم بجرها بهدوووووووء ويتشمم بطنها المتفخ بين حين وآخر، بينما ناهد تتلقى ذلك الإنقاذ برعب عاتي وقد فقدت النطق

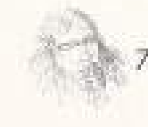
تماثيا، وجعل جسمها يهتز كهربيًا كجهاز يتعطل إثر شرارة كهربية مدمرة.

ويصل عم عبد الله للمكان لينظر بأم عينيه على المشهد الغريب، يتوقف الكلب عن جرها وينظر بتحدٍّ وثبات لعم عبد الله، ولكن الأخير ينحني على الأرض ليلتقط حجرًا ويقبض بأصابعه عليه، بينما الكلب ينظر ليديه وللحجر بتركيز وثبات.

عم عبد الله يرفع يده بالحجر وهو يرتعش من ضخامة الكلب وثباته ويتمتم بآيات قرآنية بشفاه مرتعشة، الكلب وكأنه يصغي قليلاً للتمتمة ويتراجع للخلف استعدادًا للانقضاض ومرجعًا أذنه للخلف في عداوة قاسية ومصدرًا زمجرة مرعبة على الرجل، ثم يغير فجأة من موقفه ويصدر صوت أنين الكلاب المعروف، ويسمع عم عبد الله ذلك الأنين ليتشجع ويقذف الكلب بالحجر بكل ما أوتي من قوة ليصيب الكلب في رأسه، لينطلق الكلب عواء مهولاً في صورة صرخة ألم ويبتعد من فوره مختفيًا عن الأنظار.

يتقدم عم عبد الله بما كان يظنه -جثة- ليجد امرأة حاملاً فاقدة الوعي وتهذي بكلام غير مفهوم وتتحرك جسدها باهتزازات كهربية متتالية.

مممممممممممم تصرخ ناهد من حلقها ولكن صوتها لا يسمع، يتكور بطنها ليصبح كبالون كبير منتفخ، وتحاول ناهد الصراخ ولكن حلقها جاف وحركتها ثقيلة، ينفسخ لحم بطنها وتنفجر منه حمم مشتعلة ولكنها لا تشعر بألم، إنها تشعر بشلل كامل بينما ما يتحرك فيها





هو دموعها الفوارة من عيون لا تريد أن ترى مصير جسدها الغريب تصرخ وتصرخ بلا فائدة.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

فوقي يا بنتي اصحي بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تفتح ناهد عينيها لتجد امرأة عجوزًا، متغضنة الوجه متشحة بالسواد، ورجلاً عجوزًا يمسك بقلة ماء.

تمسح المرأة بيدها على وجه ناهد بحزم وقسوة وتأمرها بصوت واضح: قومي ثم ترش الماء بقسوة على وجهها.

: فوقي.. قومي... فزي...... يالا انهضي على حيلك. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

يلا يابت قومي وانهضي.

تنظر ناهد وتنتبه تمامًا مع قسوة المرأة وقرصها للحم جسدها بقسوة وتركيز، تنتفض من فعل أصابعها الشبيهة بالمخالب وتبعد يدها فورًا.

: آي ي ي ي ابعدي إيديك.

ثم تبكي فجأة.. تنظر المرأة أخيرًا بارتياح للرجل الذي هو عم عبد الله التربي، ويساعدانها على النهوض لتجلس مكانها بين المقابر، وتقوم المرأة التي هي أم عم عبد الله التربي نفسه وتمد يدها بقلة الماء



لتشكرها ناهد، وتشرب من القلة بجشع وقد انسال الماء على صدرها وهي تتحاشى نظرات المرأة الثاقبة.

تتحدث لها المرأة بلهجة صعيدية ثقيلة:

- مين يا بتي اللي نداكي وخلاكي تيجي هنا؟

: أبويا!

: أبوكِ أعوذ بالله من لمس الشيطان، الأموات يطلبوا الزيارة بالنهار، أما الشياطين هي اللي تطلب الزيارة في الليل، قومي يا بتي لمّي حالك وارجعي دارك الحمد لله لحد كده.

تقوم ناهد نافضة ملابسها السوداء وعدلت من طرحتها وهي في حال من الذهول العجيب، فهي ترى الدنيا بمنظور آخر وكأنها تشاهد فيما تتفاعل مع أحداثه تفاعل المشهد المنفصل عن جو الفيلم نفسه، وكأن الحياة هانت عليها تمامًا واكتفت منها بدور المشاهد المحايد، يذهب معها الرجل إلى الطريق الخارجي ويستوقف سيارة أجرة يقودها رجل مسن لتعود ناهد إلى المنزل.

تلتزم ناهد المنزل بعد هذا الحادث المروع وتكتم الخبر عن الأسرة خصوصًا الأم، وتعيش هي في فراغ الحياة تتلوى بألم كخيط دخان يتراقص في فراغ المكان نفسه، تشعر بطعم الصمت والترقب وهيا تدرك أن ثمة شيئًا ثقيلاً أضيف لقائمة أحزانها ولكنه شيء لا تعرف كنهه، فهي تنام كثيرًا جدًّا وتحلم بأحلام عنيفة تمت لعالم الجنس بصلة قوية، وتتراءى في أحلامها هي نفسها بأوضاع فاحشة لم تكن





لتتصور أنها قد تفكر بهذا الشكل وبالغت في كرهها لنفسها باعتبار أن هذه الأفكار من نتاج عقلها الخاص، واحتقرت نفسها وزادت تعاستها العميقة، إذ كيف تفكر في هذه الأشياء وهي الحزينة المنهارة اليتيمة حديثًا وبطنها المتفخ بحملها الثقيل أيضًا.

لالالا لا بد أنني جننت، لا بد أن أموت، لن أقدر على مواصلة الحياة بهذه الأفكار الحقيرة، وتحولت ناهد لشيء آخر قبل أن تحين ساعة الولادة الرهيبة.

تلد ناهد في تلك الظروف الغريبة، المولودة مشوهة لا تمت للطفولة بصلة، بل هي أقرب لجنين مشوه لحيوان مجهول، خليط بين الذئب والقرد أو ما شابه، فرأسها كبير تتحرك بغنج ودلع الأطفال، ولكنها حين تتوتر تتحول لخرتيت صغير، وتصدر أصواتًا لاهثة وكأنها على وشك الانفجار، وكانت تثير ذعر ناهد كثيرًا - ولكنها أيضًا أم- يبتعد جابر أكثر عنها بسبب نفوره الشديد من المولودة الجهنمية، فالبنت منفرة في نظره مقززة تثير التشاؤم المركز، والعجيب أن أشجان كانت تنتابها حالات تشنج وهيجان شديد في وجوده، وكأنها تعرف شعور أبيها الحقيقي تجاهها، وكانت هذه التصرفات تثير جنونه أكثر وأكثر، وحدث أن الأم قامت للحمام تاركة المولودة على الفراش ليدخل جابر غرفة النوم في حين تغفو أشجان ملفوفة بإحكام ككل المواليد، يقترب جابر منها وينظر بتمعن وتقزز إلى ملامحها الشيطانية وتجري في رأسه خواطر سوداء تقول له إنه من الممكن قتل البنت والخلاص من جذور المشكلة نفسها.



يدخل جابر بجسده العريض وشعر رأسه الأسود للغرفة، يقترب ينظر بتمعن، البنت تغفو ككل الأطفال، لماذا لا يكتم أنفاسها؟ خصوصًا أن ناهد غائبة تستحم في الحمام، يطيل النظر في وجه الطفلة المولودة وتعتريه مشاعر متناقضة بين قسوة الفكرة ورحمة الحل.

وفي لحظة فاصلة بين الموت والحياة تمتد يد جابر بدون إرادة منه هو شخصيًا، تقترب اليد مرتعشة وتنسال قطرات من العرق معلنة عن حرب داخلية تحرك أشجان رأسها وهي لا تزال غافية تقرقر في نومها، تصل يد الأب لوجه المولودة ثم تنزل ببطء القدر وضرباته وتبدأ في الضغط على أنفها وفمها.

تفتح أشجان عيونها وتنظر من خلال أصابع الأب الغليظة مسددة نظرة إلى عينه مباشرة وكأنها تعرفه، تضطرب ملامح جابر وتنتابه رعدة عصبية ليهوى ضاغطًا أكثر على وجه المولدة تتشنج البنت تحت انحباس أنفاسها ولكنها لا تصدر أي حركة! لا تصدر أي صوت! كانت كمن ينتظر الحقنة باستسلام واسترخاء مفروض.

ثم ينتفض الجسد الصغير مرارًا إلى أن تهمد حركته تمامًا؛ في حين طفرت دمعة متصلبة في جفن الأب القاتل، في حين تخرج ناهد من الحمام يسمعها جابر ويرفع يده القاتلة عن أنفاس الطفلة بعد أن استمر طويلاً في خنقها وتظاهر بأنه يبحث عن شيء في دولاب الملابس، تدخل ناهد لغرفة نومها لتجد جابر يقلب في أرفف الدولاب بانهماك بينما تجتاح جابر نفسه شتى المشاعر المتضاربة؛ فهو من قتل ابنته منذ لحظات، وهذا ليس بهين عليه وتحاشى قدر الإمكان النظر لناهد التي





وقفت إلى جواره لابسة برنس الحمام، ولفت شعرها بمنشفة وبدت آية في الحيوية والسخونة، مدت يدها لتخرج غيارات نظيفة من الدولاب.

أخيرًا يستدير جابر وقد جلست ناهد على طرف الفراش تمسد شعرها بالمنشفة، يقترب منها جابر وينظر لها بإمعان ويشعر بأنه طفل وجب عليه الاعتراف لأمه بأنه من كسر المزهرية.

يجلس بجانبها ويضع يديه على شعرها فتلتفت ناهد صوبه صامتة يجذبها إلى صدره جذبًا خفيفًا، تقاومه ناهد في البداية ثم تستجيب بحكم وجودها نفسه ليضمها إلى صدره بقوة ويعانقها عناق من يتلقى العزاء الصامت، و[illegible] خياشيمه رائحة شعرها المبتل، فيضمه أكثر ويبدأ في الانهيار الباكي وهي في حضنه تشد على ظهره وتواسيه بالحنان المنهمر منها كزوجة وأم أولاده، يبكي جابر بصوت لترفع ناهد وجهها إليه وتنظر له بدهشة، وتمد يدها لتسمح دموعه المنطلقة، ترتعش شفتاه متمتمة بجريمته، ولكن ناهد لا تفهمه، يقوم من جلسته لتتبعه ناهد و[illegible] في لحظة رومانسية غائبة من سنين.

غغغغغغغقررررررررقررررغغغغغغ

يتناهى إلى سمعه صوت قرقرة البنت تناغي نفسها بمنتهى السعادة.

تتجه عيونهما إليها، عيون ناهد الأم فهي لا تعرف ما فعله جابر، وعيون جابر المذعورة، فهو متأكد من موتها، وقد كتم أنفاسها قرابة الدقيقة محدثًا أكبر ضغط ممكن على أنفاسها، ولكن البنت حية وسعيدة، كيف؟!! كيف؟!!



يتوتر جابر بحق ويدرك أن الشياطين تلاعبه لعبة الموت بكل قدرة، ينظر لها ناهد ثم تنظر له لتجد وجهه متخشب كمن مسته الكهرباء وجمدته في مكانه، تهزه برفق ليطلق جابر ارتعادة رعب وهو ينظر لها بتركيز، معلش يا جابر بكرة هتكون زي الفل الدكتوره قالت إنها هتكون طبيعية.

ينظر لها جابر ولم يعرف كيف يرد على هذا التحدي المقيت، وتشحن عواطفه بتفاصيل الرفض الجنوني، ويهجم على الرضيعة ويرفعها بغل وعجز ويستعد ليلقيها من فوق كتفه أرضًا لتدخل أشجان في نوبة تشنج وبكاء هيستيري، وتسرع ناهد لتأخذ منه البنت بقوة بعد أن أدركت أنه يريد إلقاءها أرضًا ليرديها، ينظر لها جابر بنظره طويلاً ولا يجد شيئًا يفعله أمام نظراتها المذعورة على البنت، ويغادرها بل ويغادر المنزل كله لاعنًا الزمن والحظ الأسود.

وسرت العدوى في أولاده أنفسهم، فقد عفت نفسهم حتى على النظر في وجه أختهم الشيطاني، وكثيرًا ما كانوا يشعرون بعداوة متبادلة بينهم وبينها، فهي تفزعهم وتتغير ملامحها لتصبح أكثر شرًّا وقبحًا في وجودهم، وإليكم حادث بسيط، كان أمجد يبحث عن كرة القدم خاصته تحت فراشه، ويبرطم ويتهم إخوته بالاستيلاء عليها ممسكًا بكشاف صغير كان لا يفارقه وقتها، وبينما وهو يبحث تحت الفراش إذ يجد منظرًا لن ينساه، فتحت الفراش كانت ترقد الرضيعة ناظرة لأعلى مفتوحة العين وقد انعكس ضوء الكشاف على جانب وجهها، ينظر لها بتقزز واستغراب وهي لا تزال ناظرة لأعلى.





يمد يده ليهزها وقد انبطح تمامًا على بطنه تحت الفراش العريض، يهزها فلا تستجيب ولا تنظر لها وتستمر في النظر ساهمة لأعلى، يهزها بعنف أكثر مسلطًا الكشاف على رأسها الضخم، ببطء شديد تستدير الرأس الضخمة للبنت وتنظر له في غضب، وأخذت تصدر أصوات وكأنها تتحدث لغة بدائية لا يعرفها ولكنها ممزوجة بلسانها الطفولي، ينظر لها ويبدأ في الكلام الغاضب وإن ارتعشت أطرافه، لتهيج عليه أشجان وتحاول اجتيازه للخروج من أسفل الفراش محدثة ضجة مربكة ومرعبة له، ليصرخ الولد في ذعر حقيقي من البنت التي أخذت في الاهتياج الحيواني، ويا لها من تجربة مريعة لطفل تحت الفراش.

أمجد يصرخ باهتزاز تحت السرير ولا يعرف طريقًا للتراجع خارجًا في حين تسد الطفلة الشيطانية عليه مجال الهروب بتوترها وصوتها الأجش، وتمادت أشجان كثيرًا في إرعاب أخيها المسكين حتى هرعت ناهد غير فاهمة ما يحدث بين الأخ وأخته تحت الفراش، وتمد يدها لتخرجه من ساقيه المكهربة ليغرق أمجد في النواح الهيستيري، بينما تخرج أشجان وراءه زاحفة بريشة لينظر لها بكل مقت الأطفال صارخًا فيها وسط دموعه وفزعه:

«أنا بكرهك يا رب تموتي»

عندما تختلي ناهد بالمولودة أشجان تتقزز نفسها، ولكن الأمومة تغلب أخيرًا عليها، تلقمها ثديها لتتناول البنت ثدي أمها بجشع وجوع طفولي، ويرق شيئًا فشيئًا لهذا المخلوق الغريب، تعيش ناهد على أمل أن يداوي الطب ما أفسدته الشياطين.



الليل قد انتصف الآن والجو حار خانق، وقد تفتحت الشبابيك والأبواب الداخلية طلبًا للترطيب، وقد تجاوزت أشجان عامها الأول بستة شهور، مخلوق غريب صامت لا يتكلم كالأطفال ولا يصدر إلا صوت همهمة وفحيح مرعب.

تقوم بأفعال تبدو كلعب الأطفال ولكنها مرعبة بما يكفي، إضافة لطلتها المشقوقة خصوصًا عندما تبتسم.

فقد كانت البنت - مثلاً - تختفي تحت المقاعد وتنتظر شرود الأم، لتخرج عليها مبتسمة ومقرقرة بلغة الأطفال لتجزع الأم ويثب قلبها من حلقها كما في الكارتون، ولكنها تبتسم في أسى وهي تتأمل ابنتها التي تشبه الممسوخ الهاربين من معامل وزارة الدفاع الأمريكية، فالبنت متوسطة الحجم تميل لبدانة الأطفال وقد اكتسى ذراعاها وساقاها بشعر أسود خفيف، بينما ينتشر بكثافة أقل على الوجه ولكنه مرئي وواضح، إنه شعر بينما التحمت شفتها المشقوقة تاركة ندبة واضحة جدًا؛ لأن العملية التي أجريت لها جراحية تمهيدية لعملية التجميل لاحقًا.

أشجان كانت تتمتع بتصلب وتركيز في النظرات تتشنج عندما تغضب أو يتم تجاهلها، والغريب أنها تتعمد - بالرغم من عمرها - إخافة إخوتها لصالح تفرغ الأم لها كليًا، وكانت تنجح تمامًا في هذا الموضوع، إذ كانت تقف تصلب وتحفز كالقطط لأي أخ فيهم، بينما تستدير عيونها بصرامة أو تتودد كثيرًا وتلتصق بأحدهم ثم تصرخ بفحيحها ليرميها أخوها أرضًا ويرحل بعيدًا تاركًا أمها معها.

الجدة تتعامل معها بصمت تطعمها كما تفعل الجدات وتنظفها في ثياب ناهد، ولكنها صامتة لا تناغيها أو تلاطفها كما تفعل الجدة في





أولاد أولادها، إنها تتحفظ وتتعامل معها بحزم وتفعل الواجب فقط، وبينما تجلس الأم في صالة بيتها تنزل ناهد السلم سريعًا حاملة أشجان، والنبي يا ماما خاللي بالك من أشجان أنا رايحة المدرسة لحسام، تتقبل الأم البنت بتحفظ وتسألها عما حدث، الظاهر إنه اتخانق مع زميله والناظر حابسهم واتصل بيا.

ربنا يهديه، طب يالا بسرعة.

ثم تنظر لأشجان بتمعن وتقوم من فورها لتجهيز بعض الرقائق بالحليب من أجل أشجان، في دخول مجدي ابنها الأصغر ليجد أشجان معها، كان دائمًا ما يشيح مجدي بوجهه عن أشجان، كان لا يستطيع النظر لها، وكان يظهر عليه اشمئزاز خافت، وقد تقلص وجهه ألمًا من رؤيتها، ولكنه لم يتكلم أبدًا أو يعبر لأنه يحب ناهد جدًّا ويعتبرها أمه الثانية.

ينظر لأشجان بألم ويبعد عيونه كمن يتقي أشعة الشمس، وتلاحظ الأم:

- كده برضو يا مجدي خاللي بالك البت بتاخد بالها وهتكرهك بعد كده.

: آسف يا أمي غصب عني، البنت شكلها بخليني أتكهرب؛ لأني مش قادر أنسى شكلها كمان وقت ما اتولدت.

: معلش واوعى تعمل كده أدام ناهد لحسن تزعل منك.

: طبعًا يا أمي ويا ريت متزعليش، أنا غصب عني والله بشوفها بحس بكهربة في جسمي.

■■■





الثالثة عصرًا.

ناهد نامت على ظهرها وقد تدلى ثديها خارجًا وبضع قطرات من حليبها يقطر، بينما البنت غير موجودة

تصحو ناهد مذعورة لتبحث عن البنت الصغيرة التي كانت تغفو بجوارها، أين البنت؟! تقوم من فورها لتبحث عنها في صمت ولكنها لا تجدها، تواصل بإصرار ورعب في البحث عن البنت ولكنها لا تجدها، تبدأ بالنداء الخافت:

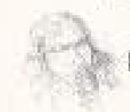
أشجان.. أشجان.. إنتي فين؟! أشجان ردي عليَّا.

البنت غير موجودة في المنزل بينما قلبت ناهد كل شيء في المنزل رأسًا على عقب، تصرخ ناهد وتنادي على أبنائها ليصحو الجميع، فالبنت غير موجودة أصلاً في المنزل، تصرخ ناهد لتنادي على أبيها وإخوتها وهي ملتاعة لا تعرف ماذا تفعل؟ تصحو الأم على صراخ ابنتها، الجميع يبحث عن البنت ولا يجدونها.

أين ذهبت البنت؟!

يخرجون للشارع والشوارع المجاورة بلا أي فائدة، تنهار ناهد مجددًا وقد عاودها الإحساس العميق بالذنب حيث إنها كانت تتمنى موتها، ولكن غيابها هذا جعل الجميع يتألم، أين ذهبت البنت التي لم تكمل عامها الثاني بعد؟!!!

أين ذهبت ومن عساه يخطف بنتًا على قدر ظاهر من التشوه والنفور؟! ومر على الموضوع ستة أيام وآمن الجميع بأن أشجان اختفت للأبد، واعتقدت الجدة أن البنت عادت من حيث أتت، ومع





مرور الوقت ساد الصمت الحزين المريح العمارة كلها، وخصوصًا مع زيارة للداية ومعها شيخ تبدو عليه مظاهر العلم بهذه الأشياء، وقد أفتى هذا الشيخ بأن البنت كانت للجن، وأنهم استردوها عندهم، وهذا قضاء الله.

استراحت الأم وأحست أن جبلاً قد أزيح تمامًا من على صدرها، وقاموا بإبلاغ البوليس باختفاء الطفلة، وفي يوم من الأيام بينما أولاد ناهد في الخارج مع خالهم الأصغر يلعبون الكرة في الساحة القريبة، وبينما ناهد تقف في المطبخ تطهو الطعام لأولادها؛ شعرت بحركة خفيفة إلى جوارها وسمعت صوتًا مألوفًا أشبه بالفحيح، صوتًا تشعر به ولا تسمعه، صوتًا تعرفه جيدًا، تجمدت وتجمد معها الزمن نفسه.

وفي خارج مجال الرؤية (يسميها العلماء نقطة البصر العمياء، وهي أحداث فعل الرؤية بدون تفاصيل أو تمييز) تشاهد ناهد كتلة صغيرة تلعب على باب الحمام المجاور للمطبخ، تلتفت ببطء لتلمح ساقًا قصيرة مشعرة تخطو لداخل الحمام في لمح البصر.

إنه صوتها هي أشجان، إنه لعبها، إنها قدماها الكبيرة نوعًا ما بالنسبة لسنها، ولكنها هي الطفلة- اهتز مجال الإدراك لدى ناهد وعاودها شعور لونه بلون القبور، نفسها نفس شعور الانقباض الناتج من الخوف والفزع، تتجه ببصرها ناحية باب الحمام، وتسمع طرطشة مياه في البانيو تستجمع شجاعتها، وتتجه ببطء وتوجس للحمام، ولكنها لا تجد شيئًا تظل واقفة ساهمة لا بد أنها خيالات، لا بد أنها وساوس، لا بد أنها كذلك، نعم نعم لا بد أنها كذلك.





تعاود الرجوع للمطبخ وهي في حالة شرود عميقة بعد أن أغلقت باب الحمام نفسه، ولكنها تشعر ببرد غريب مع أنها في عز الظهيرة والجو أصلاً خانق ورطب، تدخل ناهد المطبخ وما إن تمسك بسكين التقطيع تجد نفسها فجأة وبلا أي مقدمات داخل الحمام من جديد، تنظر حولها لتجد الحمام، مع أنها متأكدة أنها تركته وأغلقت بابه واتجهت عائدة للمطبخ، تهم الشرود نفسه وتعود مرة أخرى للمطبخ وتنفض عن رأسها تلك الوساوس، من جديد تسمع صوت طرطشة المياه في بانيو الحمام، ولكنها تتذكر أن البانيو كان جافًا.

تدخل الحمام مرة أخرى لتجده مملوءًا لآخره بالمياه، بل وتجد المياه نفسها تتحرك بعنف كما لو كان هناك من غادر البانيو لتوه، يقشعر بدنها ويعاودها إحساس له طعم الليل والتراب والكلاب والمقابر، يعاودها إحساس بأن البنت موجودة في المنزل ولكنها لا تراها، تعود ناهد للصالة في شقتها وتجلس على كنبة مواجهة لباب الشقة المفتوح دائمًا، لتسمع صوت خطوات صغيرة على السلم الداخلي للعمارة، خطوات صاعدة هابطة على السلم الواصل للدور السفلي، تسمع همهمة وفحيحًا مخلوطًا بكلمة غير واضحة، تسمع صوت ححححححفحفحفحفحفحح باخحححح با.

نعم إنها تسمع بقليل من التركيز كلمة - بابا – من بين كل هذه القرقرة الطفولية والفحيح.

بابا؟!!!!!

البنت تقول بابا بشكل مبهم بينما تسمع ناهد حفيف قدميها على السلم، تقوم ناهد فورًا لقطع الشك باليقين خصوصًا أنها في وضع



لنهار، تتجه ناحية الباب المفتوح، تنظر على السلم.. لا أحد.. تشرد للحظات وتفكر هل هو الوهم أم ماذا؟

ثم تسمع صوت خطوات ثقيلة بطيئة تتجه لأعلى ناحيتها، ترتجف وتقاوم الهروب للداخل، وتنظر مجددًا

لتفاجأ بأنها أمام رجل، أصابها الذهول بشدة وارتجفت أطرافها، بينما الرجل يقبل عليها وهو مطاطئ الرأس، شخصًا تعرفه ولا تتوقع حضوره، تجد جابر زوجها نفسه أمامها، تشخص ببصرها ناحيته لا تستطيع الكلام، وتنظر جيدًا على السلم وراء كتفه العريض، تبحث عن الصوت وعن الطفلة، ولكن لا صوت ولا طفلة فقط الزوج العائد جابر.



٧ رقصني يا جدع

وجدت ناهد زوجها جابر يصعد السلم مطاطئ الرأس، نظرت له بإشفاق كبير فهو زوجها وابن عمها والرجل الوحيد في حياتها بعد أبيها الراحل، وكما هو متعارف عليه أغلظت له في القول وإن كان قلبها فرحًا بعودته، ينظر جابر لها بانكسار شديد، وتفسح له الطريق ليدخل من الباب، ثم تتذكر لماذا كانت تنظر على سلم العمارة وانتبهت وثارت أعصابها وتركته يدخل لتنظر مجددًا على السلم ولكن لا شيء فقط جابر الزوج الذي تخلى عنها منذ العامين تقريبًا.

ويدور حوار يعرف فيه جابر أن ابنته أشجان اختفت منذ فترة ولم يعرفوا طريقة للعثور عليها، وأوضحت له ناهد ماذا قال الشيخ عن الجن وعن ابنتها المشوهة، وتلقى جابر الخبر بنوع من الارتياح الشديد، وبمرور الساعات استعاد الرجل مكانته في البيت كرب للأسرة المكونة من ثلاثة أولاد والأم، وبمرور أسابيع عاد كل شيء إلى طبيعته، وتصالحت ناهد مع نفسها ومع زوجها وأولادها، وعاد الدفء يعشش في أركان المنزل بعد أن عشش فيه الرعب والحزن لقرابة العامين، ولم تذكر الطفلة أشجان - ابنتهم الغائبة- سوى في أحاديث مقتضبة لمرة أو اثنين، فإخوتها كانوا يخشون شكلها، والأب كان رافضًا أصلاً وجودها، والأم قد ارتاحت من أهوالها، وشيئًا فشيئًا سرى نسيم التعايش المعتاد في العمارة كلها، وتم بترحيب الجدة بعودة ابن أخي زوجها وزوج ابنتها الوحيدة إلى عشه، ومع دخول الشتاء شاع الدفء والسرور في



أركان المنزل كأن شيئًا لم يكن، ورجع الأولاد لمدارسهم، ومرَّ أكثر من ثلاث سنوات انتظم الأولاد في دراستهم وحياتهم اليومية، لم يرزق ناهد فيها غير تفصيلة وحيدة فقط هي أن ناهد لم تعد تطيق معاشرة جابر معاشرة الأزواج، وبالرغم من جاذبيته وفحولته إلا أنها لم تجد أي شيء ولو حتى من الحماس، وكانت تساق لتلك العلاقة كما يساق المحكوم عليهم بالإعدام، وتتقبل أحضان زوجها وحماسه بطريقة صامتة تتحين المججج للهروب، وتقبل جابر الوضع تقبلاً متخمًا بالقلق على حال زوجته الجميلة، وانغمس بشكل سري في علاقات خارجية أكثر إمتاعًا وإثارة بعد أن نفد صبره في احتضان زوجته كما كان في الماضي، خصوصًا بعد آخر لقاء فاشل بينهما، فقد كان الإقبال والصد عنيفًا ظهرت فيه ملامح ناهد متقلصة مشمئزة من جسد جابر، وقتها اعتبر جابر أنها صفعة قوية على صدغ رجولته، واعتبر رفضها هو أيضًا قبولاً منها في أن يعيش كالذبابة ينتقل من وسخ إلى وسخ آخر بكل حرية، في حين كانت ناهد نفسها لا تدري بما يجري لها من مشاعر ورغبات، هل هي فقدت أنوثتها أم أنها حزينة مريضة لم تفرق ولم يفرق معها المسميات، عاشت كقشة خفيفة تسير مع تيار الماء في بركة الحياة، وإن كانت تعتريها مشاعر غامضة تخص الفترة التي تنام فيها.

ولكم تلك الواقعة.

■■■

تعود جابر على السهر حتى مطلع الفجر، وكان يعود في السادسة والسابعة صباحًا تتطاير من فمه أبخرة البيرة ودخان الحشيش كبالون الكلام في الرسوم المتحركة، ناهد في فراشها نائمة يدخل جابر عليها



فتنتبه لوجوده بنصف تركيز، وتشعر به يتحرك في الغرفة بخفة، تفضل عدم القيام تلافيًا لعتاب أو أسلوب قد لا يعجب الرجل وعاودت النوم.

تشعر بيد جابر في ظلام الغرفة يجلس على طرف الفراش ويمد يده على ردفها مداعبًا، تنتبه لدفء يده وشوقه وهو يتحسس جلدها الدافئ بشوق اليائس، ينساب حنانها وعطفها عليه وتأتي الترجمة في صورة تمطي بطيء لجسدها، ومدت يدها لتشده نحوها ليرفع جابر الغطاء ويندس في أحضانها، وتمر الدقائق الممتعة بطيئة مركزة، أغمضت ناهد عينها في استرخاء من يتلقى خدمة ذهبية وهي تشعر بشفاه جابر وأنامله تلامس جلدها الساخن في كل مكان، واحتدم الموقف وتشنج جابر بالجشع بريد التهامها وهي هائمة في فراغ المتعة، وهمدت الأنفاس بعد اجتياز السباق، ونام الرجل كالرضيع الذي فرغ لتوه من رضاعة هانئة وقد احتضنها من ظهرها، تشعر بدفء جسده بامتداد طولها هي شخصيًا، ثم سمعت صوتًا، إنه باب الشقة يدور فيه مفتاحه، وقد قاربت الساعة على الرابعة، انذعرت واعتراها شلل المفاجأة والخوف، من عساه يكون؟ وكيف يجرؤ؟ وقامت مع استمرار الصوت تنظر في الظلام وتصيخ السمع لتتأكد، تسمع الآن صوت الباب يفتح لتنتفض بقوة وتلكز جابر وتهزه بشدة وهي عاجزة عن الكلام وناظرة تجاه باب الغرفة المغلق، تواصل هزها لجابر بكل عنف في ظلام الغرفة، وقد كورت قبضتها وسددت عدة ضربات لجسد جابر الغافي بجوارها، حين فتح باب الغرفة فجأة وعبر الضوء الخفيف الآتي من الصالة تلمح ناهد ما يشبه رجل يلبس عباءة سوداء ويقف متكئًا إلى باب الغرفة المفتوح، ثم ينادى عليها بهدوووء



ناهد يا ناهد!!

بينما ناهد تجلس في الفراش مذهولة متسارعة الأنفاس، ومدت يدها في ضربة أخيرة للنائم إلى جوارها في الوقت الذي مد الشبح يده وأضاء النور، كان جابر نفسه يقف أمامها لابسًا عباءته الشتوية فوق ملابسه الكاملة، وقد عاد لتوه من سهرته، إذن من كان يستلقي بجوارها منذ دقائق بعد ما فعل ما فعله؟!

استقر جابر شريكًا لأكبر أولاد الحاج محجوب - أبو ناهد - في تجارته، بينما تزوج الابن الأكبر ثم تزوج الابن التالي في الأدوار التالية لشقة ناهد لتصل العام 1990، ولناهد ثلاثة أولاد أكبرهم بعمر السادسة عشرة واسمه حسام، ويليه أمجد في الرابعة عشرة، ثم ياسر في العاشرة ولم يكونوا على علم بأحداث أختهم سوى أنهم يعرفون أنها ولدت مشوهة وعاشت لفترة قصيرة وماتت وهي طفلة.

وفي العموم لم يفهم الأولاد عن أختهم سوى أنها كيان مشوه ساهم في ابتعاد أمهم عنهم فقط بشكل مؤقت، كانوا يخافونها ولكنهم لم يحتكوا أبدًا بها، وكانت حياتهم في ذلك الوقت مع جدتهم في الدور الأول.

■ ■ ■

اليوم هو مناسبة سعيدة جدًا لأن اليوم هو زفاف خالهم مجدي إلى عروسه في الدور الرابع من العمارة ومجدي هو أحب أخوالهم



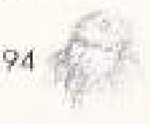
إليهم؛ لما يتسم به من الرقة واللين وإجادة أكبر قدر من ألعاب الأطفال ومناقشاتهم، وهو في لهوه معهم عنيف بحيوية يتبارى معهم في الألعاب والسخرية الخشنة، كما كان بينهم لغة سرية مشتركة وكان أيضًا يشاركهم في النفور من أختهم أشجان، إذ إنه لم يكن يحتمل النظر إليها، وإن كان يتعامل بحذر خوفًا من غضب أخته الكبرى ناهد.

العمارة في أبهى زينة والجدة تكاد تطير فرحًا فهو الابن الأثير لها وأكثر أولادها حنانًا عليها، أقيم الفرح أمام المنزل كما كان متعارفًا عليه في هذا الوقت، وجلس مجدي دقيق الملامح إلى جانب عروسه رائعة الجمال في الكوشة، بينما تتلوى الراقصات بأكبر قدر من الخلاعة محدثين الكم الأكبر من الإثارة للمعازيم، وبين هؤلاء الراقصات راقصة بدينة ذات صدر وأرداف أسطورية مشهورة في المنطقة، إنها أسطورة الرقص الشرقي في المنطقة والمناطق المجاورة إنها نورا جنزير.

وكانت نورا على علاقة سرية بجابر زوج ناهد يتخذ منها خليلة سرية خصوصًا في الفترة التي ابتعد فيها عن ناهد، واستمرت العلاقة حتى بعد رجوع جابر لأولاده مرة أخرى، وقد جاءت الفرح لعمل الواجب - مع صديقها كما هو متعارف عليه.

وصلت نورا إلى الفرح في تمام الحادية عشرة وجلست قليلاً على المسرح بملابسها العادية - عباءة سوداء سادة - لتلقي التحية على المعازيم وتبرز أكبر قدر من أنوثتها المريرية، وتظهر نظرات التقزز غير المباشرة لزميلاتها الراقصات باعتبارها القدوة الحقيقية لهن والنسخة الأصلية في الصنعة، وتأكدت من أنها المرغوبة الحقيقية للجمهور قبل





أن تصعد لبيت المعلم جابر لتغيير ملابسها بملابس العمل الرسمية لتقديم نمرتها.

تدخل نورا إلى المنزل لتستقبلها الجدة وناهد بترحاب متحفز ونظرات لها باعتبارها رمزًا للفجور والأنوثة الهرمونية، فالمرأة طويلة عريضة تشبه أتوبيس السياحة، لها أرداف عالية تصلح كمحطة انتظار للركاب، بينما ينهض صدرها متجهًا للأمام عدة أشبار كمدخنة الحاتي، ساقها غليظة طرية بيضاء بلون الحليب، بينما عجيزتها هائلة الحجم كالقبة تتوازى في الرجرجة مع نهديها كأنهما جارتان يكيلان لبعضهما الشتائم والردح وتزدان يداها وصدرها بأطنان من المشغولات الذهبية الأصلية- لم تكن نعرف الذهب الصيني في تلك الآونة- وترشدها ناهد والتي كانت في أبهى حلتها السوداء- العباءة الخليجية المطرزة- الوقورة وقد بدت ناهد آية في الجمال الحزين، ترشدها إلى غرفة نومها الخاصة بشقتها لتغير ملابسها، والراقصة تنظر خلسة إليها وقد التوت شفتاها بامتعاض خفي، إذ إنها تراها الأقل أنوثة وبهاء، وبمجرد دخول الراقصة للغرفة خلعت ملابسها بطريقة فجة جريئة بها لمحة استعراضية خفية وتقف أمام ناهد بلباسها الداخلي الشبيه بمايوه قطعتين، صحيح إنه ضيق ملتصق صغير بالنسبة لأطنان اللحم الحرة إلا أنه بدا كمايوه تلبسه أنثى فرس النهر، خجلت ناهد منها وأشاحت بوجهها بعيدًا فيما تتقدم نورا ببطء تحديًا لهز تلك الأطنان لتقف أمامها بخلاعة وهي تطرقع باللبان وتضحك بخلاعة.

- ياختي مكسوفة من إيه؟ صلي ع النبي في قلبك كده وصلي.





تنظر لها ناهد بارتباك لتتفحصها المرأة عن قرب، وتجدها جميلة بالفعل وقد استوى وجهها هادئًا مشربًا بحمرة الخجل والجمال، واكتنزت شفتيها كحبة كريز قانية في طبق خزفي أبيض، وتشعر نورا أن المنافسة خرجت من سباق الجمال إلى سباق آخر يحمل جوهر العفة والانفراد والرضا بالمقسوم، وهو ما تفتقده الراقصة تمامًا، وتغير تعبير عيونها ليحل التحدي محل النقص وتستعرض نورا مفاتنها عنوة أمام ناهد لتغطي فوران النقص الحاد في نفسها أمام نفسها، واستأذنت ناهد في الخروج ريثما تغير هذه المرأة الهائلة ملابسها، تطرقع المرأة بلبانة وتتكلم بواسطة عيونها مع حاجبيها اللذين لا يستقران أبدًا فوق مقلتيها، وتستبدل ملابسها ببدلة رقص حمراء زاهية جدًا مضيئة تكاد تخطف الأبصار، وقد انضغط صدرها من الجوانب ليتلاقى بشدة في المنتصف صانعًا ما يشبه حقلاً مغناطيسيًا شديد الجذب، فكأنما نهديها هما قطبا الكهرباء، وقد تلاقى السالب بالموجب في عناق عارٍ ودائم، بينما ارتمت عجيزتها للخلف في توتر، وتكتمل لوحة الإغراء بشكف لإحدى الفخذين وقد تشرب بحمرة واستدارة وتخبر بها باقي الأعضاء المغطاة بأنها على نفس مستوى جودة العينة، فساق نورا المدملج هو الجزء الجميل في جسدها ليس لكونه على قدر من الإغراء، بل هما على قدر أكبر من الطفولة، بجلدها الأملس المنزلق تدخل ناهد عليها لتفاجئ بالمرأة، وتشيح مرة أخرى بوجهها لترفع نورا ضحكة أشبه بحارة نساء كاملة يردحن لبعضهن قائلة:

هي، هي، حبيبي، ما لك ياختي ماشفتيش فنانة كبيرة قبل كده؟!!

تحييها ناهد بتحفظ ومجاملة:





ماشفتش أجمل منك يا ست نورا.

تطرب نورا بكلامها وتهتز داخليًا بنظرات الانبهار في عيون ناهد لتثبت لنفسها أنها على شيء غير عادي من المزايا، فهي راقصة درجة ثالثة مشهورة في وسطها وتعتبر المعلم الأول لراقصات جيلها وما بعد جيلها.

فإن كنت زوجة مصونة فأنا فتاة ولي معجبون ومريدون من الرجال على شاكلة زوجك يا دلعدي، هذا هو ما دار في ذهن نورا وقتها وتطرقع باللبانة بفجور قائلة:

متحرمش من ذوقك يا دلعدي يالا وسعيلي السكة خليني أنزل علشان أركب.

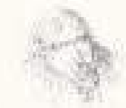
تنظر لها ناهد بدهشة مبتسمة:

تركبي إيه؟

ترفع الراقصة صوتها بنغمة من فصل القافية وتراقص حاجبيها:

هيــي العرسح يا روحي (طبعًا تقصد مسرح الفرح).

تسبقها ناهد على السلم وهي في ذهول من جرأة المرأة في الخروج لكل هؤلاء الرجال وهي شبه عارية بل هي عارية فعلاً، فبدلة الرقص تكشف أكثر بكثير مما تخفي، وقد انفخت متفجرة بلحم الراقصة الغارق في الإغراء لدرجة الرفض، تخرج نورا وسط صخب يصم الآذان من تحيات وسلامات وزغاريد لتؤدي نمرتها، تبدأ أولاً متلحفة بشال حريري أحمر وعليه تطريزًا ذهبيًا ثم خلعته عن جسدها معلنة



عن تضاريس شديدة الوعورة وكأنها خريطة كونتورية تظهر المرتفعات بيضاء مبللة بينما المنخفضات والسهول تأخذ الألوان الداكنة، وأخذ شكل صعودها للمسرح لمحة استعراضية منها، إذ صعدت ملفوفة بشال ذهبي براق ووقفت تستعرض جمالها ثم بدأت الموسيقى تعزف بدقات المقسوم والملفوف وتمايل نورا محدثة أكبر قدر من الإغراء، ثم تفتح الشال فجأة كاشفة عن حالة من النضج الأنثوي والذي قارب على الانتهاء، فبدت نورا كثمرة المانجو شديدة الحلاوة والطراوة، وقد ودعت مرحلة التماسك منذ زمن فأخذت نورا تتعامل مع الرقص على أساس الرجرجة المركزية لصدرها وأردافها وبطنها كحركة الجيلي الراقص في الإعلان الشهير، وظلت نورا ترقص وتهتز بطريقة كادت تفصل لحمها عن عظامها وتستمر في التلوي والإتيان بحركات داعرة، بينما الرجال في نشوى وسطل وسكر وإعجاب بهذا الأتوبيس السياحي الأحمر وكل منهم يحلم برحلة إلى بلاد غنية بمنتجات الألبان.

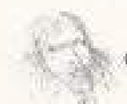
في الوقت الذي قرر فيه العريس الصعود أخيرًا لشقته في الدور الخامس من العمارة، فالليلة هي ليلة الزفاف أو الدخلة، وقد عرف في ذلك الوقت أن العريس مجرد ضيف يجلس قليلاً ثم يتوجه مع عروسه لشقته تاركًا المعازيم الذين هم في الحقيقة من أصدقاء أشقائه جاءوا لعمل الواجب مع أشقائه وأقربائه.

تنتهي نورا من نمرتها بعد قرابة الثلاث ساعات لتصعد مرة أخرى لشقة جابر تشع سخونة وقد سلق لحمها بفعل حرارة الرقص وعرق الأعضاء، فعرقها ينساب [illegible] ها وأفخاذها البيضاء، وقد ساحت

الزينة عن وجهها وبدت كأنها كانت في سباق عدو للأفيال مسافات طويلة خصوصًا أنها مشهورة بحركة هز الشعر، وهي تفعل هذه اللقطة وأنا أتصورها مثل الكلب الأمريكي الضخم والذي يهز جسده بحركة بطيئة لينفض الماء عن فرائه الغني.

استقبلتها ناهد وهي مبهورة إذ كانت تشاهدها من الشرفة وقد اعتراها شعور من الذهول عما تفعله هذه المرأة والرجال من حولها يرقصون بابتذال ويلمسون جسدها، ويقومون بحركات داعرة شديدة الوعورة، فتجد الرجل وقد التصق بها من الخلف بينما تتلوى نورا كالأناكوندا التي ابتلعت حمارًا وحشيًا تقتنص من جيوبهم الجنيهات بحرفية النشالين وتخرج هاربة من الكادر لحظات الاحتدام بين الراقصين من الرجال، وقد حاول كل رجل أن يشعرها بفحوره بطريقة رقصه، فمنهم من يعض على شفتيه مسبلاً عيونه، ومنهم من يهز وسطه طارحًا رأسه للوراء في حركة جنسية لافتة، ومنهم من يرقص أحسن منها هي شخصيًا، رجل يرقص بحرفية شديدة جدًا وبالرغم من شاربه ورجولته الواضحة إلا أنه أبهر الجميع برقصه الأنثوي، وقد اعترت ملامحه نظرة أنثوية فاجرة، وقد تقارب حاجباه في تعبير شعبي فاحش، ونورا تدير كل هذا بلونها الأحمر فيبدون وكأنهم شياطين يتراقصون أمام ملكة الجان الأحمر.

أرشدتها ناهد مرة أخرى وطلبت منها الراقصة نورا طلبًا غريبًا وهي تنظر لها بتحرج طفيف: معلش يا روحي ممكن أستعمل الحمام عايزه آخد دش لحسن أنا ملزقه من كل حته ومش هقدر ألبس إلا لما المؤاخذة استحمى.





قالتها وهي تموج يدها بين ثنيات لحمها المبتل بالعرق.

تعجبت ناهد وابتسمت في سرها إذ إنها لم تتخيل أن تختل راقصة في حمامها الخاص، وقررت أن تطهره بطريقتها فيما بعد، ولكنها لم تعترض وذهبت أولاً للحمام لتزيل كل بقايا ملابسها هي وأولادها، ثم خرجت وأغلقت باب الشقة عليها لتتركها وحدها بينما خلعت الراقصة كل ملابسها بعد الكثير من الحزق والتنهيد، وأخذت تزيل ملابسها برميها فتناثرت ملابسها الداخلية مبرومة كلفة المليم عند العطار من على جسدها المكتنز، واتجهت عارية تماماً للحمام وفي يدها غيارها الداخلي (أندروير قطني يشبه الشورت الرجالي مزداناً بتكة حمراء طفولية مع حمالة صدر كبيرة جداً ذات ذوق شعبي معروف) دخلت الحمام ولم تغلق الباب وراءها باعتبار أنه لا يوجد أحد في الشقة، ورفعت نفسها وجلست في البانيو الخالي من الماء ليمتلئ تماماً بلحمها الأبيض وشحمها الوفير، وفتحت رشاش الماء بيد بينما تفرك يدها الأخرى الصابونة على جسدها وشعرها.

وأغمضت عينيها (فقد كانت من الذين يعتبرون أن الصابون شيء معادٍ وحارق جداً لعيونهم) تحسباً للرغوة المتوقعة من فرك الصابون بالماء، وظلت تفرك وتدعك وهي مغمضة العين وبانت كفرس النهر في أفلام الكرتون خصوصاً بعد إزالة زينتها عن وجهها، بينما تقف طفلة في الخامسة أو السادسة لها شكل مشوه وذات وجه مقعر مسطح وعيون زجاجية وشفاه مشقوقة على مقربة منها، تنظر لها بوحشية وتركيز الحيوان المسعور.



تغيرتي كثيرًا يا أشجان، فقد ازداد طولك ووزنك وأصبحت تشكلي حيزًا مرعبًا من الفراغ، وقد بدا جسدك أكثر رجولة، وقد اخشن شعر جسدك ووجهك وإن احتفظت بملامح البنت الصغيرة في شفتيك وعيونك وأنفك ورقة تكوينك.

بنت اختفت في ظروف غامضة وهي لم تتعد عامين من العمر، بنت تعود مرة أخرى وقد كبرت وتربت في مكان آخر، فأين ذهبت يا أشجان؟ وهل استردك الجن بالفعل؟ ولماذا عدت؟!

تقترب البنت ثم تقف بتصلب وقد اتسعت عيونها بقوة لترمق هذا الجسد الهائل العاري، آه من نظراتك يا أشجان فهي كفيلة بتخثر الحليب، كانت أشجان تنظر بتشي عيونها بتركيز مقيت وتأمل جارح لتفاصيل الجسد المكتنز للراقصة.

كانت تنظر بشكل متراخي أولاً ثم بدأت الحدقة تتسع بشكل تدريجي وهي تحملق في جسد المرأة، وبينما الرغوة تحاصر لحم الراقصة ورأسها والطفلة البشعة تقترب أكثر وأكثر منها، ثم تصعد الطفلة على حافة البانيو وتقرب وجهها من وجه الراقصة، تقرب وجهها أكثر وأكثر والمرأة مستمرة في دعك جسدها الهائل وشعر رأسها الذهبي.

تتغير النظرة الوحشية للطفلة وتحل محلها نظرة سخرية مقيتة، ولكن من حسن الحظ أن نورا تحت طبقات الرغوة تغلق عيونها وإلا ماتت صعقًا من وجه الطفلة المشعر شديد البشاعة، وفجأة انقلبت سحنة الطفلة لتصبح أشبه بوجه التيس أو العنزة المذبوحة، وقد انزلق





لسانها الطويل عبر شفتيها المشقوقة وراحت تلعق الرغوة من على وجه الراقصة المسكينة وجسدها.

والراقصة وجهت يدها لتدعك صدرها وإبطها وبطنها المتدلي بينما لسان أشجان يلعق الرغوة من على شعرها ووجهها وجسدها، يمتد لسان أشجان بمنتهى الجشع وكأنها تلعق الآيس كريم وقد استدارت عيونها واتسعت وتركزت على وجه نورا مغلق العينين.

نورا تغني أغنية شعبية وهي تمارس الاستحمام وتستمر في مضغ اللبانة وطرقعتها داخل [illegible] وقد [illegible] وجهها الاستمتاع بالماء، بينما أشجان تنهض فجأة لتقف تمامًا خلف الراقصة بحيث يصبح رأس الراقصة أمام بطن أشجان، وتمد يدها ذات الأصابع الغليظة المشوهة وتملس بها على شعر المرأة الطويل المصبوغ، وتعقد اصابعها القبيحة حول أطراف خصل شعر الراقصة الغافلة عن الهول الذي يوجد معها في الحمام، في الوقت الذي تدخل ناهد لشقتها متوترة من وجود الراقصة في حمامها الخاص، تسمع المرأة صوت الباب يفتح بينما تنظر أشجان بحقد شديد نحو باب الحمام وتختفي خلف ظهر نورا الشبيه بكابوت السيارة.

تدخل ناهد الشقة بحذر لتفاجأ بالراقصة في البانيو بينما باب الحمام مفتوحًا والراقصة عارية تستحم، ترتبك ناهد من منظر الراقصة وتشيح بوجهها لتسكت نورا عن الغناء وتقول وهي ما زلت مغمضة العينين

ميييييييييييييين إلى بر!!!!!!!!؟؟





تنحنت ناهد بخجل شديد واستغربت من جرأة المرأة حيث تسأل إنه من بالخارج دون حتى أن تمد يدها وتغلق الباب عليها.

ناهد: أنا يا ست نورا.

الراقصة: والنبي يا حبيبتي شوفيلي بشكير نضيف بس هاتيه كبير عشان أعرف ألفه هيهيهيييي.

ناهد بغيظ: من عيني يا ست نورا، بس يا ريت تقفلي الباب عليكي لحسن حد من الولاد ييجي ولا أبو حسام يدخل.

الراقصة تضحك بفجور: هيء هيء هيييء ياختي ما يختشوا واللي يبان مني زكاة عني، خاللي العيال تتثقف وتواصل الضحك المستهتر.

تتأفف ناهد منها جدًا وتدخل لغرفة النوم وتحضر بشكيرًا كبيرًا يشبه الملاءة وتدخل للحمام لتضعه على المشبك خلف الباب وتستدير لتخرج حين لمحت شيئًا غريبًا جدًا، بل شيئًا مريعًا.

فلحم المرأة مبقعًا كجلد الزرافة بضع بقع باهتة جدًا بلون رمادي خفيف، اندهشت ناهد جدًا ونسيت خجلها ودققت النظر أكثر.

يا ربي الرحيم فلحم الراقصة بالفعل مبقعًا وكل بقعة ضاربة للون غامق.

و وو وو يا ربي لالالالالالا هل هذا حقيقي؟!!!!!!!!!!!!

إن كل بقعة بها شعيرات كثيفة بلون البقعة نفسها وكأنها وحمة كبيرة مشعرة، ولكنها منتشرة تقريبًا على كل بطن المرأة، وكتفها وساقيها ولكنها لا تدرك بسبب الرغوة والصابون الكثيف.





تقترب ناهد لتشاهد تلك البقع عن كثب في الوقت الذي تفتح نورا عيونها لتجد ناهد تحدق في صدرها بتركيز، تتلاقى عيونهما لتشيح ناهد بارتباك بعيونها وتبتعد، وقررت الخروج فورًا من الحمام وترك المرأة تستكمل حمامها، وحين خرجت وأمسكت الباب لتغلقه لمحت يدًا صغيرة غريبة الشكل تلتصق بإبط المرأة، لمحتها في سرعة البرق ثم اختفت بعدها اليد، ولكن من الواضح أن المرأة لا تشعر بكل ما يحدث ويدها تعتصر اللوفة والرغوة تغطيها.

خرجت ناهد بعد أن أغلقت الباب.. الصخب الناتج من الفرح لا يصدق بينما ناهد تقف في صالة الشقة شاعرة بمذاق قديم جدًا، مذاق يعود لأكثر من أربع سنوات، مذاق له طعم التراب ورائحة المقابر، مذاق مر ومقبض مألوف جدًا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.

الصخب في الشارع على أشده بينما ناهد تنتظر كارثة تقع حالاً في حمام بيتها، بينما الراقصة مستمرة في فرك الصابون على جسدها المبقع، وتقف أشجان مرة أخرى وراء المرأة تلعق شعر رأسها، الذي بدأ يتساقط خصلة تلو الأخرى في قعر البانيو، وبنظرة سريعة لوجه المرأة نجد أنه تغير تغيرًا جذريًا، فلون وجهها أصبح كالجزر برتقالي محتقن، بينما انبعجت أنفها قليلاً إلى اليمين وسقط شعر حاجبيها تمامًا.

تقف أشجان في أبشع صورها تبتسم ابتسامة الخفاش بشفتيها المشقوقة وجسدها المشعر، وتقترب أكثر وأكثر من وجه الراقصة المغمضة حتى تكاد أن تلتصق به، تبتسم أشجان بسرور الشياطين أنفسهم وتفتح فمها المشقوق على اتساعه، إلى أن فتحت الراقصة نورا جنزير عيونها مرة واحدة.



8 ليلة الدخلة



هل جربت أن تنظر مباشرة في عين الخوف نفسه؟ هل تخيلت نفسك بوضع هذه المرأة؟ هل ظننت أن هذا مستحيل الحدوث؟ كيف ستكون مشاعرك وأحاسيسك؟

هل تتجمد؟ هل تصرخ؟ هل تتمنى الموت؟

فتحت الراقصة نورا جنزير عيونها فجأة، وفي ومضة سريعة التقت العينان، عيون مسعورة تنظر لها بتركيز وعلى مسافة لا تتعدى السنتيمترات وعيون مذهولة تساقطت منها الأهداب والحواجب، كلاهما بشع ومتنافر لأقصى الحدود، وقبل أن تأتي الصرخة المروعة من داخل حمام الشقة.

انقطعت الكهرباء عن المنطقة بأسرها، وفي هذا التزامن المذهل بين رؤية البشاعة وانعدام الرؤية والصمت المطبق لصخب الفرح، تشهق الراقصة وتطلق زفيرًا ممطوطًا مبللاً مصحوبًا بصرخة عاتية تزلزل أرجاء العمارة، تصرخ المرأة بلا هوادة ولا كلل كمن ينزع لسانه من بلعومه.

اااه ه ه ه ه ه ه ه يالهويييييي

لتنتفض ناهد وتتأكد تمامًا أن الابنة الشيطانية ملتصقة بالمرآة في الحمام، في الظلام المفاجئ يتوتر الناس وتتكهرب مشاعرهم بفعل التزامن العجيب بين انقطاع الضوء والصرخة العاتية للراقصة، يهرع





البعض متخبطًا على سلم العمارة غير عالمين بالضبط من أين تأتي الصرخة، تتحرك ناهد مذعورة إلى باب الشقة وتفتحه مولولة لتستقبل زوجها وأحد إخوتها وبعض المعازيم الذين هرعوا لسلم العمارة، تشتعل القداحات وأعواد الكبريت، بينما تسكت الراقصة وكأنها ماتت ذعرًا في الحمام، تخرج ناهد خارج الشقة وتقف متجمدة على بسطة السلم المواجه للباب، ويدخل الرجال متحسسين طريقهم بينما ناهد تبكي بصوت مكتوم وهي على وشك الجنون.

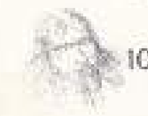
وتتكلم في اهتزاز واضح:

الرقاصة.... في في ... الحم..... في .. الحمام.

يندفع الرجال بسرعة إلى الحمام مشعلين أعواد الثقاب والقداحات؛ ليجدوا الراقصة مفتوحة الأعين ذاهلة لا تنطق، ولكنها ما زالت على قيد الحياة تتكلم وتبرطم بكلمات غير مفهومة، يقوم جابر بتغطيتها بالبشكير ويتعاون مع الآخرين في لفها وإخراجها من الحمام، كل هذا في الظلام الذي أتى في وقته تمامًا حتى لا يشاهدون ما آلت إليه الراقصة من تبدل في شكلها، يخرجونها للصالة بينما تصعد مساعدتها- هبة- وهي بنت عجفاء، أشبه بالشاب المراهق وتلفها بعباءتها والراقصة تهذي قائلة:

خرجوني من هنا عايزه أمشي من هنا.

يظن الجميع أن ماسًا كهربيًا أصاب الراقصة ويتعاملون معها على هذا الأساس بينما يتجمع المعازيم على باب العمارة، وقد تمالكت الراقصة بعضًا من أعصابها وأصرت على الخروج تمامًا من العمارة





كلها، تلتف مبللة في عباءتها وتسرع بالخروج نازلة السلم وتشق طريقها بين الناس المتجمعين لتجري على سيارة الأجرة المنتظرة لتخرج تمامًا من المنطقة الغارقة في الظلام والتوتر، حصل خير يا جماعة الظاهر الست نورا اتكهربت وهي في الحمام.

وتدريجيًا يسود جو من الطمأنينة والسخرية على الراقصة التي صعقتها الكهرباء في الحمام، الظاهر الست نورا سحبت الكهربا كلها لما قلعت هههههههه.

هكذا تندر الناس بواقعة الراقصة المسكينة دون أن يدروا الحقيقة المفزعة، الكل يتكلم ويطمئن بعضه في الظلام بينما تقف ناهد وحدها في الظلام وقد استعادت بكل أمانة خوفها السابق، استعادت ذكرى كانت قد نسيتها بفعل الوقت وقد قررت بينها وبين نفسها أن تكتم السر.

كنا قد أوضحنا أن العريس قد صعد بعروسه لشقته في الدور العلوي ولنعود بالوقت قبل ساعات من صعود الراقصة لشقة ناهد بالدور الثاني.

يدخل مجدي - العريس - إلى شقته مغمورًا بمختلف الأحاسيس فهو رجل لين العريكة معدوم التجارب هادئ منمنم التقاطيع رقيق كعذراء رحيم الطباع، وتدخل العروس التي هي فتاة لم تكمل عامها التاسع عشر مزينة بجمال وبراءة العروس العذراء في بيوتنا بلا تجارب تعثر في خجلها وتجتاحها كل الأحلام والمخاوف المعتادة من ذلك اللقاء التي طالما سمعت عنه من صديقاتها اللاتي سبقنها في الزواج.





ينظر لها مرتبكًا وسعيدًا بينما تنظر هي دائمًا للأرض، يحسر نفسه في خوف وتساؤل ولا يملك من الخبرة سوى كلام أصدقائه الرجال الذين أرشدوه بالطريقة الشعبية المعروفة للتعامل مع عروسه ليلة الزفاف.

يتصنع الثبات ويقترب منها بينما هي مسدلة طرحتها على وجهها الذي يحبه جدًا، يقترب أكثر ويضع يده على كتفيها لتزوغ هي منه خجلاً وارتباكًا حقيقيًا، يبتسم وقد تذكر كلام أصدقائه بأن الخجل هو ما يشعل رغبة التلاقي عند الرجل، يبتعد عنها ليغلق باب الشقة وينزع حلته السوداء ليبقى بقميصه الأبيض ورابطة عنقه المفكوكة، ويصب بعضًا من الخمر الذي اشتراه أصدقاؤه له سرًا حتى يتجرأ أكثر، بينما تدخل العروس إلى غرفة النوم وتجلس على الفراش المزين بالملاءات المنقوشة، يتجرع مجدي ثلاثة كئوس من الشراب، ويقضم بعضًا من الفاكهة ويشعل سيجارة، ومع مرور الوقت يشعر بأنه أكثر حرارة وليونة وتماسكًا، ويبتسم في سره ممنيًا نفسه بليلة رائعة يشعر فيها بسعادة العشاق، ويستشعر لذة الامتلاك أخيرًا لمرأة طالما حلم بوجودها معه..

صخب الفرح على أشده أسفل العمارة والمعازيم يلتهبون حرارة مع تلوي عضلات الراقصة أمامهم، بينما عقولهم ذائبة تمامًا في محلول البيرة ومتطايرة أيضًا بفعل بخار الحشيش، انتابه بعض من الإحراج إذ إنه يدرك تمامًا أن الجميع يعرف تمامًا ما سيفعله، بينما لا تفصل بينه وبينهم سوى درجات سلم عمارتهم، ثم ينفض كل هذا الإحراج بفعل تجرعه لكئوس الخمر.





يدخل مجدي لغرفة النوم ويطفئ النور الأبيض الواضح ويشعل لمبة صغيرة تشع ضوءًا أحمر باهتًا كما كان متعارفًا عليه في هذا الوقت، ويقترب من عروسه الجالسة كما هي بطرحتها على طرف الفراش، يجلس بجانبها ويمد يده ليضمها ويقبل يديها، تستجيب العروس جزئيًا له وقد زال بعض من خجلها بفعل الضوء الخافت.

ينزل مجدي أرضًا على ركبتيه في مواجهة العروس، وتشتعل في صدره فرحة غامرة وينطلق لسانه في عبارات رومانسية تلائم تمامًا شخصيته الخجولة، مبروك يا حبيبتي أخيرًا بقينا لبعض على طول، أنا بحبك أوي وأوعدك إني أعيش عشان أسعدك.

شفتي فرحنا كان زي المولد إزاي؟ أنا كنت قاعد في الكوشة مكسوف لكن كل ما أبصلك أحس إني أحسن واحد في الدنيا.

تصمت العروس ولا ترد ويحسب مجدي أنه الخجل المتعارف عليه.

يواصل حديثه:

إيه مش هتقومي تغيري فستانك؟ تواصل العروس الصمت.

يرفع مجدي عينيه إلى وجهها المغطى بالطرحة يتأملها بسعادة.

ثم.......... ما هذا؟!!!!!!!!

لماذا تبدو يداها غامقة اللون هكذا، ولما تظهر هذه التجاعيد بيدها إذ تبدو وكأنها يد سيدة أكبر سنًا؟

لماذا تبدو وكأنها منحنية الظهر ذات حدبة مقوسة.



يسرح مجدي بخواطره وتنتابه بعض القشعريرة، ثم هل صحيح فعلاً أن يديها يكسوهما شعر خفيف؟!! ينفض مجدي تلك الخواطر عن رأسه وعزى ذلك إلى تلك الخمر اللعينة ويتماسك مرة أخرى ويمعن النظر في وجهها عبر الطرحة شبه الشفافة، يمعن أكثر في ظل الضوء الأحمر الخافت، ينظر عبر النسيج الشفاف ليرى شفتيها وقد التوت باشمئزاز وقبح غريب، وكذلك التمعت عيونها خلف الطرحة بنظرة كراهية وشراسة عجيبة.

وقد اهتز الضوء، تأخذ ضربات قلبه في الخفقان بسرعة ويشعر بأن الدنيا تدور حوله، وقد اهتز الضوء الأحمر الباهت متأرجحًا بين الأحمر والبرتقالي، يمد يده إلى يديها مرة أخرى محاولاً التغلب على أوهامه لتنزع العروس يدها منه بقوة وكراهية وتنهض العروس واقفة متحفزة، ينظر لأعلى وهو مازال جالسًا على الأرض ليجدها أكثر طولاً من المعتاد، يحاول النهوض فلا تطاوعه ساقاه، تبتعد العروس عنه ببطء وتدور دورة كاملة حول الفراش بطريقة متخشبة ثم تعود إليه مرة أخرى، وتنحني بظهرها ليقترب وجهها المغطى من وجهه المذهول الصامت، تقترب وتقترب ليصبح الوضع كالآتي- وجه مجدي ينظر لأعلى ووجهها ينظر لأسفل، وقد اقتربت المسافة بينهما تمامًا، ثم تمد يدها المعروقة لتنزع الطرحة عن وجهها بكل شراسة

ليجد مجدي نفسه وجهًا لوجه مع عروسه الرقيقة.

هل الوجه شرس؟ وهل الشفاه ملتوية باشمئزاز؟ وهل العيون تميل للاستدارة الجنونية؟ وهل الأسنان غائرة في القفارة؟ مجرد أسئلة



زحفت على عقل مجدي المخمور، هل الشعر ينتشر خفيفًا على وجهها ويديها؟ سؤال نسي أن يسأله لنفسه وهو يطالعها.

وقبل أن يتجمد ويغيب تمامًا عن الوعي سمعها تقول بكراهية وبصوت لزج قبيح:

إنت عااااااااااااااااوز إيه؟!

يطلق مجدى- المسكين- زفرة حااااااااااااارة بينما تلتوي أعضاؤه كما المكرونة المسلوقة، يغيب تمامًا عن الوعي وهو واكع إلى جوار الفراش، وعقله ينهرس تمامًا من فرط الرعب، بينما يتعالى صوت المطرب في الفرح صائحًا بأغنية الريس متقال الشهيرة.

افرحي يا عروسة أنا العريس.



٩ مولاتي سلمى



في قصص الرعب يتجلى الجو قاتمًا ذا لون أزرق يتشكل أمامنا ككيان معادٍ نرفضه ونرفض تمامًا العيش فيه، بل وربما نرفض الحديث عنه، إما باعتباره شيئًا منفرًا غير مقبول، وإما باعتباره مرتعًا خصبًا للخيال والتخاريف، وقد يجده البعض مشوقًا مثيرًا للاهتمام، وأنا من الفريق الثالث، وعلى طول عمري كنت أسمع وقليلاً ما كنت أشاهد وأستشعر قيمة الحدث وجمال السياق، فالبطل إنسان كلما كان عاديًا كلما كان أكثر جاذبية وملاءمة لمشهد الرعب، لمشهد التلاقي بين قوى غير مادية تنتمي لغابات مظلمة صامتة وبين من يعيش في تراب الهواء ويجري لمادياته، وهذه الهوة السحيقة بين الطرفين هي ما يخلق جاذبية لا تصدق، فأنت عندما ترى البطل مصعوقًا غير قادر على الحركة أمام الشبح، غير أن ترى بطلاً آخرًا يقف بقوة وتحدٍّ أمامه، فالمشهد الأول أقوى تأثيرًا وأكثر إمتاعًا؛ لأنك هو هذا البطل بالفعل، وبقليل من الخيال تصبح خائفًا مرعوبًا من مجرد احتمال أن تكون مكانه داخل الكادر.

تامر عطوة.

نظرت لمجدي الجالس بجواري وقد تقلصت معالمه عند ذكر أمه ما حدث معه في ليلة الزفاف، ابتسمت عن رغمي وأنا أتخيله جاثيًا

على ركبتيه يتأمل عروسه الجهنمية، نظر لي بعتاب وسخرية فكلانا رقع تحت تجربة مهولة بلا شك، نظرت له قائلًا:

طبعًا الجوازة باظت؟

نظر مجدي وسرح بعينه بعيدًا قائلاً – والقصة على لسان مجدي نفسه-

أفقت من إغمائي صباحًا ونظرت حولي لأجد عروسي نائمة بفستانها على الفراش، فجأة تذكرت، فجأة شعرت بالخوف والرهبة، اقتربت منها وأنا أحسب لها ألف حساب، وجدت وجهها هو الذي أعرفه ولكن مهلاً مهلاً، لماذا أصبحت شفتاها أكثر رفعًا؟! ولماذا ينتفخ جفناها هكذا؟! إنه هو الوجه ولكن معالمه تغيرت لا أستطيع الحكم، ولكني أشعر أن شيئًا ما مريبًا في وجهها فجأة، فتحت العروس عيونها على آخرهم ونظرت في وجهي لمدة لحظات بشكل من ينظر لشيء مقزز أو مثير للاشمئزاز ثم تبدلت تمامًا بعد هذه اللحظات ليصبح وجه حبيبتي التي أعرفها.

صباح الخير يا حبيبي تظاهرت بالثبات التام.

صباح الخير إنت نمتي زي ال.............هيهيهيي.

أنا وقد شعرت بحرج ورعب.

قصدك زي الجردل.

ضحكت وقامت بدلال لتجري على الحمام تاركة إياي في حيرة رهيبة وتاه عقلي بين مصدق ومكذب لما حدث وأعزته كاملاً لمنطقة أرهامي أو منطقة السكر والخمر.



عادت وطردتني خارجًا لتقول بدلال: لو سمحت، وجرتني بقوة نحو باب الغرفة وأغلقت الباب، كانت جريئة ومعبرة عن نفسها بعكس الفتاة الخجولة التي عرفتها وأحببتها، بل بدت وكأنها الرجل في موجب الموقف، دخلت اغتسلت طارحًا كل أفكاري لتذوب في الماء وانتعشت، فالواقع يقول إنني عريس يوم صباحيتي، والحمد لله لم تبق العروس على حالها البشع، وكلها مجرد أوهام أو حالة من حالات الحسد التي أسمع عنها.

وجدت زوجتي العزيزة تجلس باسترخاء وقد ارتدت روبًا خفيفًا على قميص قصير باللون الأسود، نظرت لها بخجل مشوب بالرغبة والحب، وجريت من فوري لغرفة النوم لاستبدال البشكير بيجامة العريس البيضاء، وقبل أن أفك البشكير من حول وسطي وجدتها خلفي تمامًا كيف لم أشعر بها؟ ولكني لم أهتم تبادلت معها قبلة خاطفة وأنا مرتبك قليلاً، إذ إنني شبه عارٍ أقف أمام مرآة الدولاب ونظرت لأسفل في خجل وسعادة وعدت لأرفع عيني فلم أجدها!

نعم لم أجدها وكأنها لم تدخل ولم أقبل شفتيها، سرحت ببصري ناظرًا للغموض، فهي قبل لحظات كانت تطوقني بذراعيها ثم تبخرت، جريت للصالة وأنا على مثل حالتي لأجدها جالسة في مكانها، نظرت لي باستغراب فنظرت لها نظرة مركزة.

وقفت لثوانٍ أتأملها ثم رجعت إلى الغرفة وقد دار رأسي ورفضت تصديق نفسي في أنها ظهرت واختفت بطريقة مذهلة، ثم ناديتها فدخلت الغرفة بخجل ولم تنظر لي، حاولت تقبيلها فزاغت مني خارجة في منتهى الخجل، فزاد هذا من ارتباكي وتشوشت أفكاري





وأتممت ارتدائي للبيجامة البيضاء، وقد قررت أن أتحايل على ذهولي بالمام زواجي نفسه.

خرجت للصالة وقد جهزت العروس إفطارًا خفيفًا مكونًا من حلوى الجاتوه وبعض الشاي، أكلت بسرعة وأنا أرقبها بصمت بينما تشاغلت هي عن نظراتي بإفطارها الرقيق الخجول.

كم هي جميلة ووديعة خجولة، وإنني أود افتراسها ولكن خجلي ورقة حاشيتي تمنعاني بشدة، ثم قررت أن أهدئ إضاءة المكان، وأدير بعض الموسيقى والأغاني وأشعل سيجارة ممهدًا للقاء تأجل رغمًا عني ليلة البارحة، عادت من المطبخ وقد أرجعت الأطباق والأكواب لتحتلني مفتوح الصدر وقد اشتعلت برغبة رائعة.

تنظر لي بخجل مرتبك ثم تنظر أرضًا لترفع عينها مرة أخرى، وقد تبدلت نظرتها لنظرة عاهرة، وتبادلت معي نظرات الرغبة بجرأة غير عادية، وانطفأت رغبتي تدريجيًا بينما تقترب العروس العذراء مني وقد تلوت بمجون فاحش ومدت يدها تتحسسني بجرأة وخلاعة، انهارت رغبتي في المقابل وانطفأ حماسي كما لو رششت بماء مثلج وارتبكت مشاعري بين الرفض والخجل منها، اقتربت مني أكثر وهي تتحدث بفحش وخلاعة – إيه مش عاوز – يلا بقى – سيبلي نفسك وأنا هظبطك – أبعدها عني بقسوة وأشيح عنها بوجهي لأسمعها تبكي برقة وضعف، لأنظر لها لأجدها وقد أشاحت بوجهها عني فأدرت رأسها لأنظر لها لأجدها لتلك الفتاة الخجولة التي كنت أعرفها، وازدادت حيرتي وفقدت كل رغبة في الاتصال.



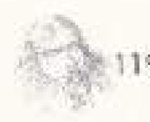
انكسرت موجة الرغبة العاتية على صخور الحيرة وتجلى عجزي ساخرًا بشماتة، وفي كل مرة أتشجع وأقترب منها أجدها على مثل ذلك الحال، والغريب أنها لا تثير في رغبة بقدر ما تثير ذعري منها؛ فعروسي أصبحت عروسين واحدة جلبتها من بيت أهلها، والثانية من شارع جامعة الدول العربية.

ومضى اليوم بين ارتباك وحيرة وانعدام سعادة بل شعرت بالرعب، ولكنني لم أجد سوى الصمت تجاه ما يحدث، فمن سيصدق أنني أعيش مع امرأتين واحدة فيهم تثير شفقتي والثانية تثير ذعري؟

وساد بيننا صمت غريب فهي لا محبطة ولا سعيدة هي فقط تنظر لي كما ينظر القط، ويتبدل حالها بين الشخصيتين بمنتهى الدقة؛ تتحول إلى عاهرة قذرة وقت رغبتي وتتحول لبنت خجولة في التعامل العادي، يا إلهي ساعدني.

وفي المساء زارنا الأهل والأصهار ولكني لاحظت أنها تتعامل بخشوع وخجل واتخذت أنا العريس دور العريس الفحل السعيد، وسمعتهم يتحدثون عن الكهرباء المقطوعة وعن الراقصة التي خرجت تجري من المنطقة، ولكنني لم أعر للموضوع أي اهتمام فتلك مجرد أحداث عرضية، فأنا أتحرق شوقًا لمغادرتهم، ودخلت حماتي الأريبة لغرفة نوم عروسي وغابت لدقائق لتخرج وقد شاعت في وجهها ابتسامة رضا بينما كنت أتوجس خوفًا منها هي بالذات، فماذا فعلت عروسي معها وماذا قالت؟ وانصرف الأهل تباعًا ووقفت أختي ناهد لتطمئن على مستقبلي وأخبرتها بأني سعيد وكل شيء تمام، فشاعت في وجهها الحزين ابتسامة [illegible] وقبلتني على جبيني وحين ودعتني

حماتي العزيزة وجدتها تنظر إلي باندهاش إذ كيف أبدو لها رجلاً كاملاً وهي من كانت تشكك في قدرتي بسبب خجلي السابق والمشهور عني، نظرت لها نظرة رجل داعر وفاجر واستمتعت بخجلها مني لأرد اعتباري المفقود عندها منذ أن عرفتها، فهي امرأة محنكة خبيرة بالرجال وتتحدث بفجور وتتكلم حاجبًا قبل عينًا، وأخيرًا انصرفوا وقد زادت ثقتي في نفسي طارحًا كل أفكاري الغريبة وعازمًا على أن أتمم فرحتي فعليًا، فالعروس أسرعت لغرفة النوم لأجدها تجلس أمام المرآة تفك خصلاتها ببطء وتنظر طويلاً إلى نفسها في المرآة وكأنها لا تراني، نظرت خلسة في المرآة قليلاً لأجد شيئًا غريبًا جدًا فصورة عروسي في المرآة لا تعبر تمامًا عن حركة عروسي نفسها، ولكن حركة أخرى وعندما ووقع بصرها على انعكاسها وأنا أحملق تصلبت قليلاً ثم أخذت تقلد بشكل غير بارع حركات عروسي نفسها، كما لاحظت أنها غارقة تمامًا في التأمل لدرجة أنها لم تلاحظ نظرتي الطويلة لها تنحنحت لتنتبه تمامًا ولتحل صورتها هي في الانعكاس، ونظرت لي بمراءة فنظرت لها بتوجس ثم هجمت عليها فجأة مقبلاً ومحتضنًا إياها فتصلبت بين يدي لبرهة ثم لانت وتجاوبت لألتصق بها بشدة بينما تشابكت ذراعها حول وسطي وأنا أمسك وجهها لأشبعه تقبيلاً بينما هي تتلقى قبلاتي بصلابة غير متجاوبة وازداد ضغط ذراعيها حول صدري وظهري وقد شعرت أنني أكاد أختنق وتسارعت أنفاسي لتضمني هي بكل قوة وتلقي بشفتيها على شفتي ليتزايد عندي الشعور بالاختناق والدوار وأنزع نفسي من أحضانها وقد تلاحقت أنفاسي كمن أخرج رأسه لسطح الماء بعد طول غطس.





أنظر له غير مصدق لما قاله بينما الأم تنظر له بحسرة وتمصمص شفتيها وتقول:

«مكنتش واخده بالي أبدًا من أي حاجة على مجدي، شايفاه ربنا هاديه وقاعد على طول في شقته وقلت ربنا يتمم عليه بالفرح والاستقرار، لكن ناهد بقى - الله يرحمها - كانت في وادي تاني وحالها اتقلب وبقت زي المجانين ومكناش نعرف ساعتها اللي حصل مع الرقاصة، وسرحت أم ناهد وشخصت ببصرها إلى الماضي القريب وأخذت ناصية الحديث.

■■■

تغيرت ناهد بعد حادث الراقصة وأصبحت تشك في أي حركة وتبحث بعيون مذعورة عن أي حركة ومارست حياتها وهي تشعر بنفس شعور الكائن الميكروسكوبي تحت المجهر، فهي تحت رقابة دائمة وكرهت أن تكسر أركان المنزل المتماسك مرة أخرى وتحاملت على نفسها وحملت السر جنينًا متوحشًا يمزق أحشاءها بضراوة.

■■■

وكان حسام ابن ناهد ذو السبعة عشر ربيعًا رجلاً صغيرًا فتصرفاته تتسم بالخشونة وصوته غليظًا وقد عرف الشعر طريقه لوجهه وهو مازال ابن الرابعة عشرة، كان ابنًا طائشًا يكره تمامًا تعليمات أمه، ويخالفها كلما أمكن ويرتبط بجو الأب الفاسد، فكما قلنا أن الأب على علاقة صريحة بالراقصة، الغريب أن الأب كان يشجعه بطريقة غير مباشرة إما





بالصمت أو بالردود الساخرة حين تشكو الأم وبالتالي فهو تلميذ فاسد يرسب في دراسته وكأن الرسوب هو النتيجة الطبيعية.

وأمام نافذة شقتي الوسطى تقبع جارتي (سناء المايعة) كما كانوا يطلقون عليها وهي سيدة مطلقة عدة مرات تقاربني في السن- الكلام لشاهد- ويجوز تكبرني بعدة أعوام تخرج بقميص نومها في البلكونة التي تقع مباشرة أمام شباكنا، وكنت دائمًا أراقبها حتى لا تغوي ابني المراهق وكنت أتعامل معها باحتقار وازدراء كبير حتى أتجنب أي معاملة بيني وبينها، ولم أكن أدري أن العلاقة قائمة بالفعل من شهور إلا لما شاهدت ابني يشير لها [illegible] عبر النافذة، وغلي الدم في عروقي و[illegible] صارخة [illegible] والولد يحاول الفكاك [illegible] غير [illegible] ولا وعي بينما أقوم بضربه وإهانته قدر ما يستطيع [illegible] في [illegible] الحجرة ابنتي أشجان تراقب بعينها الجاحظة [illegible] والغريب أنني هذه المرة لم أخف منها بل واصلت [illegible] لحم ولدي الكبير إلى أن هدأت وتركت الولد يئن ويبكي وخرجت للشرفة لأرتكب ولأول مرة شيئًا غريبًا جدًّا وقفت في الشرفة أنادي على جارتي بأقصى صوتي وقد خرج من حلقي صوت أجش له رنين غريب فتحت الجارة شرفتها لتنظر لي في ذهول بينما أنهال عليها بالمقذوفات المتلهبة وأطعن كل جزء في شرفها بكل ما أوتيت من قوة وغضب بينما لم تسكت هي وعايرتني بزوجي وبعلاقته مع الراقصة وتمت الفضيحة بكل تفاصيلها لأرى بأم عيني ابنتي الشيطانية- أشجان- تقف غير بعيدة عن الجارة في شقتها تنظر لي باستفزاز وتلوي شفتيها بامتعاض لأتوقف فورًا



عن الردح وأصمت تماماً بينما الجارة تكيل لي من الشتائم ما يهدم مدينة، أحسست بالغضب يغلي كماء الغلاية ونزلت من فوري متوجهة لبيتها وطرقت الباب بغل وكراهية كنت لا أتكلم بل كنت صامتة لكن جسدي ينتفض بكل رفضي لهذا الواقع الشاذ وسمعت جارتي تصرخ من خلف بابها مستغيثة بالجيران ليتجمع نفر غير قليلين منهم معي أمام باب الشقة، ويسعوا بكل الطرق لتهدئتي وفجأة كما انفعلت هدأت وأحسست ببرودة قارصة، وعندما أدركت جارتي سكوتي ظنت أنه استسلام لتخرج علي بلباس منزلها الخفيف وتبصق على وجهي أمام الناس لأستعيد كل عداوتي وكرهي دفعة واحدة وأقفز عليها ممزقة ثيابها ولحمها بأظافري وأسناني والناس لا حول ولا قوة لا يقدرن على تخليصها مني، في أثناء ذلك اتصل بعضهم بالشرطة ولم أفق إلا وقد وضع الحديد في يدي وثمة من يقتادني بعنف إلى قسم الشرطة، أمي التي كانت قد عادت من مشوار قريب تجري هي وزوجات أخريات بدون سلمى العروس وراء عربة الشرطة.

وألمح عربة إسعاف تدخل مولولة بينما أتساءل بذهول بيني وبين نفسي:

هل أنا سبب كل هذا؟!!!!





10

العشق الدموي



لـم يكـن جابر رجـلاً عاديًا فهـو يهوى النسـاء خصوصًا مـن تتمتع بالضخامة والبروز المترهل فهو يقيس المرأة بالكيلو جرام.

هـو كقصاب -جزار- يربـت بعينين خبيرتين علـى الأجزاء الدهنية ليقيـس عمق الأنوثة في المرأة ومن هـذا المنطلق غرق تمامًا في علاقة سرية بالراقصة التي تعرف عليها في إحدى الأفـراح الشعبية، ينفق ببذخ عليها ويسترضيها حتى تسمح له بالاستضافة الدافئة في منزلها. يدخل جابر إحدى العمائر الحديثة في منطقة العمرانية محملاً بعشاء من المشـويات مـن المنوفي الكبابجـي وزجاجة ويسـكي مختومة من المنطقة الحرة وسمنيًا نفسه بسهرة لها لون فستان الراقصة نفسه، يدخل إلى المصعد، فنورا جنزير تسكن في الدور الأخير، وفي الدور الحادي عشـر يرن جـرس البـاب لتفتح له مسـاعدة الراقصـة النحيلـة والتي لا يعيرها أبدًا أي انتباه مع أنها عرضت نفسها بكل صراحة عليه لكنه يراها عجفاء لا تصلح حتى للطبطبة.

تفتح له- هيه- الباب ويلاحظ عليها ابتسامة ترحيب غريبة وتدخله مـن فـوره لغرفة المعيشـة حيـث تعـود وتقول له إن السـت نـورا نائمة وستدخل حالاً لتوقظها وتخبرها بمجيئه غير المتوقع، ويرى في معاملة هيـة له نوعًا من السـخرية والتشـفي ولا يعـرف لماذا، ولكنـه تجاهلها ووضع حمولته على المائدة وقام بخلع جاكتته وتحرر واسترخى وقد





أعد نفسه مقدمًا ليعتذر عما حدث ليلة انقطاع الكهرباء وبأنه لا يستطيع كشف اهتمامه بها أمام أسرته وأصهاره.

عادت هبة بعد قليل لتخبره أن الراقصة متعبة ولا تقدر على مقابلته، شعر بإحراج وعلل أنها مازلت غاضبة من تجاهله لها في فرح نسيبه مجدي وأصر على أن يدخل غرفة نومها بنفسه ليواصل تبريره ويؤكد على غرامه، وبالرغم من لمحة السخرية والتشفي في وجه هبة إلا أنه أخرج ورقة مالية من فئة الخمسين جنيهًا وأعطاها للمساعدة وطلب منها شراء سجائر ميريت النادرة في هذه المنطقة، وفرحت هبة بالعطية وانطلقت من فورها لتأتيه بطلبه وتتجاهل رفض سيدتها الراقصة في المقابلة، يتخفف جابر من الجاكت والشال المميز لكل ملبوساته ويخلع حذاءه ويتسحب داخلاً لغرفة نوم الراقصة الغارقة في الضوء الباهت.

■■■

نعود لناهد الملقاة في قسم الشرطة وقد تحجرت عيناها بالدموع وانذعرت كمن فاق من غيبوبة لتجد نفسها في مكان معادٍ لا يرحب بها وسمعت كلام أمين الشرطة مع أمها وأخيها بأن لا بد من العرض على النيابة المسائية وأنهم يشكون في قواها العقلية، فالكل يا ناهد يدركون أنك مجنونة ولن يسمع لكي إنسان تقوقعت داخل غرفة التحفظ متخذة وضع التحوصل داخل نفسها لا تدرك أصلاً معنى الزمن والانتظار بينما تلعب أشجان على مقربة منها.

ها أنتي يا طفلتي العزيزة المظلومة وقد تخليت عنك قديمًا لا تحزني واقتربي من أمك الحنون لقد رفضتك وتمنيت موتك، اغفري





لي يا حبيبي واعلمي جيدًا أنني لطالما اشتقت لبنت، اغفري لي قسوتي فأنا أمك بلا شك.

تقترب أشجان بسحنتها الشاذة من الأم داخل القسم، وتنظر لها بحنان وابتسامة طفولية وتمد يدها للقيد الحديدي المكبل للأم، تندفع دموع ساخنة من عيون ناهد وتمد يديها المكبلتين إلى البنت الشيطانية وقد غمرت تمامًا في نشوة الأمومة بينما تتملص أشجان بطفولة وتضحك ضحكة شيطانية لا تراها الأم.

فجأة يفتح الباب ويدخل أمين الشرطة والذي اشتهر بقذارته وابتزازه للناس يدخل ممسكًا بلفة طعام ويقف قبالتها محدثًا إياها بوقاحة، بينما البنت مازلت ملتصقة بالأم وتنظر له بقسوة وجحوظ، والغريب أنه لا يرى وجود البنت بل ينظر لناهد نظرة قبيحة لزجة، ويناولها لفة الطعام ويمسك يدها وهي تتلقى اللفة منه ليضغط على يدها متظاهرًا بالتشجيع، تبعد ناهد يدها بشرود يحسبه هو تساهل ويزيد في اقترابه منها.

تواصل ناهد النظر لصغيرتها الشيطانية وتلاعبها بيديها وتبتسم لها، ينظر لها أمين الشرطة بتمعن وقد لمعت في عيونه نظرة شهوانية حقيرة، وقد أدرك أن المرأة غير طبيعية، ولن يشك أحد في تقربه منها مع العلم بأنه أخذ توصية حارة من أخيها بها ومن الواضح أنه يريد تنفيذ الوصية بشكل آخر وقد انتفخ بالرغبة السرية الممزوجة بالتعجل والسرية ومد يده يتحسس رأس ناهد الشاردة مع ابنتها.

تتحرك أشجان مقتربة منه بهدوء وتلمس بيديها سرواله في أماكن حساسة منكورة ليجد نفسه مبللاً تمامًا بالبول وقد واصل اندفاع البول عبر سرواله على الرغم منه، وناهد مازالت تنظر بابتسامة لأشجان غير



ناظرة له أصلاً، يتكهرب أمين الشرطة ويدخل في ذهول من حاله وقد ابتلت كرامته نفسها بفعل بوله الخاص، وقد تكونت بركة الماء الذهبية حول قدميه المهتزتين بفعل الذهول وهو ينظر لناهد الهادئة المبتسمة شاعرًا أن الشياطين تمارس تحكمًا كاملاً في كل أعضائه بكل استهتار وجنون بينما تتصاعد موسيقى مدوية في أذنه أشبه بدق الطبول.

■■■

ابتعدت عن عروسي بعنف وقد ارتبكت أنفاسي بشدة بينما وقفت هي وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها بتحدٍ، ارتبكت تمامًا وداهمني إحساسي الكامل بالعجز أمامها وقد تبلورت شخصيتها كاسحة أمام ضعفي وعجزي وتشاغلت عنها بالتدخين ومتابعة التليفزيون بينما ذهبت هي لأعمال المنزل الخفيف ودارت في رأسي أفكار لها طعم مر قلبي وتساءلت بيني وبين نفسي عما قالته لوالدتها الأريبة والذي جعلها تخرج مشعة بالبشر والسرور.

فلم يحدث شيء على الإطلاق بيني وبين عروسي والغريب أن الحديث بيننا شبه مقطوع حتى محاولاتي معها اتسمت بالصمت الذي كلما تذكرته أحسست بالرعب، وفيما كنت غارقًا في أفكاري جلست هي قبالتي تنظر لي في صمت وأخبرتني بأنها ستغمض عيونها قليلاً لأنها متعبة وسمحت لها وتركتها تذهب للفراش وجلست وحدي أشعل سجائري وأسبح في أفكاري السوداء وقد تنازعت رغبتي مع رجولتي في صراع دموي فاضح.



واستجمعت شجاعتي ودخلت عليها غرفة النوم لأجدها نائمة متكورة حول نفسها في وضع جنيني قبيح وقد تحدب ظهرها واقتربت ركبتها من رأسها، اقتربت منها أكثر لأسمع صوت تمتمة غريبة تصدر من شفتيها، تمتمة طفولية خبيثة وكأن مجموعة أطفال أشرار يتفقون على خطة حقيرة للإيقاع بطفل جديد وافد عليهم، تجمدت في مكاني خلفها لأجدها تتقلب وتتمطى وتدير وجهها نحوي فتظاهرت بالنوم بجانبها، تفتح عيونها في تقزز ثم تتغير نظرتها للبراءة وتأخذني بحضنها، تتلاحق أنفاسي سريعًا من الرعب بينما هي تجرني إليها وتضع ساقها على جسدي بإغراء.

أشعر بلحظات كارثية ستحدث، تقرب شفتيها من أذني هامسة بأشياء مشينة جدًا وأنا مرتعب وقد تعودت على أن الرعب هنا مرتبط بالاستجابة لها، وفجأة انفجر جرس الباب مترامنًا مع دق شديد عليه تنتبه عروسي وتقوم من فورها مستعيدة براءتها لتفتح الباب لتدخل أمي مكفهرة الوجه تبحث عني لتجدني نائمًا على الفراش مذهولًا صامتًا وقد خلعت ثيابي عني، تنظر لي أمي بذهول من جرأتي وعدم استقبالي لها

أبادلها بنظرة مستغيثة لا تفهمها وتصرخ في قائلة: أنت نايم على ودانك وأختك مرمية في القسم، أنظر لها في غباء وارتباك قائلًا: قسم؟! ليه حصل إيه؟!

تنظر لي الأم وقد تطاير الشرر من عيونها الحنونة غضبًا: أختك خدوها على القسم وانفضحنا بسبب خناقتها مع البت سناء المايعة، أنظر لها ببلاهة غير مصدق وأقوم ناهضًا بضعف وشرود تحسبه أمي تكاسلًا:

طب وأنا أعملها إيه؟!





تنظر لي أمي وتتجمع عصبيتها في صورة صفعة على وجهي ليتطاير كل الضعف كغبار منفوض بقوة عن سجادة متربة: يابن الكلب يا مدلول نايم عريان قدامي ولا احترام ولا خشا وسايبنا في النار تحت.

تخرج الأم ناظرة بكراهية لعروسي وأعدو في إثرها على السلم شبه عار بينما وقفت سلمى تشتعل بالغضب من تركي لها واضعة يدها في خصرها وقد بدت من عيونها نظرة شيطانية مقيتة.

■■■

يدخل جابر لغرفة النوم الغارقة في بحر الضوء الباهت ليجد الجسد البدين متكومًا في الفراش، يقترب منها ويجلس على طرف السرير ويتنحنح قائلاً:

: إيه يا ست الكل مش عايزة تقابليني ليه إنتي زعلانة مني طب وأنا عملت إيه؟!

تتقلب المرأة بهدوء وهي تنظر للجانب الآخر من الفراش، يمد يده ليضعها على أردافها الهائلة ويقول:

والله والعظيم أنا طلعت ولقيتك بالعباية بنفسي واطمنت إنك مش بتاعتي ومكنش ينفع أعمل أكتر من كده خصوصًا إن ناهد مراتي كانت واقفة على السلم.

يهزها برفق معتذرًا وقد أحدث تأثير الطبطبة فعله في السخونة والقرب ملتصقًا بجسد المرأة الشبيه ببوابة المتولي.





: الله يلعن أبو الكهربة ويلعن أبو الفرح نحمد ربنا إنك بخير، تستدير المرأة نحوه وتقوم نصف قومة لتنظر له عبر الضوء الخافت وتقول بصوت غريب:

: اطلع بره يا ابن الزواني.

بهت جابر وانتفض من رد فعل الراقصة غير المتوقع فهو فحل لا يقبل إهانته أبدًا من أي امرأة حتى لو كانت عشيقته، وكرد فعل تلقائي للإهانة يصفعها جابر على خدها وهو يشتعل غضبًا بينما المرأة تنقض عليه كخرتيت هائج.

بتقولي إيه يا مومس يا صفيحة زبالة؟

وفي ضوء غرفة النوم الضعيف اشتعلت شرارة كراهية وقتال يضربها جابر بكل عدائية بينما تتلقى المرأة الضربات بهياج شيطاني وقد انفلت لسانها بأقبح الشتائم، إنت فاكر نفسك راجل؟ ده أنا أكيفك بصباع رجلي يا عرص، بينما يمارس جابر ضربها بغضب كاسح، لا بد أن تحدث جريمة ههنا؟ هل لكم رأي آخر؟

■■■

في ذهول قاتل ابتل أمين الشرطة وقد عجز عن الحركة بينما ينادي عليه العسكري من الخارج، تدور أشجان وتصفق بيديها بطفولة بينما يتدفع اللعاب والمخاط من أنف أمين الشرطة ملازمًا لشهيقه وزفيره وقد عجز تمامًا عن الحركة.

يدخل العسكري ليرمق أغرب مشهد سيتحدث عنه قسم الشرطة طويلاً، فالأمين رمضان السيد- وهو اسمه- ذو الجسد اللحيم



والكرش الفخم والشرس والمشهور بأنه أكثر كفاءة من ضباط القسم قد تبول على نفسه أمام المتهمة.

يخرج العسكري صارخًا بينما يندفع باقي أفراد القسم ليشاهدوا بأعينهم انهيار أمين الشرطة تحت أقدام المتهمة الغامضة، بينما المتهمة نفسها لا تنظر له وقد شخصت ببصرها بعيدًا تنظر لما يعجزوا جميعًا عن رؤيته.

أسرعت بالنزول خلف أمي وقد احمر وجهي خجلاً منها ودخلت وراءها شقتها الأرضية لتلقي في وجهي قميصًا وتأمرني بالتوجه فورًا لمحل أخي لأبحث عن جابر زوج أختي ناهد الذي لا نعرف أين يوجد الآن، خرجت من فوري إلى الشارع بينما الجيران يتحدثون عن إصابة الجارة الدامية على يد أختي ناهد ويقترب مني أحد الجيران مستفسرًا عن سر غيابي، أتجاهل سؤاله وأجري في الشارع متوجهًا لميدان الجيزة غير عالم بالضبط ما أفعله وقد تزاحمت الأفكار وتعاركت في عقلي التائه لأجد أخي الأكبر عائدًا وقد اكفهر وجهه ونظر لي قائلاً لو رايح تدور على جابر فهو مش موجود ومش عارف هوه مختفي فين.

■■■

تدور المعركة الحامية في غرفة النوم شبه المظلمة بين نورا وجابر وقد تمسكت المرأة بتلابيب عشيقها بينما يضربها بجنون ويدفع جابر المرأة بعيدًا عنه لتتدحرج على أرضية الغرفة في الجانب الآخر من الفراش ومد يده ليشعل المصباح الرئيسي في الغرفة:

:أنا هخصيك يابن المره.





وفي لمحة درامية ترتفع الراقصة من أسفل السرير كما يخرج نبتون إله البحر في الأساطير الإغريقية ليغرق سفن القراصنة.

يا إلهي أهذه نورا؟!!

فبصرف النظر عن الدماء النازفة من فمها، والغضب العاصف لملامحها فقد بدت خفيفة الشعر وقد تدلت خصلات واهنة على جانبي رأسها وبدت مسلوخة ببقع حساسية داكنة مشعرة وبعيون عارية من الأهداب كانت تنتفض غضبًا وقد أصبحت كحيوان لم يتم ذبحه جيدًا وأصبح مجرد النظر لوجهها عملاً بطوليًا ليتراجع جابر بظهره خارجًا من باب الغرفة مذهولاً بحالها غير المحتمل حتى ولو بالنظر.

تقدمت منه الراقصة تنهج من أنفها المعوج ويتطاير ريقها مع الشتائم مختلطًا بدم المعركة النازف من فمها، يتراجع جابر وقد حل الخوف والاشمئزاز محل الغضب ومع تقدم الراقصة منه يزداد شعوره ببشاعتها إلى أن يصلا للصالة الكبيرة.

تمسك الراقصة بكتلة حديدية على شكل تمثال وتقترب منه رافعة إياها لأعلى ويقف مذهولاً غير مصدق لتضربه بها على رأسه لينفجر الدم على شكل نافورة من نافوخه وليخر على ركبتيه وقد وضع يده المرتجفة على الثقب في رأسه ويتراجع لباب الشقة محاولاً الخروج بينما وقفت المرأة تنظر له بغل وحقد، يتحامل على نفسه ويفتح الباب خارجًا من شقة نورا جنزير عاريًا حافيًا نازفًا مذهولاً وينزل على السلم بينما يتجمع الجيران على أبواب الشقق ليشاهدوا فضيحة دامية، بينما أغلقت نورا الباب وراءه وقد ارتسم على شفتيها الدامية شبح ابتسامة.

■■■





١١

صرخة في الحمام

يسألني البعض عن النهاية بينما أصر أنا على التفاصيل لأن في قصص الرعب لا بد من التفاصيل لا بد أن تتخيل نفسك وقد اندمجت تمامًا مع أبطال القصة وتساءلت كيف سيكون موقفي لو كنت مكانهم؟ تلك هي الصفقة المبرومة بيني وبينكم ولا تنسوا أنها مذكرات جمعت أحداثها من مرتكبيها بطرق مختلفة - تامر.

■■■

تغيب ناهد في ثبات عميق داخل محبسها بقسم الشرطة تنام نومًا عميقًا أسود إلى أن تنتبه فجأة على شيء يلتصق بوجهها، شيء لزج مبتل، كثعبان الماء، تفتح عيونها ببطء شديد لتجد الكلب الأسود الضخم يلعق وجهها بإصرار، تنتبه بقوة وخوف شديد ليبتعد عنها الكلب وكأنه يوقظها لتجد نفسها جالسة في مكان مألوف لها- نعم تلك الأجواء الزرقاء ورائحة التراب- إنها مجددًا في المقابر وقد جلست أرضًا واستندت بظهرها إلى شاهد قبر أبيها نفسه تنظر أمامها لتجد أشجان وقد جلست هي الأخرى أرضًا واستندت بظهرها إلى الكلب الأسود المقيت تحاول أن تتكلم أو تصرخ ولكن الصوت محبوس بشدة في حلقها تنظر برعب إلى أشجان التي تكلمت لأول مرة وهي شاخصة ببصرها إلى ناهد محدثه إياها بطريقة طفولية ملتاعة:





ماما ماما إنت سيبتيني ليه؟ رمتيني ليه ماما؟ إنت بتكرهيني وإخواتي كمان بيكرهوني وبابا كان عايز يقتلني، ماما كنتي بتتمني موتي أنا بحبك يا ماما ومش هسيبك.

تندفع الدموع في عيني ناهد وتهز رأسها يمينًا ويسارًا لتنكر ما تقوله البنت بينما البنت تواصل:

إنتي كنتي عايزاني أموت .. إنتي كنتي بتتمنى موتي يا ماما.

تتحدث الطفلة الجهنمية بطريقة طفولية بريئة ولكنها مليئة بعزم الأطفال وكراهيتهم للأشياء، تحاول ناهد النهوض ولكنها عاجزة تمامًا، تقترب الطفلة زاحفة للأم الباكية وتمد يدها الصغيرة لصدر الأم لتطبطب عليه وتقترب بوجهها لتمسح به وجه الأم الغارق في الدموع، وتحاول ناهد رفع يدها لتضم صغيرتها ولكنها عاجزة تمامًا عن ذلك.

....

يا ست ناهد يا ست ناهد اصحي.

تفتح ناهد عينيها لتجد نفسها في قسم الشرطة بينما شاويش القسم الكهل طيب الوجه وقد نظر لها متوجسًا، يقف أمامها ليخبرها بأن موعد النيابة المسائية قد حان، تقوم معه لتتوجه إلى سراي النيابة في الوقت الذي يجبر الأخ الأكبر لها جارتها سناء بالتنازل عن المحضر بعد أن استرضاها بشكل أو بآخر لتعود ناهد للقسم مرة أخرى وتنتظر لتخرج من عرض المباحث الليلي بعد أن رمقها شاويش المباحث باستغراب قائلاً:

يا بنتي قوليلي إنت عملتي إيه للأمين رمضان؟





تنظر له غير فاهمة فيواصل:

:احنا عارفين إنه قليل الأدب وابن حرام، لكن إيه اللي حصله وهو واقف أدامك؟ إنتي فيكي شيء لله،

تنظر له ناهد وهي تقلب الجملة في رأسها.

أهو صحيح إنني أملك شيء من الله أم هو الشيطان؟

بعد تمام الإجراءات تخرج ناهد من القسم مع أخيها الأكبر محمد وفي الطريق يخبرها بهدوء أن جابر أصيب في العمرانية في رأسه وأنه اطمأن عليه وترك ابنها حسام في صحبته في المستشفى، تلقت ناهد الخبر بصمت وغضب خاصة بعد ما ذكر عن علاقته بالراقصة البدينة ولم تعر الموضوع اهتمامًا بل صمتت تمامًا.

■■■

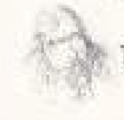
مستشفى أم المصريين العام بضواحي الجيزة حيث يرقد جابر ورأسه ملفوف بالضمادات في شبه غيبوبة فقد أصيب الرجل وبرجة زلزالية عميقة، فبعد أن ضربته نورا وألقته على سلم العمارة نزل جابر مترنحًا بينما تفتحت أبواب الشقق مصحوبة بصرخات النساء وتجهم الرجال، والغريب أنهم لم يتعاونوا معه وكأن على رءوسهم الطير أو كأن شيئًا يمنعهم من التفاعل مع الحدث الدموي، بينما يسد جابر جرح رأسه العميق بكفه وقد تلونت الدنيا بلون الفضائح الأصفر، يخرج جابر من بوابة العمارة المطلة على ترعة الزمر بالعمرانية، ويمشي مبتعدًا عن مجالها ليرتمي آخر الأمر على الطريق ويتحلق المارة حوله أخيرًا ويتطوع بعضهم بتوصيله إلى مستشفى أم المصريين القريب من المكان وقد تلقته أيدي الأطباء والممرضين بينما هو يصارع الفناء في

لحظاته الأخيرة ولكنه بالفعل نجا وإن اشتدت خطورة حالته، ويتم التعرف عليه في عنوانه ليرسل للمنزل ويحضر أخو ناهد الأكبر بصحبة ابنه الأكبر حسام ويتلقى محمد- أخو ناهد- الخبر بقلق بالغ على حياة ابن عمه ونسيبه وإن كان يعرف حقيقة شغف ابن عمه بالنساء ومغامراته معهم، تخرج عن الحصر والعدد... العنبر غارق في السكون بينما يجلس حسام ابنه على طرف السرير مرافقًا لأبيه المصاب.

.....

الوقت: الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والسكون يلف العنابر وقد نامت الممرضات وغاب الأطباء تململ حسام في جلسته وقاوم النعاس عدة مرات، المكان هادئ جدًا ورائحة المستشفى غارقة في المرض والمطهرات، يقوم حسام من جلسته غير المريحة ليتجه إلى دورة المياه الواقعة آخر الممر للعنابر كلها، يمشي ببطء ويمد يده مخرجًا علبة سجائره السرية، الردهات ساكنة وصوت خطوته يحدث صدى وقد نام المرضى وأغلقت أبواب العنابر.

لماذا يشعر حسام بكل هذا التوتر؟ بل إنه يشعر بأن أحدًا يمشي خلفه توقف عدة مرات لينظر خلفه ولكنه لم يجد أحدًا يواصل التحرك ناحية دورة المياه بينما يلمح بسرعة خيالاً لجسد طفلة صغيرة تختفي داخل إحدى العنابر المصفوفة على جانبي الممر وعندما يصل لهذا العنبر بالذات يجد بابه مفتوحًا ولكنه خالٍ تمامًا من المرضى ومن الطفلة التي لمحها ويشعر بدبيب الخوف في قلبه الشاب ولا يعرف لهذا سببًا، يدخل إلى دورة المياه غير النظيفة تمامًا ليقضي حاجته يجدها خاوية تمامًا بينما تصطف الحمامات الصغيرة في صف مكون من سبع حمامات- خمس منها له قعدة أرضية واثنان بقاعدة أفرنجي





ولكنهما شديدتي الاتساخ- مفتوحة الأبواب كتوابيت فارغة يختار حسام آخر الأبواب ويدخل ويغلق بابها القصير نوعًا عليه ويخلع بنطاله ويجلس القرفصاء على قاعدة الحمام الأرضية بعد أن أنزل بنطاله الجينز مشعلاً سيجارة ينفث حسام دخان السيجارة مرارًا وهو جالس بينما لا صوت إلا صوت قطرات المياه تتسرب من مواسير دورة المياه المنهكة محدثة صوتًا له صدى توك توك توك توك وبينما حسام مستمتع بتدخين سيجارته داخل الحمام يسمع صوتًا غريبًا شاذًا توقفت له شعريات جسمه قبل رأسه.

صوت خافت يتصاعد تدريجيًا باقتراب صاحبه:

آهههههههههممممممم آهههههههه

ثم يسمع صوت قدمين تزحف متوجهة لدورة المياه- خطوات ثقيلة جدًا كمن يجر شيئًا ثقيلاً على الأرض مصحوبًا بذلك الصوت المكتوم من الآهات والهمهمة الحلقية المفزعة يتجمد حسام خوفًا مع أنه يتصور أنه لأحد المرضى وقد صحا من نومه ليقضي حاجته، صوت الأقدام الثقيلة غريب جدًا، خطوة ثم صوت زحف ثم خطوة ثم صوت زحف ووقع الخطوة والصوت يمثلان شيئًا ثقيلاً جدًا جدًا، تقترب الخطوات وقد أصبحت داخل دورة المياه بالفعل تقف الخطوات بينما ظل أسود كبير قد غلف معظم معالم دورة المياه ثم ينطلق صوت الآهات بعمق وتركيز أكبر:

آآآآآآآآآآآآه همممممممم آآآآآآآآآآآآآآه همممممممم

ثم يسود صمت لحظي، يتجمد حسام في جلسته ويتوتر ويرمي بسيجارته على الأرض المبتلة لتحدث صوتًا خافتًا جدًا- تشششششششش



ويبدو أن هذا الصوت الضئيل نبه صاحب الخطوة الزاحفة، ترتجف الخطوات الشاذة وتواصل زحفها نحو نحو نحو نحو.... الحمام الذي يجلس فيه حسام بالذات والذي اقشعر بدنه بالكامل وهو ينظر أسفل فتحة الباب القصير وقد اعتراه فزع المحكوم عليه بالموت وهو ينظر لنصل المقصلة، ظل كبير يسبق وصول هذه الأقدام لمجال رؤية حسام ثم ببطء وتركيز تدخل هذه الأقدام مجال الرؤية أسفل باب الحمام الصغير ليفزع حسام فزع عمره.

■■■

عدت متثاقلاً إلى شقتي بعد أن استرضيت أمي بكل الطرق فأنا أحبها وأكره أن تغضب مني ولم أجد لدي القدرة على مصارحتها بأنني أتعذب وأرتعب، في شقتي استقبلتني عروسي بترحاب وابتسامة والغريب أنني أراها قاسية بالرغم من رقتها المزعومة فأنا خائف نعم أنا خائف تمامًا منها وأشعر برعب كلما اقتربت مني، والغريب أنها تمارس معي لعبة الاطمئنان لأقترب منها ثم تجهز على برعبها وقسوتها غير العادية، وأذكر أنني تشجعت مرات وأقبلت عليها لأجدها تفتعل الأعاجيب لترهبني وتبعدني عنها بكل الطرق الشاذة فمرة أشم رائحة كريهة جدًا، ومرة أجد جسمها وقد تغطى بالشعر الخفيف كزغب عباد الشمس على سيقانه، ومره أرى وجهها وكأنه انعكاس على صفحة المياه والغريب أنها تمارس إرعابي بطريقة دقيقة محسوبة تعرف فيها اللحظة المناسبة للهجوم علي بشياطينها أو لتمثيل دور الرقة والوداعة.

وتحطمت رجولتي وشعرت بمرارة اليأس وقد تبدل حالي لأصبح شاردًا صامتًا أكثر الأوقات، وفي وقت لاحق ذهبت في نوم عميق لأصحو فجأة وقد سبحت شقتي في ضوء أزرق كئيب بينما أضواء الشارع هي ما





يكسر الضوء في أركان الشقة، قمت من فراشي بصمت ووقفت في الظلام ثم خرجت للصالة لأجدها خالية من عروسي بحثت عنها في أرجاء الشقة فلم أجدها أين ذهبت سلمى - العروس - فأنا لا أجدها تمامًا؟ وقفت في الظلام أفكر وقد شل عقلي، أشعلت الضوء لأجدها فجأة تقف أمامي على بعد سنتيمترات من وجهي وكأنها تجسدت من عدم، تبتسم ابتسامة مقيتة راسخة فسألتها أين كانت؟ فنظرت لي باستغراب شديد وإن بدا لي مصطنعًا بأنها كانت هنا طوال الوقت.

انفجرت في وجهها وقد تطاير شرر إحباطي وعجزي متمثلاً في ثورة عاتية بأنني لا أحبها وأحسبها شيطانًا رجيمًا يقيم معي في المنزل، وهجمت عليها بكل قـوة لتتلقى مني صفعات متتالية ولكنها تتلقاها بابتسامة ساخرة مقيتة، ثم رفعت يدها لتصفعني بقوة غير عادية لأقع أمامها على الأرض وشاعرًا معها بالانسحاق والإهانة وأنهض من فوري عازمًا على قتلها وقبل أن أرفع يدي لأردلها صفعتها إذ أفاجأ ببنت صغيرة لا تتعدى الست سنوات تقف خلفي أو تحتي إن صح التعبير وتمسك في ساقي بقوة من الخلف، أنظر للبنت في ذهول وأهز ساقي التي التصقت بها الفتاة الصغيرة لأجدها وقد فتحت فمها المشقوق وعضتني في باطن ركبتي - خن الفخذ - وقد تربصت أسنانها بالوتر الواصل بين ساقي وفخذي.

في البداية تظاهرت بالغضب الجنوني ولكن غضبي تحول إلى ألم عاتي ثم إلى ذعر كبير وأنا أشعر بانغراس أسنان البنت في لحم ساقي وتصاعدت مني صرخة ألم عاتية.





فالبنت الشيطانية تحاول قطع وتر مفصل الركبة من الخلف بمنتهى الغل والإصرار.

■■■

هممممممم آااااااااااااه هممممممم آااااااااااااه

يتجمد حسام وقد دخلت الأقدام مجال رؤيته قدم واحدة فقط ضخمة وكأنها لعملاق متورمة ممتلئة بالبثور والقيح بشعة لا تقدر العين على الحملقة فيها، ارتعب الولد واهتز كيانه تمامًا بينما تلونت بعض خصلات شعره باللون الأبيض وأخذ في ضرب وجهه بيده بقوة بينما يئن بصوت مكتوم وكأنه جن تمامًا، لقد فقد عقله الإدراك ليجد نفسه ينظر إلى البشاعة بعينها فهذه قدم حتى لو كانت لرجل حي فهي تشبه القبر بكل حضوره، فقد تجزم الجلد وانتفخ وامتلأ بالبثور الكبيرة بينما تحجرت حواف الجلد كالشعاب المرجانية والغريب أنها تهتز كما لو كانت معبأة بسائل شديد اللزوجة كالزيت الثقيل، بينما جرت الساق الأخرى كما لو كان محروقًا يجر ميتًا خارجين من حفرة في الجحيم، فالساق الأخرى مجرورة بارتخاء وظهرت نحيفة جدًا بجانب الساق المتورمة المنتفخة وبان الفرق في الحجم والصلابة حتًا مقززًا مؤذيًا للعين كفلاش الكاميرا، توقف الصوت وساد صمت له دوي الانفجار، صمت شامل يشبه الصمت المخيم على الناس عندما يكتشفون المقابر الجماعية وكأن الوجود يرمق المشهد مع المسكين حسام فالأبواب والحوائط وحتى صنابير المياه انتبهت ترمق في فزع هذا الوجود الشيطاني والقدم العملاقة لا تزال هناك واقفة تترجرج بلزوجة بينما انطرحت الساق الأخرى منتظرة حركة تسلمتها الجهنمية ويسود الصمت

تقطعه همهمة من الكائن كصوت غليان الماء في قدر الضغط، أمسك حسام بشعره قابضًا أصابعه على خصلاته وأخذ يشد بتشنج وقد زم شفتيه بشدة وكأنه يقاوم خروج روحه من حلقه ثم تتصاعد الهمهمة ببطء امممممممممممممم همممممممممممم ثم يجد حسام شلالاً من المياه الصفراء المخلوطة بتجلطات دموية حمراء تنساب بغزارة غير عادية على باب الحمام المغلق وتندفع من أسفل الباب إلى حيث يجلس حسام على قرافيصه- فقد كانت قعدة الحمام أرضية- قعدة حمام بلدي- ينتفض الولد بينما هذا الكيان المهول بدأ يدق الباب بعنف.

ليتحرر لسان حسام بصرخة عاتية مصحوبة بارتعاش منتفضة لجسده في الوقت الذي ينهار فيه الباب مخلوعًا من مفاصله وينهار على حسام الجالس القرفصاء يدفع الباب المخلوع جزئيًا عنه ليجد حسام نفسه وجهًا لوجه مع كائن عملاق لا يمت للبشر بصلة كان يشبه رجلاً يمشي على ساق واحدة بشعة بينما تتدلى ساقه الثانية أطول من الأولى على الأرض يلبس جلبابًا أبيض متسخًا وقد شمر عن ذراع قوية مشعرة بينما تتدلى ذراعه الأخرى بتصلب وتتحرك بتصلب وكأنها ذراع صناعية وقد شمر جلبابه أيضًا لتظهر القدم أكثر تضخمًا وتورمًا كلما اتجهنا لأعلى بينما الساق المجرورة تبدو أطول من الأخرى في مشهد في منتهى البشاعة بينما وجهه ككتلة عجين بلا ملامح تقريبًا وقد سقط الشعر عن وجهه ورأسه فبدت جمجمته وكأنها مهشمة تحت لحم وجهه، وكان يملك عيونًا مكدودة شديدة الضعف وكأنه ثعبان يتحرك في الظلام بدا كأعمى تقريبًا لسانه الأبيض داخل فم بلا أسنان تقريبًا ويسيل الريم الأبيض من زاوية فمه ينظر الكيان المرعب بعيونه الكليلة إلى حسام

ويطيل النظر كما لو كان يستكشف ضحيته قبل افتراسها، وهي تجربة مريعة أن تكون مع كيان عدواني أعمى أو كليل البصر وسر الرعب هنا أنك لا تعرف متى سينفجر ويطلق أسلحته في أي اتجاه، وفي الغالب يكون اتجاهه صائبًا ونحن هنا أمام تحفة إبليسية في الدمامة والرعب.

(تامر)

يتشمم الكيان الهواء بأنف مجدوع يستوي مع مسطح الوجه وقد انفتحت فتحتاها ويقترب منه ببطء أو محملقًا بعيونه المريضة بشدة في وجه حسام داخلاً بجسده قليلاً إلى تجويف الحمام، بينما حسام يهتز بعنف وقد انغرس في فتحة القعدة الأرضية المبتلة ببول الكيان الرائع الواقف أمامه وأخذت خصلات شعره في الابيضاض أكثر وأكثر وقد سال اللعاب من زاوية فمه بينما الأضواء تتراقص بجنون حين يمد الكيان البشع يده السليمة ليمسك بكتف الشاب بينما الشاب يستجدي جهازه العصبي في الانهيار، فالانهيار رحمة في تلك الظروف السوداء وربما أيضًا يكون الموت رحمة، أخيرًا يطلق حسام صرخة مزلزلة وينهار مكومًا على أرضية المرحاض.

في لقطة تصويرية جديرة بلوحات جويا الإسبانية.

■ ■ ■

تعود ناهد للبيت لتقابلها الأم بالعناق والدموع وتجرها جرًا إلى شقتها بالدور الأول ولتجد ناهد ابنيها الآخرين وقد ناما عند جدتهما، نظرت إليهما بحنان وأجهشت بالبكاء في حضن أمها بينما الأم تحاول التخفيف عنها وتسألها لماذا يا حبيبتي؟



تجلس ناهد بجانب الأم الحزينة على ابنتها وتربت على صدرها وكتفيها بحنان الأمومة البالغ، تسألها بعيونها وتطبطب عليها بيدها وترطب حرارتها بلسانها.

يا حبيبتي التعسة ماذا حل بك؟ يا حبيبتي أيكون الجنون دق باب عقلك أم ماذا خبريني يا صغيرتي الجميلة؟ أهو الحسد الذي لازمك منذ صغرك؟ نعم لا بد أنه كذلك فعيون الناس لا ترحم وإنتي كنتي كورق الورد المخملي ندية براقة تخطفي قلوب الناس فماذا حدث لعيونك الصافية وبشرتك القشدية وطباعك الرائعة؟

: يا بنتي إيه اللي نابك بس؟ قوليلي مالك؟؟ بتعملي ليه كده؟ فهميني أنا أمك.

تنظر لها ناهد من خلال الدموع وقد لاحت الأم كخيال صديق طيب في عيون ناهد التي أرسلت الدموع في سخاء صامت كمحسن يتصدق في الخفاء، ماذا أقول لك يا أمي فأنت تريدينني أن أتحدث فيما لا أعرفه، أنا فقط أدرك أنني محاطة بالتشاؤم والحظ العثر ينمو داخلي إيمان عميق بأنني هالكة وأن العناية الإلهية قد أدارت ظهرها لي لا أعرف سوى أنني عارية في مهب الرياح الترابية أتلقى وخزات ذرات الرمل وقد تآكل هيكلي وأصبحت مفككة كصخرة تعرضت لأشد عوامل التعرية وتعاود الأم الإلحاح أنها تريد أن تعرف ما يحدث، تنظر لها ناهد طويلاً بينما تنهمر الدموع من عيونها وأنفها وكلامها ثم تبدأ في قص الأحداث على أمها باقتضاب شبيه بالاعتراف، وتروي لها زيارة المقابر والكلب الأسود وعودة أشجان بينما الأم ذاهلة لا تريد التصديق، تبسمل وتحوقل رافضة كل هذا الرعب، تتوقف ناهد عن الحديث وتنظر جانبًا لتلمح أشجان وقد جلست متربعة تنظر لها بتركيز



بينما وكأنها مشاهد يتابع برنامج مثير وقد استدارت عيونها ومدت عنقها للأمام تنظر لها ناهد بتركيز مماثل بينما الأم وقفت بحزم قائلة:

لا لا لا ده شيء ميتسكتش عليه أبدًا البيت فيه عفاريت يا ناهد من ساعة ولادة البنت دي وأنا حاسة إن فيه جن ماسك فيكي.

تنظر ناهد للأم برفض بينما تستمر الأم في اندفاعها: أنا مش هسكت أنا لازم أشوف شيخ ولا حتى قسيس يصرف البلوى دي عننا. تنظر ناهد بخوف للأم ثم تنظر ناحية أشجان لتجدها وقد تكورت عيناها بكراهية ممزوجة بالرفض والخوف وقد اعترت ملامحها تشنيجة من يوشك على الانفجار في البكاء كمدًا.

تنظر ناهد لأمها بكراهية مماثلة لنظرة أشجان وتطيح بالمائدة الصغيرة وما عليها من أطباق وأكواب وتصرخ في وجه أمها بكل حقد وقد انتفخت عروق عنقها حتى أوشكت على الانفجار:

:اخرسي يا مره يا خرفانة أنا مش طايقه أبص في وشك.

يصحو أولاد ناهد من النوم مذعورين بينما تنظر الأم لناهد بذهول وتقول:

بتشتميني يا ناهد؟

ناهد وقد بلغت من الهياج حدًا خطيرًا وقالت من بين أسنانها:

واجرجرك من شعرك يا أرشانه طول عمرك بتكرهيني وتغيري مني.

تبتعد الأم عن ناهد وتلتصق بالحائط بينما تتوجه ناهد صاعدة لشقتها غير مبالية بدموع الذهول الصادرة من الأم.

■■■





أنظر للأم في ذهول قائلاً:

ياااه معقول يا نينه ده شيء رهيب.

واسرح بأفكاري الخاصة خصوصًا مع مجدي الذي تعرض لتجربة أقسى من الصلب، وقد تجسد لي موقف مشابه قرأت عنه في الصحف انتهى بقتل العريس للعروس بعد أيام من زفافهما، والغريب أن العريس لم يأتي بأي منطق يبرر قتله للعروس، خصوصًا وأنها بقيت عذراء حتى ماتت، وتساءلت بيني وبين نفسي وأنا الشاب الذي يتصور أن الزواج مشروع ممتع وتخيلت نفسي وقد استحالت عروسي إلى شيطان يقيم معي في المنزل.

■■■

تابعت الأم وقالت:

:حزنت وبكيت وأتأكدت إن بتي اتمست من شيطان أو جن وقررت إني لازم أعمل حاجة لإني شايفاها بتضيع مني وخصوصًا إنها بقت مبتخرجش من البيت وبتنام كتير جدًا وأهملت في متابعة ولادها خصوصًا حسام اللي جابره من المستشفى هو كمان وحالته غير الحال، شعر راسه ابيض وشكله وحش وساكت، استنيت بس لما جابر يقوم من مرضه وقلت لازم أعمل حاجة خصوصًا إن الموضوع ابتدى يطول الولدين التانيين كمان.

دي كانت أيام سودا عرفنا فيها طعم الرعب والفزع خصوصًا بعد ما رجع جابر من المستشفى ورجعوا اتلموا تاني في شقتك اللي فوق.

■■■





12

أنا الملموس

تفزع الممرضات وبعض المرضى من صرخة حسام العاتية وقد تجمع البعض في بداية الردهة التي تقع في آخرها دورة المياه بينما تتساءل الممرضات عن مصدر تلك الصرخة الرهيبة، وبينما يبحث الجميع عن مصدر الصوت يدخل أحد المرضى إلى دورة المياه ليجد شابًا وقد شاب شعره ووقع منكفئًا على وجهه داخل الحمام الأخير وكان يهذي بكلمات غير مفهومة واستدعت الممرضات الطبيب النوباتجي ليجري كشفًا مبدئيًا على الولد وشخص حالته بأنها انهيار عصبي مفاجئ نتيجة صدمة قوية، وإن لم يعرف تفسير ابيضاض شعر رأسه، وتم نقله إلى عنبر آخر بينما لا يعرف الأب الغارق في الغيبوبة شيئًا عن ابنه البكري.

وفي اليوم التالي يزور الخال والجدة الأب ليفاجئوا بما حدث للولد وتنهار الجدة حزنًا على حفيدها الشاب بينما تطمئنها الممرضات بأنه سيتعافى ولم يغب عن الجدة أن شكل الولد تغير فقد أصبح كشيخ عجوز وملامحه أصبحت أكبر سنًا بشكل لافت علاوة على شعره الأبيض.

مع مرور الوقت تتحسن حالة جابر وقد خرج من المستشفى بعد أن سبقه حسام إلى المنزل بعدة أيام.

■■■





استقبلت ناهد ابنها بذهول من منظره وارتجف قلبها لوعة على الشاب الذي شاب شعره وبان العجز على وجهه، وأحاطته بعناية الأم وإن كانت بينها وبين نفسها تعتقد أنه عقاب أنزلته أشجان ابنتها بأخيها انتقامًا من تقززه منها في الماضي القريب، وامتلأت بالحيرة والصمت بينما الولد أصبح كالمعاقين ذهنيًا فهو صامت لا يتكلم ومعزول دائمًا في غرفته، وخافت ناهد على الولدين الآخرين فرتبت له الغرفة الصغيرة ليتزل فيها وحده.

وعاد جابر لتستقبله ناهد بفتور واشمئزاز وإن كانت تهتم به اهتمام الزوجة المخلصة فجابر زوجها وأبو أولادها برغم كل شيء، ولم تتكلم معه بخصوص علاقته بالراقصة وأجلت هذه المواجهة إلى حين أن يتعافى زوجها وابنها المسكين.

ظن مجدي أن ساقه قد بترت وقد عاجلته أشجان بعضة شرسة في مفصل ركبته من الخلف- في ثني فخذه- وصرخ بألم ساحق بينما سلمى متحجرة ملتصقة بالحائط تنظر للمشهد الجهنمي بذهول يرفس مجدي بساقه السليمة البنت بعيدًا عنه بينما البنت متشبثة بأسنانها في منتصف ساقه الأخرى تهب سلمى للدفاع عن زوجها بينما باب الشقة يكاد يتحطم من ضرب الأم عليه، تسرع سلمى لتفتح الباب لتدخل الأم لتجد ابنها ساقطًا على الأرض ينزف من ساقه، تنظر الأم لابنها ثم تنظر لسلمى بحقد وقد غلي الدم في عروقها بينما سلمى تحاول شرح الموقف الذي رأته بعينها للأم.





الأم لا تسمع شيئًا منها بل انهالت عليها بالصفعات والركل بينما لا تأتي سلمى بأي رد فعل سوى الذهول، تركع إلى جانب ابنها النازف وتقول:

عملت فيك إيه الفاجرة دي يا بني؟ أنا لازم آكل قلبها.

يتأوه مجدي وقد أمسك بساقه بألم.

أمي ... إلحقيني أنا حاسس إن رجلي اتقطعت.

■■■

تعود سلمى لبيت أمها مضروبة مهانة من حماتها وتستقبلها أمها بذهول وتغلي غضبًا وحقدًا على أم ناهد وتحتزم التوجه لها لتثأر منها وتمزقها شر ممزق فهي امرأة قوية معتزة بفجورها وسلاطة لسانها الذي كانت تستعين به في دحر أي منافس لها لدرجة أن الجيران يعملون لها ألف حساب.

تتوجه أم سلمى لبيت مجدي بينما تتقافز في وجهها وعقلها الشياطين تقتحم العمارة في الوقت الذي توجهت به الجلة مع مجدي وبعض الجيران للإسعاف، تقف المرأة أم سلمى في مدخل العمارة قاذفة اللهب من حلقها كالتنين تشتم وتصول وتجول في شرف العائلة ورجولة المسكين مجدي بينما الرجال كلهم خارج المنزل.

تسمع ناهد القذائف من شقتها بالدور الثاني لتهرع إلى سلم العمارة لتقابل المرأة الغاضبة على السلم، تنظر لها المرأة بحقد وغل:

إنتي هنا يا بنت العايبة؟ فين أمك وأخوكي الدلدول؟





يا عيلة وسخة مافيهاش راجل بتضربوا بنتي يا ولاد الكلاب، والنبي لاجرجك من شعرك يا بنت الحرام.

تنظر لها ناهد ذاهلة وهي لا تعرف أصلاً لماذا تفعل هذه المرأة كل هذا، تحاول تهدئتها وتضع يدها على كتفيها:

إيه يا أم سلمى كفالله الشر حصل إيه؟

تنفض المرأة الهائجة يد ناهد بقسوة عن كتفها وتصرخ، جرى إيه يا مره يا خرفانه هتستهبلي عليًا خشي في عبي يا مجنونة، ده أنا أجن من جنانك ومش هسكت يا بنت الكلب وزي ما أمك ضربت بنتي وطردتها أنا هقطعك بأسناني يا بنت القحبة.

تنظر لها ناهد بتركيز بينما تمسك المرأة بتلابيب ناهد وتخلع عنها طرحتها وتجرها من شعرها لأسفل، تحاول ناهد التخلص منها ولكنها تفشل بينما المرأة تتمسك بشعر ناهد وتجرها إليها، وبينما المعركة دائرة على سلم المنزل تلمح ناهد أشجان تقف في بئر السلم السفلي وبنظرة واحدة لعين أشجان تتحول ناهد لنمر شرس وتزأر في وجه المرأة بعنف بينما تضربها في ساقها وتلطمها على وجهها بجنون.

تلقت المرأة اللطمات بذهول وقد سالت الدماء من زاوية فمها بينما تكورت عيون ناهد في شيطانية وغضب رهيب، حاولت المرأة مواصلة الشجار الذي تتقنه ولكنها عجزت أمام جبروت ناهد الشيطاني، تحاول التراجع بينما ناهد قد تقوس ظهرها نازلة على السلم بينما المرأة تتدحرج أمامها على السلم، الجيران تجمعت من جديد وخرج أولاد ناهد وزوجها المصاب وزوجات الإخوة ليخلصوا المرأة





من براثن ناهد، وقد تقطع شعر المرأة بين أصابع ناهد المتصلبة وبانت كخرقة بالية بين ساقي ناهد.

تعود الأم لتجد العمارة مقلوبة رأسًا على عقب وقد تجمع الناس أمام الباب الحديدي، تدخل الأم بسرعة بصحبة مجدي والذي بدا يجر رجله المصابة بصعوبة، وقد تكور الشاش والقطن والدعامات حول ركبته اليمنى لتجد ناهد جاثمة على أنفاس المرأة تكاد تقتلها خنقًا بينما الجميع عاجز عن تخليص المرأة من الحالة الجنونية الشيطانية لناهد.

تنتهي العاصفة بالطلاق الفوري لمجدي وسلمى لتعود العروس العذراء إلى بيت أبيها ويكتئب مجدي ويغلق أبواب ألمه على نفسه، وترجع ناهد لحياتها الغريبة الطامة متناسية خسائرها في ابنها حسام الذي صار [illegible] حياته الشبابية بصمت هو الآخر بينما يتغير جابر ليصبح أكثر التزامًا بالبيت تهاجمه الكوابيس بين ليلة وأخرى بسبب صدمته في الراقصة، ويعتبر أن هذا جزاء من الله على عهره السابق والغريب أن أشجان ظلت مختفية مدة ليست بالقصيرة لدرجة أن ناهد تخيلت أن أوهامها هي من كان يراودها وليس ابنتها المفقودة المشوهة وتستقر العمارة بهدوووء يخلو تدريجيًا من تحفز الرعب الذي ابتلي به أهلها.

■■■





تسكت الأم عن الكلام وتقوم لإعداد طعام العشاء بينما أنا مازلت مقيمًا عندها في شقتها، أستلقي في مكاني على ظهري طلبًا لبعض الاسترخاء، بينما يذهب مجدي في مشوار قصير وتدور في بالي كل الأحداث التي قصتها الأم على مسامعي تاركًا خيالي يعمل واستوقفني سؤال لم يدر في بالي قط: لماذا؟!

لماذا ولدت البنت مشوهة شيطانية؟! هل مجرد اللبس الشيطاني الحادث لناهد هو السبب أم أن الموضوع له أساس أقدم وأكثر رسوخًا؟!

كنت أسمع أن الجن يعشق الإنسية ويحيل حياتها لجحيم حتى تفرغ له وحده، وأنه يشعر مثل الآدميين بالغيرة ويريد استحواذًا كاملاً لها كما أن العفاريت والجن والشياطين تحدث الرعب البصري فقط وإن الخوف هو ما يفعل الفعل الفيزيقي نفسه من ابيضاض للشعر أو تلف لأحد الأعضاء لكن الذي تفعله أشجان - تلك الطفلة المرعبة - هو فعل مادي مصحوب بكل ذلك الرعب المهول الذي تعرضت له تلك الأسرة.

وبدأ عقلي يعمل بسرعة الصاروخ مسترجعًا تلك الأحداث.

ناهد تحزن على أبيها المفقود في حادث بالطريق الزراعي - ناهد تهيم وتذهب إلى حيث المقابر - ناهد تتقابل مع ذلك الكلب الأسود الضخم - ناهد تلد طفلة مشوهة غير مرغوبة أصلاً من زوجها - الطفلة تمارس طفولتها بغير تحفظ فهي ترضع وتلعب غير مدركة أصلاً لتكوينها البشع - إخوتها يتعاملون معها بنفور وخوف - الطفلة تختفي في ظروف أشد غموضًا - الطفلة تعود أكبر سنًا وتمارس انتقامًا مريعًا





من أهل البيت- ناهد تتعاطف بشكل أو بآخر مع الطفلة باعتبارها ابنتها المنبوذة- ناهد تتفوقع داخل نفسها ويتنامى لديها شعور مبهم ينتهي بحرقها لذاتها- الأب يهجر الشقة ويغلقها- الجيران يعرفون الحادث ولكن مع مرور الزمن يتناسى الجميع الموضوع وإن بقي موجودًا في ركن قصي من وجدانهم بدليل أن البنت نجلاء ذكرت لي الحادث بمحض الصدفة بعد شهور من إقامتي في الشقة- ناهد تزورني زيارة مقيتة لينتهي بي الحال مصابًا في شقة أمها.

كنت أسمع من جدتي أنه عندما يظهر فإنه يريد شيئًا من الأحياء- يريد أن يبلغ رسالة من العالم الآخر- أو يريد انفرادًا بمسرح الأحداث التي أودت بحياته- وهل الجدة الطيبة لم تفعل شيئًا حيال كل هذا الجنون؟

أسئلة لا بد من الإجابة عنها.

وسوف أحاول جاهدًا أن أعرف في السطور القادمة.

(تامر)

■■■

يعود مجدي في المساء وكنت قد استغرقت في نوم عميق في غرفة الضيوف، أشعر بلمسته وهو يهزني برفق، أفتح عيني لأجد مجدي واقفًا ويصحبته شخص غريب لم أره إلا الآن، أعتدل في جلستي بينما ينظر لي الشخص الغريب بتركيز وترحاب فهو رجل خمسيني بادي الوقار خفيف الشعر ذو ذقن أنيقة مهذبة يوحي مظهره العام بالنظافة والارتياح إن بدا لي مقتحمًا بشكل أو بآخر.





يتم التعارف.

: الأستاذ رأفت يا تامر معالج بالقرآن الكريم وصديق للعيلة من سنين، أتمتم بعبارات الترحيب بينما أسمع الأم تعد العشاء المكون من المكرونة والدجاج المحمر، وتدعونا إلى العشاء بينما يعتذر الأستاذ رأفت بأنه سبقنا ولكنه يقوم معنا للعشاء وسط إلحاح الأم ومجدي.

كنت أشعر بالجوع الشديد وخصوصًا أني أحب تلك الأصناف فالأم طاهية ممتازة؛ لها طريقة ونفس في الطعام أحبه وأعرفه من أطباقها السابقة والتي أتحفتني بها على مر الشهور السابقة، ولم يزعجني سوى نظرات رأفت لي بين الحين والحين.

أبتسم في كياسة حيال نظراته وأواصل الأكل بنهم بينما الأم تزيدني بالدجاج الرائع وتلح علي أن آكل أكثر لأنني كما ترى هي في حاجة إلى التغذية، ينتهي العشاء الرائع وتدور أكواب الشاي بالنعناع في غرفة الضيوف مجددًا بيننا نحن الأربعة.

ويسألني رأفت فجأة؟

: معقول مكنتش حاسس بأي حاجة في الشقة طول فترة إقامتك فيها؟

أنظر له بارتباك قائلاً:

: الحقيقة كنت بحس بحاجات كتير لكن كنت فاكرها أوهام مش حقيقة؟

زي إيه؟





: يعني كنت بحس إن فيه حد قاعد معايا والغريب جدًا إني مع الوقت كنت بتونس بالإحساس ده خصوصًا إن لاقيت طريقتي نفسها بتتغير يعني.

ينظر رأفت لمجدي بغتة ثم ينظر لي بتركيز أكبر قائلاً:

ممكن توضح أكتر يا تامر؟

: يعني لاقيت نفسي بحب الأفلام العربي والمسرحيات مع إني أصلاً مكنتش مهتم غير بالأفلام الأجنبي، وكنت ساعات كتير بدخل الحمام الاقي نفسي في المطبخ أو العكس وكنت متخيل إني سرحان.

وكنت بتنام إمتى؟

كنت بنام على الساعة 5 أو 6 الصبح لأني بطبيعتي باسهر وبحب الليل وكان شغلي لا يتطلب مواعيد الصبح بدري كنت بصحى على الساعة 12 الضهر.

وإيه اللي حصل معاك بالظبط؟

يقشعر بدني وأنا أسترجع تلك المقابلة المروعة مع تلك الأقدام المحترقة المشوهة وأصف له بدقة ما حدث بالتفصيل - لأول مرة- أمام الأم ومجدي والتي تغيرت نظراتها وتوترت بمجرد ما قصصت للرجل ما حدث لينظر الرجل إلى الأم في ارتباك بينما أنا غير فاهم، وإن كنت قد استشفيت أن الرجل هو من قام بتطهير البيت في الماضي أو ما شابه.

ترجه الأم كلامها لرأفت بحزن قائلة:





إيه رأيك يا شيخ رأفت في اللي بيقوله تامر خصوصًا إن الولد اتبهدل ووقع على السلم ادامنا كلنا وكان هيموت من الخضة؟

رأفت ينظر لي ولا يتكلم ويمد يده ليضعها على جبيني ويغمض عيونه بتركيز.

ارتبكت من فعله ونظرت للأم لأجدها تنظر لي بتشجيع.

يمر الوقت ثقيلاً ثم يأخذ الرجل يدي في يده وكأنه يصافحني ويضغط بشدة عليها وهو ينظر لي بتركيز ويتمتم بآيات لا أعرفها.

تمتد لحظات المصافحة الإجبارية لأشعر بعدها بسخونة متصاعدة وطاقة تنتقل من يد الرجل إلى يدي أنا شخصيًا ومع تزايد تلك الطاقة وجدت نفسي أحاول باستماتة نزع يدي من يده ولكنه أطبق بحزم وشدة على يدي لأجد نفسي أنتفض وتسري في جسدي كهرباء وشعرت بمقت وكراهية لهذا الرجل الفارض نفسه على شخصي.

حاولت وحاولت بلا فائدة وأحسست بثقل عارم في جفوني وأني أريد أن أناااااااااام أو أسقط في الفراغ.

لا أعرف كم نمت ولكني استيقظت بعد حوالي الساعة شاعرًا بإجهاد غير عادي وبأنني ضعيف وواهن وبحثت عن الجميع لأجدهم جالسين في الصالة يتحدثون.

■ ■ ■

يعني إنت شايف إن تامر اتلمس؟

: أنا متأكد من إنه اتلمس من أول أيام إقامته في الشقة.





: بس ده هو شاف الموضوع ده إمبارح بس.

:الموضوع اللي شافه ده مش بسبب إنه اتلمس.

:إزاي يعني ده هو شاف شبح أختي واترعب منه.

العفريت ميظهرش كده من غير سبب لازم فيه سبب وإن شاء الله هنعرف.

أسمع ولولة الأم المكتومة وهي تتحدث بصوت خفيض.

وهو إيه ذنبه؟ مش إنت يا شيخ قلت إن البيت بقي تمام ومتحصن من الحاجات دي؟!

يا حاجة أنا محصنتش البيت نفسه أنا حصنت البني آدمين اللي عايشين فيه، والولد ده اتلمس لإنه متحصنش زيهم أو يمكن فيه حاجة أنا مش عارفها حصلت، حكاية إن حاسس إن فيه معاه في الشقة ليها معاني كتير.

: منه لله جابر هو السبب ما كنا عايشين ورضينا والموضوع انتهى لازم بأجر الشقة يعني؟

: أنا متأكد إن الحاج جابر ميقصدش وافتكر إن الموضوع انتهى مع الزمن.

وعمومًا أنا هقوم باللازم مع تامر متقلقيش.

يانهار اسود!!

أنا؟ ملموس؟ يعني إيه ملموس دي؟ ومين اللي لمسني؟!!



آمال أنا مش حاسس باللمسة دي إزاي؟

الراجل ده شكله نصاب ولا إيه؟ طيب يعني ناهد المحروقة دي لمستني وحبت تخوفني ولا إيه؟ بس الشيخ غير الجن ولا إيه أنا مش فاهم حاجة خالص - هكذا كنت أكلم نفسي وأنا شاعر بحصار جنوني، أسقط في يدي وشعرت بخوف داخلي من نفسي نفسها.

يغادر الشيخ رأفت المنزل على الساعة الحادية عشرة بينما تظاهرت أنا بالنوم مبتعدًا عن أي مجال للحديث، أسمع الأم تتابع التليفزيون بينما يصعد مجدي لشقته في الدور الرابع أو الخامس، أنتبه لقدوم الأم لغرفة الضيوف لتطمئن على راحتي لتجدني مستيقظًا.

تبتسم في وجهي قائلة:

: إيه النوم ده كله يا تامر قوم اشرب كوباية لبن وبقسماط قبل ما تنام يا بني.

أقوم متثاقلاً لأدخل الحمام وأخرج لأشرب الحليب مع هذه الأم الطيبة تمهيدًا لمعاودة النوم.

أتجاذب معها أطراف الحديث وقد تطايرت كل رغبة في النوم مجددًا.

بقول لك يا نينه مين الراجل رأفت ده؟

ده راجل محترم بيعالج بالقرآن ربنا هدانا ليه بعد اللي حصل لعيال ناهد ياسر وأمجد.

أنظر لها بفضول قائلاً:

هو كان حصل إيه ليهم يا نينه؟ ده أنا افتكرت إن الموضوع خلص.





خلص؟! ده احنا اتبهدلنا يا ثامر، الله يرحمك ويسامحك يا بنتي بحق ما اتعذبتي.

:لكن يا نينه إيه سبب ده كله؟ ليه ناهد بالذات يحصل لها كده؟!

تنظر لي الأم بشفقة كبيرة وتواصل حديثها مع تلك الذكريات السوداء.

: الموضوع مكنش زي ما كنا فاكرين، ناهد كان معمول لها عمل سفلي واحنا متعرفش.

عمل سفلي؟!!!!!!!!

■■■





13 بطاطس مقلية ودبدوب

الليل مرة أخرى وقد نام جابر في غرفته بينما تنام ناهد إلى جوار ابنها حسام والذي أصبح مصدر شفقتها وعنايتها الخاصة.. حسام يغط في النوم بينما ناهد تستلقي بأجفان متثاقلة تتهيأ للنوم، بينما ينام الصغير ياسر في سريره في الغرفة الثالثة مقتسمًا الغرفة مع أخيه الأكبر أمجد.

كان ياسر آية في الالتزام الدراسي منبئًا بمستقبل مبشر، فالولد منظم ذكي هادئ الطباع، يملك عيونًا حساسة وبشرة خمرية تعود للجد الحبيب نفسه، ولعل هذا هو سر عشق أمه وتدليلها له، بينما أمجد يشبه أخاه حسام، وإن كان لا يملك خشونة الطباع والعدوانية نفسها بحكم أنه ولد رياضي يميل إلى مباريات كرة القدم واللعب في الساحة الشعبية القريبة.

اشتهر ياسر بأنه مهذب يستيقظ من نفسه بلا أي إلحاح من الأم بينما تمارس ناهد طقوس الإيقاظ المتوحشة لأشقائه الأكبر، يتوجه لمدرسته الابتدائية نظيفًا ويعود نظيفًا بعكس أمجد الرياضي والذي يعود غارقًا في الأتربة والعرق بسبب لعبه كرة القدم دائمًا، وحسام المهمل المتأنق بتلك الطريقة المنتشرة في بداية التسعينيات حيث الشعر النابت والسترة الجلدية منفوشة الأكتاف والبنطلون البلوجينز ضيق الفتحة والحذاء الضخم.





ينام ياسر على سريره الصغير غارقًا في الأحلام.. يسمع صوتًا يأتي من المطبخ في عز الليل ينتبه قليلاً ويصيخ السمع.. نعم هناك صوت يأتي من المطبخ هناك رائحة يعرفها.

طشششششششششششش

طشششششششششششش

طشششششششششششش

نعم هو صوت الزيت في طاسة القلية ورائحة البطاطس المقلية الرائعة والتي يعشقها ويفضلها على أي طعام آخر.

طشششششششششششش

طشششششششششششش

الظلام يغلف الشقة بينما يأتي الضوء من المطبخ، يعتقد أنها أمه الحبيبة.. لا بد أن أمي الحبيبة تقلي البطاطس من أجلي.

امتلأت خياشيمه بالرائحة المحببة للبطاطس، وانتعش وتحلب ريقه تحسبًا لطعم البطاطس الرائع فأمه تقلي له دائمًا البطاطس وترش عليها الملح الخفيف ليأكلها بنهم وحب كبير.

يقوم ياسر من سريره ناظرًا لأخيه أمجد الذي يجده يغط في نومه، يبتسم بسعادة ويمني نفسه بكل البطاطس وحده دون مضايقة أخيه الصاخب النشيط أمجد.

يتجه إلى باب الغرفة ويتسحب لمفاجأة أمه العزيزة التي تقلي البطاطس من أجله هو وحده.

■ ■ ■



يتقلب أمجد في نومه شاعرًا بشعور غريب.. فأمجد المراهق ينتشر في وجهه الشعر ببطء ويمتلك قوامًا ممشوقًا كأخيه حسام، تتهمه أمه بالإهمال دومًا، يضحك بصوت عالٍ ويمارس حياته بكل الطرق المحبية للرياضيين، يهوى كرة القدم ويعشق حسام حسن ويعلق صوره على الحائط، يتكلم طوال الوقت عن الساحرة المستديرة ويلصق على كل أدواته وكتبه صور اللاعبين المشاهير، يقضي معظم وقته في ملعب الساحة الشعبية القريبة، يلعب بلا انقطاع ويحمر وجهه انفعالاً وهو يشاهد المباريات، ويبكي لو انهزم الأهلي، ويناصب الأب جابر وأخاه حسام العداء فيما يخص رأيهم كمشجعين لنادي الزمالك، وكم دارت بينهم معارك لفظية مشتعلة فيما يخص انتقاد اللاعبين، وكم صرخت فيهم ناهد بأن يكفوا عن مضايقة أمجد الذي كان يبكي من ضغط أبيه وأخيه الساخرين من تشجيعه، خصوصًا لو كانت المباراة في التصفيات بين الاثنين، وكان أيضًا لا يبخل بإعلان احتفاله وصراخه حال فوز ناديه على نادي الأخ الأكبر والأب، ويتلقى علقة ساخنة من أخيه أو عقابًا من الأب.

يتقلب أمجد في نومه شاعرًا وينتبه من غفوته ليشعر بأن هناك شيئًا ناعمًا يتكور ويتمطى أسفل البطانية المتدثر بها.. شيئًا له كيان انسيابي يتحرك بنعومة وخفة ملامسًا ساقه وبطنه.. شيئًا كبيرًا نسبيًا تظهر استدارته بانتفاخ واضح خارج الغطاء.. ينتبه أكثر وقد تجمد في مكانه بينما الشيء يتمطى أسفل البطانية محدثًا صوتًا خافتًا.

مممممماجدوواوووووو مموووووووواجداووووووواو



أمجد غير قادر على الحراك وقد شعر بعرق بارد يغمر جبينه ومنابت فروة رأسه، والغريب أنه لا يسمه مجرد صوت ولكنه يسمع كلام يفسره بصعوبة.. فالشيء الذي يتلوى بليونة محتكًا بجسده يصدر كلامًا بل يكاد يسمعه يتكلم ناطقًا باسمه.

مممممماجدووووووواوووووو مووووواجداوووووووا

هذا الشيء يتحرك تاركًا ساقه وبطنه ويتوجه إلى صدره، وقد انبعج الغطاء لأعلى بفعل وجود هذا الشيء تحته.. أمجد الآن يدرك جيدًا أن الشيء يتجه إلى وجهه، وقد اقترب من حافة الغطاء الملامس لذقنه، يدرك أمجد تمامًا أن هذا الشيء سيرفع طرف الغطاء وقد اقترب كثيرًا من وجهه.

■ ■ ■

تنساب ناهد في النوم شاعرة بالاسترخاء الكامل وتقترب من ابنها الأكبر الذي ذهب في السبات العميق، تنظر له بحنان وإشفاق بينما زم الولد شفتيه وانتظم تنفسه، تضع الأم يدها على صدره وتقترب بجسدها أكثر منه لتنظر في وجهه، تنتبه ببطء إليه وهي تنظر إلى عينه المغلقة لتجد عيونه غير مغلقة كليًا، ولكنها انفتحت نصفيًا وبدت أنها كشق مقوس يظهر فيها بياض عينه فقط، بينما ترى جفنيه متكوران يتحركان إلى حيث وجهها، يتحرك شعورها بانتفاضة مكتومة وقد وجدت الولد ينظر لها بنص جفونه وقد شع لون أزرق من بياض عينه النصف مفتوحة:

«ماما وحشتيني أوي».





ينطقها حسام عبر شفتيه المزمومة ولكن بصوت طفولي جدًا، صوت تعرفه ناهد جدًا.. ينطق الشاب بصوت أخته الشيطانة أشجان.

■■■

يتجه ياسر بخفة إلى المطبخ المضاء ويعبر بغرفة أبيه ليجده يغط في نومه ويسمع شخيره عاليًا، يعاود مشيه متجهًا للمطبخ بينما يسترعي انتباهه شيء يستوقفه لبرهة من الوقت، فأبوه جابر يصدر شخيرًا عاليًا ولكنه غير مستلقي على السرير بل هو جالس على السرير وقد تدلت قدماه على الأرض، نعم هو جالس وكأنه مستيقظ، ولكنه أيضًا جالس في ظلام الغرفة وقد بان تكوينه الضخم، شعر الولد بغرابة في ذلك وبدلاً من أن يتجه للمطبخ حيث أمه، دخل الغرفة لأبيه الجالس على طرف السرير، اتجه ببطء له ليجده بالفعل مفتوح العيون ولكنه يصدر شخيرًا كما لو كان نائمًا، وعلى الضوء الآتي من المطبخ ومن الشارع عبر شيش النافذة يجد ياسر أباه ينظر له بتركيز وغضب بينما مازال صوت الشخير عاليًا.

خخخخخخخخخ

يقف الولد غير فاهم وشبه خائف من أبيه وقد التوى عنق الأب إلى حيث مكان وقوف ياسر ومازال يصدر ذلك الشخير المنتظم، وقد انتظمت شفتاه بين ارتخاء وامتداد في حركة شهيقه وزفيره.. يشعر ياسر برعب غريب، واتجه من فوره إلى المطبخ حيث كان يعتقد أن أمه تقوم بقلي البطاطس المحمرة له، يذهب ببطء للمطبخ وهو ينظر خلفه للأب الذي مازال ينظر باتجاهه [illegible] شخير النائمين.

يصل ياسر للمطبخ بينما رقبته معلقة بالنظر باتجاه الأب ليلاحظ أن الأب يتحرك مستلقيًا على سريره وممددًا ساقيه كما ينام الناس بالفعل، يصل ياسر لباب المطبخ وهو مازال خائفًا ومستغربًا ما كان يفعله الأب، ثم يدير رقبته إلى داخل المطبخ لينظر إلى أمه التي اعتقد أنها واقفة تقلي البطاطس.. ليصعق تمامًا.

■■■

يقترب هذا الشيء من حافة البطانية ببطء ويشاهد أمجد أن الحافة ترتفع ببطء كاشفة عن عيون تلمع في الظلام تحت الغطاء.. فهذا الشيء جاثم تمامًا على صدره وينظر له بعد أن رفع الغطاء لأعلى بفعل ارتفاع الشيء نفسه.

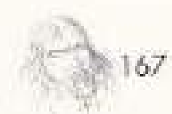
ممممممممممممممممممممما جد و و و و و و و ا و و و و و و

موووووووووووووواجداوووووووواو

يشهق أمجد ويزفر بصعوبة بينما تحدق عيونه في عيون دائرية شديدة اللمعان تستمد لمعانها من الظلام نفسه.. كان قطًا أسود ضخمًا له أنف أفطس وفم مرسوم وأذن صغير بالمقارنة بحجم رأسه، أذن مدببة مثلثة قصيرة تنتهي بشعر مدبب كالإبر.. فح القط في وجه أمجد وقد اقترب تمامًا من وجهه بتلك الطريقة المريعة التي تصدرها القطط وقت العراك والعدوانية.

خخ





يتجمد المسكين وقد انفتحت عيونه على اتساعها وقد توقف تمامًا عن التنفس.. بينما يصمت القط لحظات ثم يعاود المواء الممزوج بالكلام.

مممممممماجدووووواوووووو موووووووواجداوووووووواو

وكأنه يكلمه بشر لشر.

■■■

تنتفض ناهد وهي تسمع صوت أشجان يخرج من بين شفتي ابنها حسام.

ماما إنتي مبتسأليش عني ليه؟!

ماما إنت بتوحشيني وأنا هناك.

ماما يبقى عايز أرجعلك لكن هما مش بيرضو.

تنظر ناهد لابنها حائرة غير مصدقة وتطفر عينها بالدموع وقد استحالت نفسيتها إلى شيء مكتوم قابل للانفجار.. وغلف اليأس والحزن كلمتها وهي ترد على ابنتها:

«وإنتي كمان وحشتيني يا حبيبتي».

■■■

الموقد في المطبخ مشتعل وتعلوه الطاسة المليئة بالزيت المغلي محدثة ذلك الصوت الفائر المميز لعملية القلي.

وقد وقف أمام الموقد..... دمية عملاقة لدب (دبدوب) كان قد أهداه الخال مجدي لياسر في عيد ميلاده الماضي.



نعم يقف الدبدوب أمام الموقد وقد أمسك بيد الطاسة بينما يقلب باليد الأخرى البطاطس المقلية في الزيت نفسه.

ابيض وجه ياسر وتجمدت الصرخة في حلقه غير مصدق لما يراه.. تتجه رأس الدبدوب إلى حيث يقف ياسر بينما تنظر العيون الزجاجية للدمية إلى الولد.

بينما الولد يرتعش مصدومًا.

■■■

المواء الحزين المتحفز والمخلوط تمامًا بالكلام هو ما يفعله ذلك القط الأسود بينما يشعر أمجد بسائل دافئ ينساب بين فخذيه المرتعشين أسفل البطانية وقد وجهت أذنا ذلك القط الشيطاني للوراء محدثة ذلك الفحيح الممزوج بالكلام.

وبينما أمجد يبول على نفسه رعبًا يتحرك ياسر مرتعشًا بصدمة كهربية مهولة ملتصقًا بالحائط وعيونه معلقة على تلك الدمية العملاقة وقد رفعت الطاسة عن الموقد وهي ما تزال تنظر للولد.

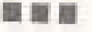
تجمعت الصرخة ببطء شديد في حلق أمجد وتكونت في نفس التوقيت صرخة في حلق ياسر، وبينما تتحدث ناهد مع ابنتها أشجان في غرفة ويعلو صوت شخير الأب في غرفة أخرى، ليجد ياسر نفسه يبكي بينما تمسك الدمية بيد الطاسة وتنظر له ليبدأ في بكاء هستيري وهو يبتعد ببطء عن باب المطبخ وعيونه عالقة بالدمية الدبدوب ليصرخ فجأة وهو يبتعد ليقذف الدبدوب بالطاسة وزيتها المغلي إلى حيث كان ياسر يقف منذ لحظة وتدوي صرخة أمجد من الغرفة الثالثة.





صرخة ياسر تتزامن مع صرخة أمجد مع صوت شخير الأب مع صوت طشطشة الزيت المغلي من الطاسة حيث تناثرت محتويات الزيت على باب المطبخ لتلسع قطرات منه وجه ياسر الذي يزيد في صراخه المذعور

يمتزج الصراخ من الولدين محدثًا ارتجاجًا مزلزلًا لجدران الشقة نفسها.





14

أصل الرعب



نظرت للجدة وقد انتبهت حواسي كلها لتبدأ في سرد أعجب وأشر جزء في مذكراتي نفسها.. فبعد حادث الولدين تحولت ناهد إلى كائن مجنون لا يعي ما يحدث حوله، تتكلم مع الجدران والصور وقد انتقل الأولاد ليعيشوا مع الجدة في الدور السفلي بينما بقي جابر محطمًا تمامًا في غرفته عاجزًا عن الحركة والحياة

فصرخة الولدين قد زلزلت أركان المنزل وأعلنت بكل وضوح عن أن النهاية الحتمية تقترب ببطء وإصرار، وعشنا جميعًا في الجحيم لدرجة أننا فكرنا في بيع العمارة بالكامل، ولكن من ذا الذي يشتري بيتًا ساءت سمعته وأصبحت في الحضيض؟

أصبحت ناهد تهيم على وجهها في الشوارع تخرج نهارًا وتعود ليلاً بينما أنا قائمة على رعاية أولادها وزوجها شبه القعيد، واسودت الدنيا بوجهي وانتاب اليأس قلبي خصوصًا أننا أتينا بشيوخ وقساوسة لم يفعلوا شيئًا أبدًا بل كانوا يزيدون في يأسنا.. فالشياطين كانت تختفي وقت ظهورهم، وبات الوضع كما لو كنا في حرب مع قوى أكبر منا بأضعاف مضاعفة.

لدرجة أننا كنا نعقد الجلسات مناصفة بين الشيخ والقسيس وكانت تنتهي للاشيء، منهم من كان يذهب ولا يعود أبدًا، ومنهم من كان



يستمر في عقد ما يشبه الجلسات ولا ينجح سوى في إثارة أعصابنا وتدعيم يأسنا من الخلاص وتنفيض جيوبنا من الجنيهات.

وأدركت الأم أن لا مناص من التسليم بأمر واقع شديد القبح وسلمت بأن هذه هي النهاية أو هذا ما سيكون قائمًا على صفحة المستقبل، وفي إحدى جولاتها في السوق تقابلت مع امرأة بيضاء ذات نمش في الوجه مقتحمة صاحبة الملامح طيبة القلب.

اقتربت منها المرأة بشكل هجومي واحتضنتها بعنف وترحيب حار لتتذكرها أم ناهد بعد برهة قصيرة من الاستذكار، إنها الحاجة (إصلاح) صديقتها القديمة وجارتها قبل انتقالها لحي آخر بعد زواج ابنها، وبعد طول عناق وقبلات وتحيات سألتها الحاجة إصلاح عما حدث لابنتها ناهد.

نظرت لها المرأة في استغراب وقد دارت في نفسها أسئلة بلا إجابات فكيف عرفت المرأة بأخبارنا وهي غير موجودة أصلاً في حينا إلى أن تجيبها الصديقة الصاخبة بأنها سمعت الأخبار عن طريق أنسباء ابنها الذين مازالوا يعيشون معها في الحي ولكنهم في شارع بعيد عنها لتزداد أم ناهد اكتئابًا.

فهي الآن أدركت أن سمعة البيت في الحضيض وأن الناس تتندر عليهم وتتواصل أخبارهم المفزعة كقصص مثيرة يتداولها أهل الحي حتى الشوارع البعيدة عنهم تعرف ذلك.

ونظرت أم ناهد في وجه الحاجة إصلاح بحزم قائلة بأنه النصيب وأنه ليس لهم في الأمر من شيء فهو ابتلاء وقضاء الله على ابنتها

لتجيبها المرأة بصدق وحرارة أنها حزينة على ما حدث لناهد وأبنائها وأنها كانت تنوي أصلاً الزيارة لها في المنزل لتطمئن على صديقة الماضي وارتاحت أم ناهد من صدق الحاجة إصلاح ودعتها للزيارة في منزلها ولكن المرأة اكفهر وجهها خوفًا من الزيارة وحاولت أن تداري شعورها عن أم ناهد التي لم يفتها تغير لون وجه المرأة ولكنها أصرت على الدعوة باعتبار أنه لا يوجد شيء يستحق كل هذا الخوف والتطير.

وبالفعل في اليوم التالي كانت أم ناهد تستقبل الحاجة إصلاح في منزلها ودخلت المرأة متوجسة إلى العمارة التعيسة ولكن مع استقبال أم ناهد الحار ذابت معظم المخاوف واستقلت المرأة عربة الحديث والذكريات، وفي معرض الكلام سألتها إصلاح عن ناهد فقالت الأم: إنها موجودة بشقتها الآن وأنها لا تكلم أحدًا معظم الوقت وبعد برهة قامت أم ناهد لتحضير بعض الفطائر في المطبخ بينما جلست المرأة في الصالة تواصل حديثها لتسألها عن الست (كنديار) - بضم الكاف وتسكين النون- لتسرح أم ناهد تمامًا وتغرق في الذكريات فيما يخص تلك المرأة الحبيبة والصديقة القديمة.

■ ■ ■

كنـديـار

كان (سيد) صديقًا عزيزًا لمحجوب (أبو ناهد) وتطورت الصداقة لشراكة في التجارة والرزق، وارتبطت العائلتان بروابط المحبة والصداقة الجميلة، فكانت كنديار، وهي سيدة طويلة القامة رجولية





الأكتاف قوية ذات بشرة خمرية وشعر أسود حالك، ترتدي الطرحة والجلباب الأسود وتضع الكحل دائريًا حول العين تمتاز ملامحها بقوة الشخصية والتركيز ولها ولد واحد وعدة بنات كان ابنها الأكبر (خميس) مثالاً للشاب المستهتر وكانت دائمًا ما تشكي كنديار إلى أم ناهد من أفعاله فهو بكريها وهو أكبر من ناهد بحوالي عشر سنوات، رفيع رقيع أبيض البشرة طويل الشعر يفعل كل ما يسيء للأب الطيب والأم الوقورة وكانت أم ناهد دائمًا ما تصبرها بأن الولد مازال شابًا طائشًا وأنه لسوف يكون خير الرجال في المستقبل.

كانت كنديار مثالاً للصديقة العزيزة المخلصة وكانت أم ناهد تعتبرها مثالاً للأخت الكبرى لها بما لها من ثقة وأمانة وعلاقة وطيدة؛ لأنها زوجة شريك محجوب زوجها في تجارته وكانت دائمًا ما تزور أم ناهد في منزلها وتأتي لها بما لذ وطاب من الأطعمة المعدة بدقة وحرفية لأم ناهد ولاحظت الأخيرة أن كنديار تنظر لناهد نظرات إعجاب وتلمح بأنها تريدها لابنها خميس وهو أغلى أحلامها على الإطلاق فناهد كانت مثالاً للفتاة العروس التي تتمناها أي أم لابنها خصوصًا أنها تحمل على أكتافها هموم المنزل عن أمها الموظفة البسيطة في التربية والتعليم، وكانت أم ناهد لا تتكلم عن ناهد إلا بكل حب وفخر بأنها ابنتها الحبيبة والصديقة والمديرة لكل شئون المنزل ولكل شئون إخوتها الذكور في غياب الأم في عملها المتواضع والذي كانت تتمسك به بشدة حيث كانت من النساء اللاتي يرغبن في الاستقلال المادي عن الرجل فيما يخص مصروفها الشخصي نفسه، وكثيرًا ما كانت تأتي للمنزل في غياب أم ناهد لتساعد ناهد وتشرف

على تعليمها أصـول المنزل والطبخ والتنظيف وكانت أم ناهد سعيدة بهذا التواصل بين صديقتها كنديار وبين ابنتها ناهد.

وسـاءت أحوال خميس ابن كنديار كثيرًا أصبحت سمعته سيئة لما يقترفه من أفعال لا أخلاقية من سـرقة للأب نفسـه وتورط في علاقات جنسـية مع نساء مشبوهات وتحرش لبنات منطقته ويلطجه، وتلقت أم ناهد هذه الأخبار في تحفظ شـديد، فهي لا تريد جرح مشاعر صديقتها وحبيبتهـا كنديـار، وكثيرًا مـا كانت كنديار تجأر بالشكوى من سـلوك ابنهـا خميـس وكانت أم ناهد تخفف عنها قائلة إنه سـوف يتصلح حاله وسـيكون زينة الرجال، ونصحتها في تزويجه بسرعة حتى يعرف معنى المسئولية ككل الرجـال، وخصوصًا إنه يبلغ من العمر سـتة وعشرين عامًـا لتأخذ كنديار ناصية الحديث وتبـدأ فصلاً جديدًا من الإلحاح في الموافقة في زواج ناهد من خميس وخصوصًا إن خميس بالفعل يحب ناهـد بجنـون ويتصنـع الزيارات للمنزل فـي وجود أمه ليـرى ناهد عن قرب.

في الوقت الذي يصارح سيد شريك محجوب برغبته في النسب الرائع بمحجوب عن طريق تزويج ناهد لخميس ابنه، وتهرب محجوب من الطلب كلما أمكن لأنه يعرف بحقيقة سلوك الولد المشين وفضائحه العديـدة وهـو يرى أن ناهـد جوهرة غاليـة لا بد مـن أن يزوجها لرجل يعـرف قيمتهـا ويصونهـا، كذلك فعلـت أم ناهد مع كنديـار فقد تهربت بشـكل غير مباشـر من الخوض في حديث الزواج مع صديقتها العزيزة كنديار لأنها لها نفس وجهة النظر في خميس ابنها.

في الوقت الذي ظهر فيه جابر ابن عم ناهد وتقدم بشكل رسمي لخطبة ناهد تحت مظلة الموافقة من الأب فهو ابن أخيه ومثال للكفاح والرجولة المطلوبة لصيانة ابنته الغالية ولن يبعدها عنه باعتباره عمه، لتلقى كنديار خبر موافقة الأم والأب على جابر بصمت حزين وإن استمرت علاقة الصداقة بينها وبين أم ناهد بل زادت مودة ودفئًا وتحاشت أم ناهد الخوض في الحديث السابق حتى لا تجرح مشاعر صديقتها.

وانفصل محجوب وسيد في الشراكة وإن بقت أواصر الصداقة والعلاقة العائلية بين أسرة سيد وأسرة محجوب واستمرت الزيارات الحميمة من كنديار لأم ناهد والعكس، وتمت الخطبة لجابر الذي كاد يطير من الفرح بارتباطه بهذه البنت الرائعة، ولعبت كنديار الدور الأقوى في مساعدة أم ناهد في تجهيز العروس والخروج معها للأسواق لشتري الجهاز اللائق بناهد الغالية، وتم الزواج بين ناهد وجابر والذي يكبرها بثمانية أعوام لتعيش ناهد في الدور الثاني من العمارة سعيدة بكونها مازالت في كنف أبيها وأمها وأشقائها الصغار.

■■■

تخرج أم ناهد من المطبخ حاملة صفحة الشاي والفطائر المشهورة بها لضيافة الحاجة إصلاح والتي سألتها عن كنديار بشيء من الغيرة النسائية- فقد كانت كنديار هي المفضلة الدائمة عند أم ناهد- لتخبرها أم ناهد أنها عادت لبلدها في المنوفية بعد وفاة سيد زوجها ودخول ابنها خميس السجن في قضية مخدرات، وأنها انقطعت أخبارها منذ زمن قريب ولا تعرف عنها شيئًا الآن وأنها تهفو دائمًا إلى لقائها لأنها





كانت نعم الصديقة لها وأنها تشعر بالذنب تجاهها، ولكن كان لا بد من الرفض لأن خميس كان مثالاً للانحلال والاستهتار، ويأخذ الحديث شكله النسائي بين الحاجة إصلاح وأم ناهد لتخبرها إصلاح أنها كانت لا تحب تلك المرأة وتشعر نحوها بنفور كبير بينما أم ناهد تدافع عنها بهدوء متحفظ حتى لا تغضب الحاجة إصلاح، تسمع أم ناهد من ينادي عليها من الشباك الجاني لتستأذن الحاجة إصلاح وتقوم لتلبي نداء الجارة، في الوقت الذي عادت فيه ناهد من جولاتها الغامضة وبينما تصعد إلى شقتها تنادي عليها الحاجة إصلاح وتقوم لتسلم عليها.

- ناهد بت يا ناهد إيه يا بت مش شايفاني؟

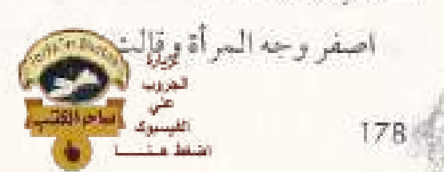
تنظر لها ناهد بتصلب شديد ولا ترد عليها.

تقترب المرأة منها وتضع يديها على صدرها تمهيدًا لتحتضنها ولكن ناهد تدفع يدها بقسوة وعدائية عنها وهي تنظر لها بعداء وشراسة الحيوانات وقد صدر من فمها صوت وكأنها تزوم كالكلاب المسعورة، تراجعت المرأة بخوف بينما خرجت أم ناهد لتجرها بعيدًا عن ناهد خوفًا من أن تكرر ما حدث مع الجارة ومع أم سلمى العروس.

تظل ناهد واقفة على السلم ناظرة للمرأة بقسوة وتركيز وقد استدارت عيونها بعدائية بينما جرت أم ناهد بالمرأة للداخل وأغلقت الباب في إحكام حامدة الله على أن المعركة لم تشتعل.

-يا وليه بقولك ناهد مش طبيعية تقومي تروحي تسلمي عليها وتمدي إيديك؟!

اصفر وجه المرأة وقالت



-ياختي أنا قلت أسلم يا ساتر دي حالتها صعب، الله يكون في عونك.

- احمدي ربنا إنها ما مسكتش فيكي.

تنظر المرأة في وجهها غير مصدقة.

- للدرجة دي؟! الله يكون في عونك ياختي.

تستمر الزيارة لساعة أخرى وتداولت المرأة سيرتها الشخصية على مدار الزيارة إلى أن أرهقت أم ناهد من وجودها تماماً، وقبل انتهاء الزيارة بدقائق قالت المرأة وهي تلملم أطراف طرحتها:

- شوفي يا أم ناهد أنا سمعت عن واحد اسمه الشيخ لبيب ساكن في بيت جنب مقابر البساتين بيقولوا إنه واصل أوي.

نظرت لها المرأة مستغربة من توقيت عرض الخدمة وقد أوشكت المرأة على الرحيل.

واصلت الحاجة إصلاح كلامها:

-الراجل ده بيعمل حاجات جامدة أوي يا ذكية وياما حل عقد الناس بس هو حراق شوية.

ترددت أم ناهد قائلة بملل:

- احنا صرفنا كتير في الموضوع ده ومافيش فايدة.

- وماله المهم الفايدة وربنا هيجعل على إيده الخلاص إن شاء الله.

بعد تفكير قصير تقرر أم ناهد أن تطرق هذا الباب لعل وعسى.

- خلاص خليه يجي.





تنظر لها المرأة بدهشة ثم تنفجر ضاحكة عاليًا:

- هيهيهيهي ييجي؟ ده احنا اللي لازم نروح ونبوس الأيادي يا روحي.

- بقولك سره باتع وسمعت إنه عصبي وبيطرد الناس كمان.

تنظر لها أم ناهد وقد استفزها كلام المرأة وأثار اهتمامها:

- يا سلام على إيه يعني؟

تواصل المرأة كلامها:

- يا حبيبتي بيقولوا إنه ميظهرش إلا قليل أوي وبيجيله وزرا وسفرا وعرب وممثلين.

- إنتي تعرفيه؟

- ياريت أنا سمعت عنه لما كنت في أبو السعود من نسوان جامدة جدًا.

- خلاص شرفي إزاي نروحله.

- أنا أعرف وليه اسمها (مندورة) وكانت النسوان بيتحايلوا عليها عشان تاخد معاد معاه.. باين عليها ليها دلال عليه هكلمها وأرد لك الخبر.

توسلت الأم بهمس:

- الله يخليكي يا إصلاح أوعي تنسي أديكي شايفة المر اللي احنا فيه.

- عيب عليكي ده أنا طول عمري خدومة وأحب الناس ومبحبش أشوف حد تعبان إلا وأساعده.



ده أنا .... وأنا.......... وأنا .... وواصلت المرأة مديح نفسها لعشر سطور قادمة

وودعتها المرأة لتعود أم ناهد إلى حياتها التعيسة تنتظر الفرج على يد الشيخ (لبيب).

■■■

«محدش يقدر ياخدني منك يا ماما

أنا بحبك يا ماما متسيبينيش.. جدتي عايزة تاخدني منك يا ماما

لا يا ماما إوعي تسيبها تعمل كده»

هكذا تصرخ أشجان بشكل دائم في عقل ناهد.

هكذا تشحنها بالغضب والمقت والحنق، وقد أدركت أشجان محاولات الجدة لتخليص ناهد من ذلك الأسر الجهنمي.

كانت من عادات أم ناهد أن تنام في فترة العصر قليلاً بعد انصراف الأولاد إلى الشارع أو الساحة الشعبية لتريح جسدها المكدود من عناء خدمتهم المتواصلة، وكانت توصي أمجد بأن يهتم بـ(حسام) بشكل خاص وأن يدير باله عليه خاصة وأن الشاب أصبح انطوائيًا صامتًا، وتترك ياسر يلعب مع أصحابه من أبناء الجيران أمام منزلها وتدخل لتنام قليلاً.

الجو دافئ.. أشعلت الأم المروحة وتركت نفسها للاسترخاء ساعتين تحسبًا لعودة الأحفاد، جلست على طرف سريرها العريض والذي أصبح يشاركها فيه حفيدها أمجد الصغير، جلبت زجاجة مياه من الثلاجة لتضعها بجانب السرير، وألقت بجسدها المكتنز تستشعر





خلد الراحة بعد تعب وقوفها صباحًا لإعداد الطعام لأحفادها وكانت مشهورة بأنها سيدة نظيفة، وتوالت إلى نفسها ذكرياتها منذ كانت ناهد هي من يقوم بخدمة البيت كله من تنظيف وترتيب أيام كانت هي موظفة بمديرية التعليم بالجيزة وكانت تعود مرهقة لتجد البيت آية في النظافة والترتيب وكانت ترقد قيلولتها بنفس التوقيت معتمدة كليًا على ناهد الحبيبة والتي كان جمالها مصدر قلق الأسرة بسبب كثرة خُطّابها.

يتسلل النعاس شيئًا فشيئًا إلى جفونها المرهقة.

«الحلـــم»

تحلم أم ناهد بأنها في مكان فسيح به حوض للاستحمام- مغطس- وقد دخلت عليها ناهد وقد تلطخت بالأوساخ، وتلبد شعر رأسها الناعم وبدت في هيئة رثة وصحة متدهورة بينما الأم تحيط الابنة بذراعيها يدخل رجل غريب عليهم الحمام ويشعل ثقابًا ويلقيه في الماء، وبينما الأم مرتعبة من الرجل الغريب تقفز ناهد إلى الحوض لتسبح وقد ذابت الأوساخ في الماء الذي بدأ يفور وكأنه يغلي فتصرخ أم ناهد بالرجل أن يخرج لتجده هو نفسه الحاج محجوب زوجها الذي ابتسم في وجهها بينما ناهد تسبح في الحمام رشاقة، وقد استعادت جمالها وصفاءها القديم، يخرج الأب لتخرج ناهد بعده من الحوض عارية تمامًا وتستلقي أمام أمها وتأمرها بدهن جسمها بزيت طيب الرائحة جدًا وما إن فعلت ذلك حتى احمرت خدود ناهد وفرحت ثم تدحرجت على مفارش بيضاء تلتف حولها كلما تدحرجت حولها ليجيء أطفال في منتهى الجمال يحملون الشموع حولها بينما تشير للأم مودعة وهي سعيدة مستبشرة بينما يقف على الجانب الآخر رجل

وامرأة لا تعرفهما وقد اسود وجهيهما وتجهما الحقد من مرآهما، وعندما تمر ناهد بجانبهما يشعل الأطفال في ملابسهما النار بالشموع التي يحملونها ليجري هذان عليها وقد اشتعلت ملابسهما لتجري مذعورة منهما وتنادي على ابنتها ولكن صوتها لا يُسمع وحركتها بطيئة جدًا فقط تسمع صراخ الرجل والمرأة اللذين قفزا في مياه الحوض لينطفئا بينما الحوض يغلي ويفور بهما وصراخهما يشق أجواء الفضاء.

تفتح أم ناهد عينيها فجأة لتجد نفسها في غرفتها وقد مرت دقائق فقط على نومها، تتقلب في الفراش في حالة أرق وهي تسأل عن معنى ذلك الحلم الغريب وبينما تفكر بعمق تلمح صرصورًا فاخر الشكل يقف بين ساقيها على طرف السرير.. صرخت فهي تكره الصراصير جدًا وتحاربهم بكل قوة، قفزت لتقف باحثة عن شبشبها المنزلي لتعالج ذلك الكائن الكريه.

لكنه يختفي، فتضيء نور الغرفة لتبحث عنه وقد اشمأزت وتوترت أعصابها بشدة لتفاجأ أن أرض الغرفة نفسها مكسوة تمامًا بالصراصير بل الجدران نفسها وخلف الباب، منها أيضًا ما يطير ويصطدم بوجهها لتصرخ المرأة بجنون رهيب ولا تقدر على الحركة وسط ذهولها من تلك الأعداد الضخمة من الحشرات، تحاول الخروج من الغرفة ولكنها لا تجرؤ على الخطو فوق كل تلك الصراصير بينما المفارش والدولاب يفور بأعداد متزايدة من تلك الحشرات البشعة، تصرخ أم ناهد بعمق وتزعق على أولادها من خلال شباك المنور الداخلي بغرفة النوم وتحاول فتحه لتجد أن الصراصير قد غلفت جدران المنور من الداخل وكلما صرخت كلما هاجت الحشرات وتموجت حركتها



باتجاه صورتها، رفعت الطرحة لتغطي وجهها بينما تشعر بالصراصير تغذو ساقيها وذراعيها وتتسلق لحمها الأبيض تصاب المرأة بجنون رهيب وخوف مهول وتجري خارجة من الغرفة وقد تغطت طرحتها البيضاء بالصراصير وكذلك ملابسها المنزلية، وقبل أن تصل لباب شقتها كانت قد انهارت تمامًا وزحفت الصراصير على جسدها بإصرار وقوة، يضرب قلبها بعنف رهيب ويخونها صوتها ويهرب منها بعيدًا.

تفتح عينيها بشهقة رهيبة وتكتشف أنها كانت تحلم ذلك الحلم المزعج المليء بتلك الكائنات المقززة، تغادر سريرها وتفتح الأنوار لتجد أن كل شيء على ما هو عليه وتحمد ربها كثيرًا في سرها وتذهب من فورها لتتوضأ وتصلي حتى تهدأ نفسها بينما تغادرها رغبتها في القيلولة تمامًا.

تخرج للشارع لتطمئن على أمجد لتجده مندمجًا تمامًا في لعب الكرة أمام البيت مع أطفال الجيران، تدخل مجددًا لتعد لنفسها كوبًا من الشاي لتستعيد روعها وقد نست تمامًا الحلم الأول والخاص بناهد ووالدها الحاج محجوب وأن تذكره لاحقًا بعد وفاة ناهد.

يدق جرس التليفون، تمد يدها المرتعشة قليلاً وتلقفت السماعة، لتجد صوتًا صاخبًا ضاحكًا ودودًا انتظرته طويلاً:

- أيوه يا ذكية.. إزيك يا أم ناهد.

- أهلاً يا حاجة إصلاح إزيك إنتي يا حبيبتي

- ياختي معلش اتأخرت عليكي لحد ما عترت على الوليه اللي اسمها مندورة.




- مندورة مين؟

- اللي قابلتها قبل كده في أبو السعود اللي مكان الناس عايزين يوسطوها في مقابلة الش.......

تقاطعها أم ناهد:

- أيوه افتكرتها ما لها؟

- قابلتها يوم التلات في سيدي أبو السعود وقعدت أتحايل عليها عشان ناخد ميعاد مع لبيب وقعدت تقولي مقدرش وأنا اتحايل عليها وجبتلها كيلو جبنه وكيلو مش بلدي وايدتها قرشين ووو ...... ووو ... تستمر في الثرثرة عبر الهاتف بينما يظهر على أم ناهد التأفف الشديد من الحاجة إصلاح.

وقضلت أقولها معلش دي وليه وغلبانه وبنت واحده عزيزة عليا ووووو.........وووو.و..و

قاطعتها أم ناهد بنفاد صبر.

- خلاص يا إصلاح نهايتو قالتلك إيه؟

تصمت إصلاح بحزن وتقول لها:

- ما لك يا ذكية مش طايقه تسمعي ليه؟!!!

تعتذر أم ناهد متعللة بتعب أعصابها لتستمر المرأة في ثرثرة لا نهائية.

- واتفقت معاها على يوم الخميس الساعة 4 العصر.

تتقابل كلنا عند جامع اسمه الدنداوي في ترب البساتين، ونروح للراجل كلنا كده بربطة المعلم وطبعًا تحضري ناهد.





تنزعج أم ناهد من اقتراح حضور ناهد وتقول:

- لأ ناهد لأ يا إصلاح دي ممكن تبهدلني في الشارع إنتي متعرفيش ممكن تعمل فيّ إيه.

- طب والعمل؟!

- منا قلتلك هو بيجي هنا.

- يا وليه بيجي إيه!! ده محدش بيعرف يشوفه أصلاً تقومي تقوليلي بيجي؟ أقولك هاتي حاجة من أترها وتشوف هيعمل إيه.

- أترها؟!

- أيوه هاتي لباس ولا ستيان من بتوعها هيهيهيهيهيه (تضحك بفجور) وهو هيتصرف.

- طيب خلاص أنا هتصرف يا إصلاح.

خاللي بالك لبيب بياخد ألف جنيه كشف.

- ألف جنيه؟!! ده كتير أوي.

- معلش يا أم ناهد ربنا يا حبيبتي يجعله بفايدة ده أنا جبت للولية كيلو جبنه وكيلو مش وسبت عيش وورور (تكرر نفس كلامها التي قاطعتها فيه أم ناهد أولاً) وكل اللي جربوه قالوا ده اللي بيجيب التايهة.

تستمر المرأة في الثرثرة بينما تفكر أم ناهد كيف تقنع الابنة التي على وشك الجنون بزيارة هذا الرجل ولو رفضت كيف ستتسلل لشقتها لتحصل على قطعة من ملابسها بدونها، خصوصًا وإن الخصومة والعداوة على أشدها بينها وبين ابنتها.




تنهي المكالمة المرهقة مع صديقتها العزيزة على موعد يوم الخميس في الرابعة عصرًا في لقاء الشيخ لبيب المعجزة كما قالت عليه صديقتها الثرثارة الحاجة إصلاح.

تصعد أم ناهد إلى الدور الثاني وتطرق الباب برفق ليفتح لها جابر وقد بدا أكبر سنًا مما هو عليه، كان بادي الإرهاق والتعب وقد تهدلت وجنتاه وبانت التجاعيد حول عينيه.

- إزيك يا جابر!

- إزيك يا مرات عمي اتفضلي.

تدخل أم ناهد شقة ناهد لتجدها غاية في الإهمال والقذارة بينما تتراكم الملابس القذرة وبقايا الصحون في كل مكان، حزنت لأنها تعرف أن ابنتها تقدر النظافة والترتيب وأدركت أن ابنتها في تدهور محقق.

سألت عليها فقال لها إنها في غرفتها نائمة.

تظاهرت بأنها سوف تقوم بترتيب المنزل وجمعت الملابس المتناثرة القذرة لتغسلها وبالفعل قامت بغسل الصحون وترتيب المطبخ كيفما اتفق، وقد دست قميصًا داخليًا لناهد في صدرها في غفلة من جابر الذي كان يقف معها محرجًا ويقوم بمساعدتها بينما ناهد تقبع في غرفتها وتغلقها عليها، يتحدث جابر إلى حماته ويشكو لها من عدم قدرته على فعل أي شيء بينما هي تجيبه بصوت خافت حتى لا تصحو ناهد فهي أصبحت تهابها جدًا ولا تقدر على مواجهتها أصلاً، بينما يعلو صوته هو إلى أن تسمع باب غرفة ناهد يفتح عنوة





وتخرج ناهد وقد انتفخت جفونها وتهدل شعرها واحمرت عيناها لتقف أمامهم بتحدٍّ وغل لتقول:

- إنتي إيه اللي جابك هنا؟!

ترتبك الأم أمامها وتقول:

- قلت أشوف لو عايزه حاجه يا ناهد!

تنظر لها ناهد شذرًا لتقول لها من بين أسنانها:

- محدش طلبك.

يتدخل جابر محرجًا:

- عيب يا ناهد دي أمك.

تنظر له بتنمر واضح وتقترب منه كثيرًا قائلة بغل:

- اخرس أنت يا ابو ديل نجس يا بتاع المواس.

يرتبك جابر وقد أدرك أن نوبة الهيجان آتية لو تكلم أكثر من ذلك، بينما تتحرك الأم خارجة بصمت:

- لو جيتي هنا تاني هكسر رجلك .... إنتي فاهمة؟

تهز الأم المسكينة رأسها وتدمع عيونها وهي تقول:

- حححححاضر يا ناهد يا بنتي حاضر.

- ملكيش دعوة بيا يا حرباية يا أوس البلاوي.

تنفجر أم ناهد بالبكاء وهي تتحرك لتخرج من الشقة بحذر بينما تدفعها ناهد للخارج أكثر بعدوانية:

- يالاه غوري يا ريتك تموتي وارتاح منك.





وقبل أن تغلق الباب في وجهها تقترب منها بينما الأم تبكي، وتهمس لها وهي تنظر لها في عينها وقد تنازعت فيها قوتان:

- أنا عارفه كويس إنتي جيتي ليه.

وتغلق الباب في وجهها بعنف لتهرع أم ناهد نازلة السلم وقد زاد إصرارها على مقابلة ذلك المدعو لبيب داعية من الله أن يوفقها فيما فيه الخير لابنتها التي صارت كشيطان رجيم.







15 من لبيب لهزاع يا قلبي لا تحزن

إنه يوم الخميس وكان فيما مضى يومًا محبوبًا للجميع فهو نهاية الأسبوع حيث تقوم الزوجات بتنظيف المنزل وإعداد وجبة يوم الجمعة، والتي تتم عادة بالدسامة بينما يلعب الأولاد في حوش العمارة، وكانت أم ناهد قد رتبت كل شيء من طعام وتنظيف وعملت حسابها أنها ستغيب مع صديقتها الحاجة إصلاح في مقابر البساتين واطمأنت إلى أن الأحفاد في الساحة الشعبية بينما بقي أمجد مع أولاد خاله يلعب في حوش العمارة بل وقامت بصنع كيكة بالشيكولاته لذيذة للأطفال ووزعت عليهم بعض النقود ليلهون في غيابها ووضعت مبلغ الألف جنيه في صدرها وارتدت ملابسها السوداء وعلى الساعة الثالثة كانت تركب المواصلات متجهة من ميدان الجيزة إلى ميدان السيدة عائشة تمهيدًا للركوب إلى حيث مقابر البساتين الواسعة وكانت تعرف أن الحاجة إصلاح تنتظرها بالقرب من الجامع الكبير في المقابر.

■■■

يوجد ما يسمى بالحضور، فقد يحضر شخص ولا تدير بالك ناحيته وقد يحضر شخص جدير بإحداث صمت لباقي الموجودات أنفسهم؛ لأن حضوره كافٍ جدًا ليأخذ تركيزك بعيدًا عن كل الموجودات، ويبن صخب الطريق والمواصلات ودخول وخروج المصلين من وإلى

الجامع الكبير ومع تتابع الجنازات انشغلت أم ناهد بمراقبة الطريق الصاخب وقد سرحت بفكرها في ناهد وفي أحوالها الشاذة.

كانت أم ناهد تجلس على مصطبة بجوار المسجد الكبير انتظارًا لحضور صديقتها الصاخبة الحاجة إصلاح لتقترب منها امرأة في أواسط الستينات مستديرة العين دقيقة الملامح وقد تيبس جسدها، تتحرك بتصلب وقد انحنى ظهرها قليلاً، فهي ثاقبة النظرات قوية الشخصية بما لا يقاس، ووجدت أم ناهد نفسها تلتفت وكأن للمرأة مجالاً مغناطيسيًا خفيًا يجبرها على النظر إليها.

اقتربت المرأة تتهادى في تصلب العجائز وقد امتلأت صرامة وقسوة، ترتدي جلبابًا أسود نظيفًا واعتمرت طرحة سوداء شفافة فوق قمطة سوداء تشدها بعنف حول جمجمتها، ويتدلى قرط ذهبي عملاق من شحمة أذنها يكاد أن يقطعها، معروقة اليدين لها حضور قاسٍ كالحموات في الأزمان الغابرة، تنظر لها أم ناهد في رهبة وتساؤل، بينما تقترب المرأة أكثر منها وتجلس بجانبها على المصطبة ولا تتكلم، تنظر لها أم ناهد في تساؤل مملوء بالرهبة، لتخبرها المرأة أنها)مندورة(وأنها عرفتها بمجرد رؤيتها.

تندهش أم ناهد من قوة المرأة وترحب بها في توتر قلق ويسود بينهما ذلك الصمت العام بالرغم من صخب الشارع ونشاط الجامع المجاور، والغريب أن أم ناهد لم تتحدث أو تسأل بينما المرأة الرهيبة تجلس عاقدة أصابعها في حجرها ومحركة الإبهامين في حركة دائرية مستمرة في تأمل لا نهائي ويمر الوقت ثقيلاً وأم ناهد غير قادرة أصلاً على إظهار حتى التأفف من غياب صديقتها الصاخبة.



ثم تجيء الحاجة إصلاح بصخبها وحيوتها نازلة من إحدى عربات الميكروباص ومن الواضح أنها كانت تتعارك داخله ويظهر هذا جلياً في نظرة السائق المتأففة لها بينما تنزل إصلاح بمنتهى الحيوية وهي تلاحقه بالنقد والشتائم الشعبية المشهورة آنذاك.

تقبل إصلاح عليهما مبتسمة بينما تقوم أم ناهد لتحية صديقتها وإن ظلت مندورة جالسة لا تنظر أصلاً لهما، تسلم إصلاح على مندورة بعشم وصخب لتستقبل مندورة سلامها بتعالٍ متصلب ليتغير وجه إصلاح إحراجاً بينما تفرض المرأة بروتوكولاً شديد الصرامة في التعامل معها خصوصاً تجاه إصلاح الصاخبة، بينما أم ناهد تتأمل الطريق إلى بيت لبيب فهي لا ترى سوى أحواش الدفن فقط ولا شيء آخر لا بيوت ولا منازل.

النسوة الثلاثة يعرجن إلى شارع بجوار الجامع ليدخلن رسمياً في مقابر البساتين حيث تختلط أحواش الدفن الحديثة المبنية بالطوب الحراري والنقوش الجبس والحجر المنحوت والأبواب المعدنية وبين القديم والعتيق حيث الأحجار النيئة القديمة والبوابات الخشبية الغليظة ومع عمق دخولهن إلى تفريعات الشوارع تأكد انعزالهن عن العالم الخارجي الميال بالحركة والحياة فهنا يرقد الناس حيث لا طموح ولا انكباب على غرائز، فقط الرقود والانتظار في طريقهن إلى حيث الساحر (لبيب).

تُرى أين يسكن الشيخ لبيب ذو الكشف الأعلى من أكبر طبيب؟ وما هو سر قوته؟ وما لـ هذه المرأة تتعامل كما لو كانت تمنح وتمنع؟

■■■





أم ناهد تحكي.

مشيت مع الست مندورة والحاجة إصلاح في شوارع المقابر الواسعة ثم عرجنا إلى شوارع أضيق فأضيق حتى وصلنا إلى حوش متوسط المساحة بالغ القدم مكتوب عليه مدفن أسرة السيدة قدرية فواز 1930 يلتصق به سور لحوش آخر فاخر حديث ذي البوابات الحديدية الضخمة المزخرفة.

وكان باب حوش لبيب من الخشب العتيق المترب، وقفنا بعيدًا ريثما تطرق الست مندورة الباب بكل شموخ، نظرت للحاجة إصلاح بطرف خفي قائلة:

- هو ساكن في تربة؟

ردت إصلاح وعينها لا تفارق الست مندورة:

- أنا عارفة ياختي بقى الفلوس دي كلها ومش قادر يسكن في سرايا؟! أنا بردو مستغربة!

يفتح الباب ليظهر منه رجل يلبس معطفًا كاكيًا حائل لونه، أصلع ضخم الجثة بادي الوقاحة والقحة ينظر لمندورة بترحاب مصطنع، من الواضح أنه لا يحبها ولكنه أيضًا يخاف منها، تتبادل معه حديثًا مقتضبًا بعدها ينظر لنا بوقاحة وجرأة ويعاود الدخول بينما تتجه مندورة لنا وتتحدث بلغتها الآمرة:

- هنستنى شوية عشان عنده ناس.

بدا التأفف على إصلاح بينما التزمت أنا الصمت وتكلمت إصلاح:





- يا ست مندورة احنا مش حاجزين ميعاد وهندفع اللي قال عليه؟ يبقى المفروض يا ختي إنه يعمل حسابنا في الوقت.

وتنظر لي إصلاح لأؤيدها ولكني التزمت السكون وعدم التعلق بينما نظرت لها مندورة نظرة متغطرسة صامة.

بدا العناد على وجه إصلاح وتعمدت البرطمة، شيخ؟! يا ختي شيخ إيه ده.. ده شكله عامل زي الكمسري بتاع ترماي الإمام الليثي.

نظرت لها مندورة بحزم وقد استدارت عيونها بغضب خفيف لم تتكلم.

ثم تشير لمصطبة مجاورة بأن نجلس عليها حتى تعود، ثم اتجهت لباب حوش الشيخ لبيب ودخلت بهدوووووووء وثقة للداخل وأغلقت الباب خلفها.

بدا الغيظ على وجه الحاجة إصلاح.

- يا ختي الولية دي ما لها مخشبة كده، ثم ضحكت، عاملة زي العيش المحمص، ضحكت رغمًا عني وحذرتها من استفزازها قائلة:

- بلاش تهريج يا أم سمير الست دي شكلها نابها أزرق دي مفتحتش بقها من ساعة ما قابلتها.

ردت إصلاح بتوتر حقيقي:

- إنتي هتقوليلي عليها دي بتقعد زي الصنم والناس هناك بتخاف منها ده أنا لولا قلتلها على الحكاية بتاعة ناهد كانت ولا عبرتني أصلا دي قوية وعاملة زي السجان- يا ختي نسوان إيه دي؟




ننتظر لفترة ليست بالقصيرة أحسبها نصف أو ثلاثة أرباع ساعة وقد بدأنا نتململ في جلستنا، ثم تجيء سيارة فارهة ماركة مرسيدس يقودها سائق ليقف قبالتنا وينتظر، ننظر له في بلاهة بما يتناقض وشكل السيارة الفخم مع جو المقابر الفقير، ثم يفتح الباب ليخرج منه الرجل اللزج مسرعًا والذي عرفنا فيما بعد أنه الخادم الخاص للشيخ لبيب واسمه (سليم) ليتحدث مع السائق لحظات يقوم بعدها السائق متوجهًا مع الخادم إلى حوش المقبرة ثم يمر وقت قصير لتخرج أولاً سيدة كبيرة في السن تلبس ملابس متصابية عارية الذراعين تضع المساحيق بكثافة بالرغم من أننا نهارًا متجهة للسيارة بينما يخرج الخادم والسائق وقد أسندا شابة أرستقراطية جميلة وقد بدت في ذهول ولا تستطيع الوقوف أو المشي وقد حملاها حملاً إلى باب السيارة ولاحظت أن الخادم سليم يحملها بطريقة خبيثة ويتحسس جسدها خلسة ليدخلوها إلى المقعد الخلفي بجانب السيدة العجوز لتأخذها في أحضانها ويسرع السائق مرة أخرى للداخل مع الخادم ثم يخرج وحده متوجهًا لمقعده الأمامي ويسرع بالخروج من الشارع الضيق محدثًا أكبر قدر من الغبار في وجهنا.

إصلاح:

- كخ كخ كخ ده إيه ده؟ ولا كأنها خارجة من أوضة العمليات يا خي يا ذكية.

- فعلاً شكلها مململ على الآخر بس شكلهم ناس هاي لايف أوي.





- كح كح كح أيوه كح شكلهم ولاد بشوات كبار - ثم تضحك ضحكة مكتومة - بركاتك يا شيخ لبيب.

ثم تعاود الثرثرة:

- وشوفتي الولية الكبيرة العايبة معرية دراعها وحاطه كيلو بويه على وشها ومعرقبة كده طب والنبي بذمتك يا أم ناهد مش لو أنا مكانها كنت هبقى أنضف من اللي جابوها---حظوووووووووووووظ

ثم تواصل الكلام الساخر المنتقد.

تخرج مندورة وتقف أمام الباب وتشير لنا بعينها أن نأتي فقمنا من فورنا - هذه المرأة لا تعرف أن اللسان يستخدم في الكلام فكل كلامها إشارات صارمة ولكنها في منتهى الحزم والصرامة تذكرها بالممثلة الرهيبة بنجمة إبراهيم في ريا وسكينة.

تتجه إلى باب الحوش وتدخل بينما هي أمامنا ويسرع ذلك الخادم اللزج - سليم - إلى غلق الباب من الداخل في إحكام لنجد أنفسنا وسط حوش عتيق غير مظلل به غرفة مغلقة وبعض مصطبات من الحجر ونباتات الصبار العملاقة ومقبرة مفتوحة تنحدر درجاتها للأسفل، تركنا مندورة وتذهب للخادم وتقف أمامه وتنظر له نظرات صفراء.

ينظر لها الرجل في استرخاء قبيح بعيونه الوقحة فتنظر له مندورة نظرات مستديرة نارية ليخفض عينه إلى الأرض ويذهب من فوره متوجهًا للغرفة المغلقة بينما مندورة تشير إلى المقبرة المفتوحة بأصابعها المتصلبة:

- يالا انزلوا.

■■■





هذه المرأة تطلب منا أن ننزل للقبر المفتوح وتتصور أن هذا شيء عادي يؤمر به الناس

تصلبت في مكاني بينما فتحت الحاجة إصلاح فمها بذهول.

نظرت لنا مندورة منتظرة أن ننفذ الأمر ثم اتجهت من فورها إلى سلالم القبر وخلعت شبشبها لتنزل بمنتهى الهدووووووء ووقفت في منصف المسافة ناظرة لنا في تصلب منتظرة.

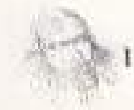
ارتبكت وانتابني الخوف بينما ركب الرعب صديقتي الحاجة إصلاح واكتسى وجهنا برفض قاطع.

يفتح باب الغرفة المغلقة ليظهر الخادم سليم حاملاً بعض الأشياء ويتجه بسرعة للنزول داخل المقبرة مجتازًا مندورة لتصعد الأخرى بضع درجات وتنظر لنا قائلة:

- الشيخ لبيب ميستناش حد ..... يالا.

تصلبت في مكاني فأنا سيدة مؤمنة ولا أخاف القبور لكن أنا مطالبة بأن أزل لساحر ينتظر في جوف القبر ليعالج ابنتي، بينما صديقتي توجهت لأقرب مصطبة وتهالكت عليها معلنة رفضها النهائي للنزول:

- يا ختي أنا بخدمك بعيني لكن معلش دي الحياة حلوة يا امه يعني افرضي كده لو مت تحت تفتكري ابني هيقلني هيقولك خليها أمي قصرت المسافة وماتت جوه التربة ملقاش حد يغسلني ويطبطني ويعملي ليلة عايزاني أوفر ده كله.



نظرت لها مندورة باشمئزاز ثم توجهت بنظرتها المسمومة لتجدني واقفة متصلبة خائفة، أمسكتني من ذراعي ونظرت في عينيّ قائلة كلمة واحدة:

- الضنى غالي.

ثم نظرت لإصلاح بشكل آمر أن تنزل معي خصوصًا أنها وجدتني أتصبب عرقًا لتقوم إصلاح من فورها وتتجه ناحيتي وتشجعت بوجودها بجواري وتحركنا لنتبع تلك المرأة المتصلبة بعد ما خلعنا أحذيتنا أسوة بها

وأنا أتساءل بيني وبين نفسي إن كانت مساعدته بهذه القسوة والصرامة فماذا عن الشيخ نفسه؟

نزلنا برفق وقلبي يكاد يتخلع من ضلوعي فللقبر هيبته والتي أعتقد أنها الهيبة العليا في حياة الإنسان فما بالي وأنا حية أرزق أنزل بطوعي لأطلب علاجًا لابنتي وقد رنت كلمة الست مندورة بحكمة القبر نفسها بأن «الضنى غالي» وتسارعت صور ناهد إلى عقلي وأنا أراها تهيم وتتحطم وزاد ذلك من عزمي ونزلت وأنا أتمتم بكلمات الله التامات طالبة منه عفوه ورضاه عليّ بعد ارتكابي ذلك الفعل الشاذ.

تنحدر سلالم القبر لأسفل درجات منحوتة من الحجر الأبيض تنحدر ومع كل خطوة نازلة تنقطع الصلة بين صخب العالم وبشريته لتواجه الحقيقة العظمى في الدنيا، وكأن تلك المقبرة هي وحش يفتح فمه الخانق وكأن السلم هو أنيابه المحفرة بقسوة الواقع الوحيد في الحياة، المكان مظلم رطب وإن كان مخدومًا لإقامة ذلك

الشخص الرهيب الذي يؤثر الإقامة في جوف الموت ليمارس سلطته على الأحياء من عمق المعنى الحقيقي للموت.

أشعر بارتجاف صديقتي الصاخبة وقد انكتم كلامها تمامًا بينما سرت همهمة الخوف الشديد من بين أسنانها بينما أرتجف أنا لا شعوريًا وأنا أتبع تلك المرأة المتخشبة وأتابع النزول حافية ليتحول ومع كل انحدار أشعر بالانعزال عن الدنيا، أتممنا النزول لنقف في ممر غير واسع تحفه غرفتان يمينًا ويسارًا وكانت الغرفة اليمنى عبارة من أرض رملية ممهدة يتوسطها النائمون أبدًا، في هذا الحوش عظام بالية نخرة مختلطة بأقمشة بالية بينما يضيئها مصباح كيروسين على بابها وفي آخر الممر يوجد ما يشبه حوض الغسيل ولكنه جاف يمتلئ بعظام وجماجم، وعرفت فيما بعد أنه يسمى بالعضامة؛ أي ما يجمع من عظام للأموات الذين توفوا من عهود بعيدة، أبلتع ريقي وقد سرت في جسدي قشعريرة جديدة من نوعها لم أختبرها من قبل ووقفنا في الممر بينما أشعر بارتجاف جسد صديقتي وصمتها الموشك على الانفجار تتقدمنا مندورة بخشوع للغرفة اليسرى وندخل نحن وراءها لنجد غرفة واسعة نسبيًا منخفضة السقف ومضاءة بالشموع الغليظة في أركان الغرفة الرهيبة بينما توجد أمام جدارها المقابل للباب ما يشبه المائدة المنخفضة يجلس وراءها رجل لم أتبين ملامحه وإن بدا أنه شخص ضئيل الجسد كما لو كان مراهقًا أو طفلًا فاتر الجسد وأجلستنا مندورة على شلتة جلدية أمام تلك المنضدة وجلست هي بالقرب من الجسد القابع بينما جلست أنا في الجانب المواجه لها وجلست إصلاح بالقرب مني ترتجف ولا تجرؤ على النظر حيث الرجل.



ويسود الصمت المريع وتشير مندورة لي بإخراج الأثر - وهو قطعة الملابس الخاصة بابنتي والتي اختلستها عنوة من شقتها فأخرجتها مع مبلغ الألف جنيه وأعطيتها لها وكأنني منومة مغناطيسيًّا تناولتهما المرأة من يدي المرتجفة ووضعتهما أمام الرجل الرهيب، بينما الظلال تلعب لعبتها القذرة في التردد بين انعدام التمييز في الرؤية والإيحاء القوي وقد تراصت على المنضدة الواطئة بعض الأدوات النحاسية بما فيها من قدر نحاسي به ماء وبعض الزجاجات الصغيرة وبعض الأشياء التي أظنها أجزاء بشرية وعظام لحيوانات مختلفة

يسود الصمت بينما ينزل الخادم سليم ليقف على مقربة من باب الغرفة التي تحوينا.

همممممممممممممممممممم يصدر ذلك الصوت المكتوم من الرجل الجالس خلف المنضدة.

صوت له من الرهبة ما يوقف شعيرات جسمك بما له من قتامة وأنين وقد ركزت مندورة النظر له وكأنها تلميذ يأخذ أهم دروسه من الرجل الرهيب ثم يمد الرجل يده أمامه يأخذ من مندورة الأثر وتعطيه في يده بمنتهى الخشوع.

يأخذه الرجل وهو مازال يعطينا ظهره، يفركه في يده ويقربه من أنفه ويأخذ شهيقًا طويلاً جدًّا ثم يكتمه زيزفر ببطء ثم يأخذ شهيقًا أطول أحسب أن رئته ستنفجر ثم يطرده في صورة زفير أعلى في الصوت، ثم بدأ التمتمة والهمهمة والغريب أنني كنت أسمع صوتين يخرجان منه في نفس الوقت وكأنهما صوت مجادلة محمومة بينه وبين وبين وبين من لا أعرف ولا أحب أصلاً أن أعرف.



يسود الصمت طويلاً بعد الشهقتين والهمهمة.

ثم بدأ الرجل يزوم كحيوان مذبوح ممممممممممممم ممممممممممممم

آاااااااااااااااا والغريب أنه يخرج صوتين معًا كما لو كانت هناك محادثة ما تتم بينه وبين خدمه من الشياطين.

ثم صمت قليلاً ثم قذف بالقميص في اتجاه الجدار وقد تعلق القميص في الهواء، يتم تقليبه كما لو كانت يد خفية تقلبه وتتشممه.

ثم ثم.... ثم

يستدير لنا.. نعم لقد كان الرجل يعطينا ظهره من البداية ولكني لم أميز ذلك لخفوت الإضاءة، فالرجل استدار بنعومة فائقة ليواجهنا وكأنه يجلس على رولمان بلي فائق الانسيابية لأكشف أن الرجل لا يجلس مثلنا على الشلت الجلدية ولكنه استدار عائمًا في الهواء كما لو كان معدوم الوزن.

يا إلهي الرحيم فالرجل دقيق الملامح كأنه مراهق يملك وجهًا مسحوبًا طويلاً وقد تناثرت الشعيرات على وجهه وذقنه ليكمل الوصف وكأنه تيس أو عنزة وقد وقف شعر رأسه المعفر بالتراب، استدار ونظراته موجهة لأسفل فلم أر عينه إلا عندما رفعها لنا ككشافات الاعتراف في أمن الدولة، فقد كانت عيناه تلمعان وتعكسان الضوء بتركيز يوازي أشعة الليزر، عيون سوداء مضيئة كالقطط في الظلام، سوادهما يشغل الحيز الأكبر من تكويرة العين بينما أصابعه تنتهي بأظافر طويلة قذرة كما المخالب في الطيور الكواسر، فالرجل أشبه بصقر أو بومة تنظر



في فراغ البراري باحثة عن ضحايا، وأما عن انسايبه جالسًا على الهواء فهو الرعب بذاته الموقف جاد جدًا لا يحتمل حتى التعليق أو التنفس وقد شعرت أن كل الموجودات تراقب الموقف بذات الرعب الذي أحسست به بما في ذلك الأموات أنفسهم في تلك المقبرة القديمة.

اهتزت إصلاح اهتزازة عنيفة وشهقت بمجرد استدارة الرجل لنا وأخذت ترتعش وتنتفض رافضة التصديق ومتمتمة بهمهمات متتالية مما أزعج مندورة ونظرت لها بتركيز علّها تصمت والمرأة مستمرة في الارتجاف والهمهمة لتسكتها مندورة بصرامة قائلة:

- اخرسي يا مره.

تنظر لها إصلاح بضعف وقد طفرت عينيها بالدموع بينما لبيب ينظر لنا بصمت وقد أرسل سهامه المسمومة إلى أعصابنا ليؤكد على سلطانه النهائي في الموقف، فالرجل أو الولد لا أعرف يملك جدية مغسل الأموات وحافر القبور لا يهتز له رمش وكأنه من عالم آخر، تقترب عيناه من بعضهما على اتساعهما مما يعطيك انطباعًا بأن النصف الأعلى هو عينان فقط وهذا شيء رهيب لمن لا يعرفون، وينطق بصوت شاب يافع مؤنث قليلاً:

همممممممممم ناهد وإنتي أمها ذكية.

أوافقه بهزة هامسة من رأسي.

العمل سفلي والخادم عفريت مجوسي عابد للنار اسمه الطايور.

الجن عاشق ومسيطر على عشيرته.

وخطف المولود وبدله بينتمي عشيرته اسمها أشجان.



اللي عمل العمل مره اسمها...

ويصمت قليلاً ويضع يده على الأثر ثانية.

اسمها ((.........كنديار))

انتفضت بقوة عند سماع اسم المرأة المسببة لكل هذا الهول، كنديار صديقتي وحبيبتي التي كنت أعتبرها الأخت الكبرى لي مستحيييييييل.

ينظر لبيب وقد التمعت عيناه بوحشية.

العمل من سنين فاتت وكان الأب (محجوب) عامل تحصين لبنته وانتهى التحصين بموته.. ثم يمد عنقه الهزيل لينفخ في الإناء الحاوي للماء ليتأجج الإناء بالنار وتصرخ الحاجة إصلاح برعب وهيستيريا.. يدخل الخادم سليم إلى الغرفة وهو منحني احترامًا وخوفًا من لبيب ويجر المرأة خارجًا بها من الغرفة والقبر كله بينما هي لا تكف عن البكاء الهيستيري بينما أنا أنظر بقلق لمندورة التي تنظر لي بتركيز وصمت.. تهتز الإضاءة بقوة في الغرفة بينما لبيب ينساب مرة أخرى ويستدير لوضعه الأول في مواجهة الحائط.. يسود الصمت قليلاً ثم يزوم لبيب بقوة:

- انصرفوا.

تقوم مندورة من فورها وأقوم معها غير مصدقة تمامًا وإن كانت الرهبة تغلفني وأنا في جوف القبر مع هذا الكائن الجهنمي وأصعد مستندة على الجدار للدنيا من جديد بينما أسمع لبيب يحادث مندورة



بكلام غير مفهوم ومندورة ترد بنعم وحاضر بمنتهى الخشوع لهذا الرجل العجيب.

أصعد لأجد إصلاح في حالة يرثى لها وقد ناولها الخادم كوب ماء، وقد ارتمت على أحد المصاطب في الحوش الفسيح وأوشكت الدنيا على الإظلام الكامل، تخرج مندورة بعد برهة في ذات الجمود والتصلب وتنظر لي، تمسكني من ذراعي وتنتحي بي بعيدًا عن إصلاح المنهارة، تنظر لي ذات النظرة وتخبرني بأنها قادمة لبيتي غدًا لعمل اللازم واستخراج العمل، ووصتني بأن أكتم الأمر تمامًا عن أولادي وخصوصًا ناهد حتى لا تفعل أشياء ضد العلاج المرتقب بينما أنا في حالة من الذهول.. تتركني مندورة لأذهب أنا وإصلاح في طريق العودة وقد اسود وجه إصلاح وعلته الكآبة والرعب وتودعني إصلاح ذاهبة إلى بيتها بدون كلام وكأن قلبي يحدثني أنني لن أراها ثانية.

أستقل تاكسيًا وأغرق في ذكرياتي حول التي كنت أحسبها صديقة، وتذكرت أنني أملك رقم هاتفها في بلدها المنوفية وقررت أن أهاتفها ثم تذكرت تعليمات مندورة بأن أكتم الخبر تمامًا حتى تفرغ هي من مهمتها

■■■

هل من المعقول أن أكتشف أن أعز الصديقات هي من وراء تلك الأحداث المهولة؟ هل وصلت كنديار لهذا الحد من الحقد على ابنتي لكي تؤذيها بهذه الطريقة الجهنمية؟ نعم لقد كنت أتركها في بيتي كثيرًا تمارس فيه كل الصلاحيات التي أمارسها أنا كصاحبة البيت، لكم





وثقت فيها وائتمنتها على أولادي وكنت أرحب بها أيما ترحيب وكل ما فعلته أنني رفضت ابنها عريسًا لابنتي لما له من سمعة وأخلاق جديرة بالمجرمين والسوابق لماذا يا صديقتي الحبيبة فعلت كل ذلك؟ هل لمجرد الرفض أم أنه الحسد المقيت والذي تمخض عن عداوة مستترة؟

والغريب أن محجوب كان على علم بالأمر ولكنه لم يخبرني قط بأنه يمارس تحصينًا لابنتي، وهل هذا كان سرًّا بينهم أم أن ناهد لا تعرف شيئًا من كل هذا؟ وهل كان محجوب على علم بأن كنديار هي السبب أم أنه يجهل كل هذا؟!

واعتصرت ذاكرتي أكثر وأنا أستعيد أحداث تلك المرأة، نعم كانت تبتسم وتجامل وتعتني بي وبأولادي، نعم كانت تهادينا من مختلف الأطعمة والحلوى بل كانت تبالغ في الكرم.. لكن لماذا؟!

أهو إمعانًا في التغطية على فعلتها الحقيرة؟ أم أنه نوع من المراقبة اللصيقة لترى بعينها رد فعل سحرها لابنتي؟

أم كانت تشعر بالذنب تجاهنا؟ لا أعرف ورأسي يكاد ينفجر ومازلت غير مصدقة لما حدث، أسترجع سلوكها معنا خصوصًا بعد الرفض النهائي لابنها ولكني أجد أنها مازالت صديقة وحبيبة ولم يظهر عليها أي سوء نية بل على العكس فقد ساعدتني على انتقاء جهاز العروس وعاونتني أيضًا على تفصيل الملابس وكل لوازم العروس وكنت أرحب بها أكثر من ترحيبي لأهلي.. يا إلهي لا أستطيع تصور ذلك أبدًا.





في نفس الوقت كانت كنديار تجلس في منزلها في أشمون محافظة المنوفية شاعرة بإحساس غريب وكأن الماضي انفتح أمامها واستعادت ذكرى بعيدة وفعلاً يتسم بالكفر المبين، فبمجرد رفض ابنها خميس من قبل ذكية ومحجوب استشاطت غضبًا وإحباطًا، فالأمل في هذا النسب كان كبيرًا خصوصًا إن زوجها سيد كان قد صفى شراكته مع محجوب وتدهورت أحواله بعد هذه التصفية وأصبح مجرد تابع لمحجوب الذي ازدهرت تجارته بعد التصفية مباشرة، ولكنها حافظت على أواصر الصداقة مع أم ناهد لعل ذلك الرفض يذوب ويحل محله الرضا والقبول لابنها الوحيد خميس والذي أذاقها الأمرين بانحلاله واستهتاره وفضائحه.

فضائح وسمعة سيئة تلاحقها بسببه أينما ذهبت فالولد منفلت لا يرضى عن الانحلال بديلاً والغريب أنه بمجرد رفض أهل ناهد له تحول إلى وحش يمارس كل أنواع الرزيلة بتذوق وحرفية وساءت الأحوال أكثر بينما يبسط محجوب كان مثالاً للفأل الحسن، وتحول الحسد في قلبها لحقد أسود يغلي دائمًا وأبدًا في جوفها، وأسقطت كل فشل عانت منه على محجوب وأهله وأضمرت العداوة العفنة وغلفتها برقاقة لامعة اسمها المودة والصداقة، وجاءها خبر خطبة ناهد لابن عمها جابر كالصاعقة التي تضرب كل أمل لها في صلاح أحوالهم المتدهورة خصوصًا أن ابنها كان متعلقًا جدًا بناهد ويرى فيها زوجة المستقبل، وتحولت حياتها لجحيم وأكلت نار الحقد قلبها لدرجة خطيرة جدًا.





وبمجرد إعلان الخطبة تحاملت على نفسها وذهبت كصديقة عزيزة للأم ولناهد لتبارك وتهنئ وتزغرد بحماسة، واستقبلتها أم ناهد بترحاب متوتر لعلمها بأنها كانت تريد ناهد بشدة لابنها خميس، وبالغت في إكرامها لدرجة كبيرة ومع الوقت ذاب من قلب أم ناهد أي قلق بصدد هذه الصديقة العزيزة، وفي لحظة سهو من الأم المسكينة امتدت يد كندياد إلى صورة صغيرة لناهد وبعض من شعر ناهد كان موجودًا على مشط شعرها لتكتمل صورة الانتقام تمامًا في عيون المرأة المجروحة المحطمة، أخذت هذه الأشياء وخبأتها في صدرها العامر بالكراهية وعزمت على أن تذيق تلك الأسرة مر الأهوال وبشاعة الانتقام.

وبالفعل توجهت لساحر حقير يعيش في منطقة - الكنيسة - بالمنيب.

■■■

«يوسف الهزاع»

ولنقترب جيدًا من هذا الحدث الفاصل في حياة ناهد المسكينة.

توجهت كندياد إلى ساحر كان اسمه (يوسف الهزاع)، رجل في أواسط العمر كل ما فيه نجس حقير فهو لا يستحم أبدًا ولا يشرب الماء الطهور، يرتدي الأسمال ويعيش في بيت أشبه بالخرائب يعلوه أطنان من التراب الملبد بالأوساخ والرطوبة، طويل الجسد واسع العينين يمارس الرذيلة بفحش ويفتك بأعراض النساء كلما سنحت له الفرصة، مقرون الحاجبين زائغ النظرات له عين عوراء ويقال إن جسده عبارة عن مستعمرة للشياطين السفلى وأنه أخذ العهد من أكثر من عشرين عامًا أن يكون في خدمة الشياطين مقابل تحقيق مطالبه البسيطة في





الأذى من ربط الرجال جنسيًا وعنوسة البنات وتحويل حياة أي غريم إلى جحيم، وشاعت قوته السحرية في منطقته فأصبح الناس يكرهونه ويخافونه في نفس الوقت، فالرجل كتلة كراهية قاتمة رهيبة ولكم نال من أناس دخلوا معه في تحدٍّ أو عداوة وحول حياتهم لجحيم، منهم من أصابه العجز والعته أو الكساح المزمن أو العمى أو تدهور في صحته أو ماله.

ويعيش الرجل في بيت بين زراعة البرسيم في هذه المنطقة ويعاونه امرأة بائسة بادية التعاسة والإذلال تستقبل زبائنه من النساء اليائسات اللاتي فقدن إيمانهن ودينهن نتيجة ظروف بعينها ليقابلهم هذا الرجل وإن أثارته إحداهن كان يشترط عليها العمل على نجاسة الجماع بينه وبينها أو تأتيه حائضًا ليكتب بدمها الفاسد العمل السفلي الشيطاني، وكانت كنديار إحدى زبائنه التعيسات، ولنرى ما حدث بينه وبين كنديار الحاقدة.........

الساعة التاسعة مساءً وقد حل على الجو رطوبة خانقة في ذلك اليوم من أيام أغسطس وقد توجهت كنديار إلى منطقة الكنيسة المتاخمة لمزارع البرسيم في المنيب، عبرت ترعة الزمر على عبارة مربوطة بحبل وكأنها تعبر نهر ستيكس لتقابل بلوتو إله الموتى في الأساطير الإغريقية.

كانت لا تعرف المطلوب منها بالضبط ولكنها كانت على استعداد لفعل أي شيء لتطفئ نار قلبها المستعرة بالحقد على هذه الأسرة الهانئة، أخذت معها الصورة وشعيرات ناهد التي وجدتها على مشطها بعد أن سرحت شعرها بنفسها في تلك الليلة.

الجو خانق معبأ بالرطوبة المصاحبة لأتربة المزارع وقد احتشد العرق على جبينها وجسدها وهي تجد في السير لمقابلة ذلك الشيطان الهزاع، وكانت كلما سألت عن مكانه قوبلت بالاشمئزاز والتجاهل؛ حيث إن أهل المنطقة يعرفون أن نوعية الزبائن لها أهداف قذرة توازي في قذارتها قذارة الرجل نفسه، إلى أن وصلت إلى عرينه القائم بين زراعات البرسيم في المنطقة وعرفت بابه، طرقت الباب المعدني المتهالك لتفتح لها امرأة يائسة كليلة البصر تتحسس طريقها أكثر من رؤيته ولا تقل تعاسة عنها وسألتها ماذا تريد؟

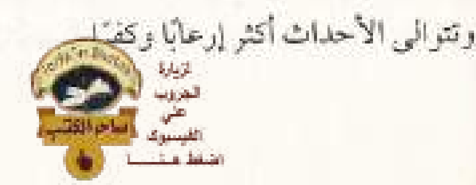
أريد مقابلة الشيخ يوسف؟

تنظر لها المرأة مضيقة حدقتها الضعيفة لتحاول أن تراها بالرغم من ظلام الزراعات وتتركها لأكثر من نصف ساعة على الباب منتظرة ثم تفتح لها الباب وتدخلها لتجد كنديار نفسها في حوش مليء بالقاذورات وروث البهائم وتأمرها أن تجلس في انتظار خروج الرجل من خلوته، إنه خرابة بلا شك ولكنها خرابة لها سكان فكل شيء يدل على تلك القذارة المرتبطة بقضاء حاجة الإنسان في نفس مكان نومه ومعيشته.

أكوام من الأسباخ وأرض زلقة يعلوها بخار خانق بفعل الرطوبة وأزيز ذباب من النوع البري يتقافز مع الناموس في سباق اللدغ الحار على جلود الزائرين، تشعر كنديار بأنها مقدمة على فعل شنيع ويعلوها تردد ما ثم تستعيد حقدها كوقود يدفعها إلى فوهة القرن المستعر.

وتتوالى الأحداث أكثر إرعابًا وكفرًا





تنتظر طويلاً وقد أكلها القلق والذباب ثم تخرج امرأة أخرى تتشح بالسواد وقد بان عليها الإرهاق والتشتت وكأنها خارجة من معركة في الأوحال مع حيوان هائج، وانتحت جانبًا لتنظف ما علق بها من قاذورات لتأتي المرأة الأولى كليلة البصر وقد عرفت أن اسمها- زوبة- قائلة إن الرجل في انتظارها لتقوم كنديار متوترة لتدخل إلى حظيرة الشيخ يوسف الهزاع.

المكان فسيح مملوء بالقاذورات والأوساخ وكأنه حظيرة خنازير بينما تتصاعد رائحة عطنة من الموجودات لها فعل حامضي يذكرك بتلك الرائحة النشادرية في دورات المياه العامة، تلمح في ركن الحظيرة رجلاً طويلاً عريضًا تدلت ذقنه لصدره بينما امتلأ وجهه بالشعر الأشعث الملبد بالتراب وقد لمعت عيونه بنظرة حيوانية يلبس ما يشبه المعطف البالي أسفله جلباب على اللحم وقد طالت أظفاره في يده وقدميه بطريقة خبيثة شريرة وقد تعلف الرجل بالقاذورات بطريقة آية في الإبداع، فالرجل لوحة غير عادية تمثل ما قد يتغلب به الإنسان على أقذر الحيوانات.

يقترب منها ويتفحص جسدها المديد ويبتسم في رضا معبرًا عن قبوله المرأة ويسألها عن غرضها، لتجيب المرأة بتوتر وخوف وتفضي له بمكنون صدرها العامر بالحقد والغليان على أسرة ناهد، يضحك الرجل بسرور ويسألها سؤالاً مباغتًا:

- إنتي حايضة يا مره؟

تجيبه كنديار بذهول وخوف بأن لا.





يقطب الرجل وجهه المغطى بالأقذار ويطلب منها العودة في ثاني أيام حيضها وأن تأتي بحولية – أنثى الخروف – وجوال من السكر في زيارتها ويطردها بمنتهى الإذلال، لتخرج كنديار من عنده تائهة ترتعش ذلاً وتقرر بينها وبين نفسها ألا تعود مرة أخرى.

وترجع لدارها لتجد أن خميس قد بلغ به من الحزن درجة كبيرة وبالغ في تعاطي المخدرات لدرجة أفقدته الوعي أمام الدار وقد تجمع الجيران حوله فيما يشبه الفضيحة ليتأجج حقدها من جديد وتنتظر حادثها الشهري وقد عزمت على تنفيذ الانتقام مهما كان الثمن.

....

اليوم هو الثاني من حيضها وقد توجهت للسوق لتقتني حولية ضخمة ثم تعرج على البقال لتشتري جوالاً من السكر وتحمل كل هذا على عربة وتيمم وجهها شطر الكفر والسحر، تدخل على الحظيرة ومعها قربانها لتقدمه طائعة ذليلة لهذا الشيطان الرجيم.

يقبل عليها الرجل وقد فاحت من بطانته رائحة البول تنظر له كنديار برعب عاتي ليهجم عليها الرجل ويشلح ثوبها لأعلى بطريقة وحشية كاشفًا عن فخذيها ولباسها الداخلي لتشهق كنديار بذهول ويمد أصابعه القذرة ليمزق سروالها الداخلي وقد تجمع الريم حول وجهه بشكل آية في البشاعة والحيوانية ويلقيها أرضًا بكل عنف وقد وضع يده على رقبتها ويرتمي فوقها معاشرًا إياها بكل عنف وجبروت وهي تصرخ متقززة بينما الرجل يكمل ويرغي ويزبد بألفاظ قبيحة غير مفهومة وقد بلغ من الحماس والهياج درجة قاتلة واستمرت المعاشرة





لدقائق تحطمت فيها كنديار تمامًا وأحست بانسحاق عظيم وقد سمرها الرجل في الأرض الرطبة الموحلة بوتده المتصب وفحولته الحيوانية.

تصرخ وتصرخ إلى أن ينتهي منها الرجل ويقوم من فوقها بينما هي تبكي بحرقة ومذلة ليجرها من ساقها اليسرى إلى ركن الحظيرة ويجبرها على فتح ساقيها تمامًا ويقوم بطقوس العمل السفلي مستعينًا بسوائلهما المختلطة وقد استمرت التمتمة الخافتة بتعاويذه الشيطانية بينما كنديار تنتفض وقد وقفت المرأة كليلة البصر مختبئة غير بعيدة عنهما تصيخ السمع وتحاول النظر وقد ارتعدت واحتقنت تمامًا بالرفض والغضب، ليكتب الرجل على قطعة مدبوغة من الجلد بواسطة تلك السوائل ويقوم بلصق الصورة والشعر على سطح قطعة الجلد ثم يأتي بزجاجة صغيرة ويقطر بعضًا من هذه السوائل في الزجاجة ويغلقها.

وكنديار التعسة منطرحة أمامه على الأرض لا حول ولا قوة لها ويستمر هو في التمتمة الخافتة إلى أن ينتهي تمامًا ويلقي للمرأة بقطعة الجلد الملفوفة ويعطيها الزجاجة قائلاً بأمر:

- شوفي يا مره العمل ده تحشريه في أي مكان في بيتهم واللي في الإزازة تخلطيه بأي حاجة تاكلها البت من إيديكي.

تنظر له كنديار محاولة التركيز في تعليماته الجهنمية، ثم يبصق الرجل على وجهها بعد أن أعطاها العمل قائلاً:

- ولما أعوزك هجيبك أصل وراكك عجبتني يا مره.

يالا غوري.

تخرج المرأة مكدودة منهارة وقابضة بأصابعها على صك كفرها الأكيد فقد باعت شرفها ودينها طواعية لهذا الكافر القذر، وتولد عندها



شعور بالقهر والذل لن يشفيه سوى أن ترى ناهد وقد تحطمت تمامًا لقاء هذا الثمن الأسطوري الذي دفعته قهرًا على أرض الحظيرة الطينية إرضاءً للساحر القذر.

■■■

ترجع كنديار إلى بيتها منهارة شبه ميتة من هول ما حدث لها مع الهزاع اللعين وقد كرهت الحياة نفسها ولم تعد تطيق رؤية زوجها سيده واستبد بها الحقد كلما تذكرت ما فعله بها الرجل بكل وحشية وتمر عليها أيام قبل أن تبتلع الحدث القبيح وكما يصبح المجرم أكثر إجرامًا بعد الجريمة تنهض لتكمل مسيرة الانتقام وتقوم بطبخ صنف تعرف أن ناهد تحبه كثيرًا وتعرف أنها لن ترفضه أبدًا.

.....

إنه الممبار (أكلة شعبية مصرية شهيرة) تقوم المرأة بخلط تلك السوائل الخبيثة بخلطة الممبار، تحشو الخليط داخل المصران وتتبله جيدًا وتقليه في الزيت وتزينه بعروق البقدونس وقد فاحت رائحته المثيرة ووضعته بطبق وقامت بلف الطبق بالورق حتى لا يبرد ودست العمل السفلي في صدرها وتوجهت قاصدة بيت أم ناهد لتجد ناهد تقوم بعملها اليومي في براءة وعذوبة وجمال فالبنت حقيقة تجسيدًا للأنوثة الشعبية المحببة، وقد استدار جسدها وتهدلت خصلات شعرها بينما تقوم بغسل الملابس في طشت كبير وقد فتحت ما بين ساقيها وجلست لتغسل بينما الراديو يذيع أغنية لشادية وهي تردد وراءها بكل عذوبة ودلال:





-قولـوا لعيـن الشمس ما تحماشي لحسـن حبيب القلـب صابح ماشي.

وما إن تراها ناهد تتراقص بعذوبة وأنوثة طاغية وقد نظرت في دلال لصديقة أمها وقد ابتسمت شفتاها بكل رقة، وتتراقص أمامها وهي ما زالت جالسة لتحرك شفتيها مع صوت شادية الأصيل:

دي الاه بقولها وهو ما يدراشي وفي بعده طعم الدنيا ما يحلاشي.

تتراقص ناهد بعذوبة وهي جالسة وناظرة بدلال عميق لكنديار، فقد كانـت تحبها وتفضل الحديث الطويل معها عن أمها لما تمتاز المرأة بـه من تحرر في الكلام عن أمها المتحفظة الوقورة الموظفة بالتربية والتعليم، يا لها من جميلة تلك السيقان البيضاء المشوبة بالحمرة بينما تعبث يديهـا البضتين برغوة الصابون في حين أن الغسالة الكهربائية مركونة جانبًا لا تعمل وقد دخلت البنت في كوميديا ذات دلال رائع.

تقوم ناهد ببطء لتواصل رقصها اللين الرائع مع نبضات الأغنية:

يا حمام يا حمام طير قابله أوام يا حمام خليله يا حمام الشمس حرير يا حمام.

كانت ناهد ترقص بطريقة فيها استعراض لكل كنوزها الدفينة أمام التعسة كنديار، ترقص بكل دلال وتدور حول المرآة كما لو كانت تودع أيـام البراءة وتستقبل أيام التعاسة بكل رضـا، تنظر لهـا كنديار طويلاً وقد امتلأت بكل المشـاعر المتضاربة وتقترب منها لاثمة خدها وكأنها تودعهـا للأبد وتدمع عيناها وتجمعت دموعها في زاويـة عيني كنديار السـوداء الحزينة، وقد ارتسمت فيهمـا نظرة المحكوم عليه بالإعدام

بينما تدور ناهد حولها راقصة ببطء وأنوثة مبكرة وتتجه للراديو لتخفض صوته لتمدح فيها كنديار وتثني عليها وعلى جمالها وتدعو لها بأطايب الدعاء والتمني لها بالسعادة بينما ناهد تبتسم في خجل رائع لتفتح كنديار لفة طبق الممبار أمامها وتقول لها إنها طبخته مخصوص لها هي وحدها، تسعد ناهد جدًا وتمتلئ خياشيمها برائحته المميزة الشهية وتأخذ يدها التي يعلوها طبقة من الرغوة أصبعًا غليظًا منه وتقضمه من فوره وهي تنظر لكنديار بسرور بينما تنظر لها كنديار نظرة تسليم بمقادير لن تعرف عقباها أبدًا فقد كانت تعشق الممبار خصوصًا من يد تلك المرأة لأنها تطبخه مشطشطًا محملاً بكل التوابل التي تعشقها ناهد، وبينما ناهد تأكل في سعادة ونهم تستأذنها المرأة في دخول المطبخ لعمل فنجان قهوة فتعترض ناهد قائلة أنها من سوف تحضره لها فتبتسم لها كنديار ابتسامة واسعة داعية من الله أن يحميها وتقول لها كنديار أن تنتهي أولاً من الطعام وتستأنف الغسيل وهي سوف تحضر قهوتها بنفسها لأنها ليست غريبة عن الدار.

رجعت ناهد لالتهام الممبار الشهي والمحشو بالأرز واللعنة النجسة بينما تسربت كنديار من باب المطبخ الخلفي داخلة لمنور المنزل في عجالة وبحثت بعينيها في أرجاء المكان الضيق ليقع اختيارها على الحائط خلف ماسورة الصرف الرئيسية وقد وجدت شرخًا بفعل أعمال التركيب والحفر يتسع لحشر العمل فيه، ونظرت حولها لتجد بعضًا من شكائر الجبس والأسمنت مفتوحة بفعل بناء الدور الثاني والمخصص لناهد وعريسها، خرجت لناهد مسرعة لتجدها انتهت من طعامها اللذيذ ورجعت لأعمال الغسيل والشطف وبعد قليل قامت ناهد لنشر





الغسيل فوق سطح المنزل فلم يكن المنزل مرتفعًا كما وجدته بل كان يتكون من دورين فقط وتركتها بمفردها في الشقة السفلى.

أسرعت كنديار وأمسكت بحفنة من الأسمنت وخلطتها بالماء حتى صار عجينة ثم سارعت بحشر العمل بعد لفه بكيس نايلون في شق الجدار وأتقنت حشره إلى أن دخل تمامًا واختفى في عمق الشق وسارعت لتغطيته بعجينة الأسمنت ليختفي العمل في أعماق الجدار للأبد...

■■■

محجـــوب

تعود محجوب أن يجلس أمام دكانه وقت العصاري يشرب الشاي بالنعناع والشيشة بقامته النحيلة نسبيًا ووجهه الأبيض وعيونه البنية الغامقة ورائحته الفواحة بعطره المميز وملبسه المهندم حين أتت امرأة غريبة لها مظهر البؤساء كليلة البصر نظر لها محجوب وقد ظنها تتسول وسارع بإخراج قروش ليعطيها بينما ألقت المرأة عليه قنبلة.

قالت له المرأة (وهي زوبة نفس المرأة كليلة البصر التي فتحت لكنديار الباب عند الشيخ هزاع) إن ثمة من عمل عملاً سفليًا لابنته فلم يصدقها فلما قالت له مواصفات ابنته واسمها أصابه الذعر وقام من فوره ليمسك بتلابيب المرأة التي خلصت نفسها منه قائلة إنه لا بد وأن يبطل هذا العمل بتحصين لابنته وأن من يملك هذا التحصين هو الشيخ يوسف الهزاع.



يستحوذ القلق على الرجل تمامًا ويذهب من فوره ليقابل الشيخ هزاع الذي يساومه على دفع مبلغ شهري له ليحفظ ابنته من فعل هذا العمل الشرير، وعندما ألح محجوب على الرجل في ذكر اسم من ساقه لعمل هذا السحر رفض الشيخ هزاع لأنه خشي بأن تشي المرأة بمكان العمل ويتم إبطاله من قبل آخرين ويفقد هو الصفقة نفسها وبهذا تنعدم أهميته في ابتزاز الرجل وطالبه بمبلغ شهري لقاء تحصين البنت من فعل العمل وتحت الضغط الأبوي وخوفه الشديد على ابنته العروس فوافق الرجل على دفع مبلغ خمسة جنيهات شهريًّا للرجل وبالفعل تم إبطال أو تأجيل فعل العمل شهريًّا بواسطة الساحر الفاعل نفسه، وفي مرة من المرات تكاسل محجوب عن الدفع ليجد ابنته في حالة إعياء وهذيان غير معروف سببها وأدرك أن هزاع يعطيه درسًا في الطاعة فسارع لاستئناف الدفع الشهري والذي استمر قرابة خمس عشرة سنة انتظم فيها محجوب على الدفع لهذا الرجل المبتز وهو يخفي سره عن أقرب الناس له.

وكان يذهب بنفسه ويترك الشهرية في يد المرأة- زوبة- ويعطيها ما فيه النصيب عرفانًا منه بخدمتها وكانت تلك المرأة هي همزة الوصل بينه وبين الشيخ هزاع فهو لم يره غير مرة واحدة فقط.

......

وكانت المرأة (زوبة) تكره الشيخ هزاع بشدة وتشمئز منه ولكنها عاجزة تمامًا أمامه وتولدت بينها وبين محجوب مودة ومعروف وعندما مات محجوب انقطعت الشهرية السرية والتي تزايدت عشر مرات آخر الأمر فهاج هزاع على زوبة واتهمها بأنها أخذت النقود لحسابها، وأنها



متفقة مع محجوب وحاولت المرأة الدفاع عن نفسها ولكنها عجزت أمام هيجانه الشيطاني ليطلق هزاع العمل السفلي المدفون في الجدار نكاية في المرأة وتأديبًا لمحجوب الذي مات قبلها بشهر ولم تعرف المرأة عنه شيئًا في ذلك الحين.

أطلق هزاع لعنته بكاملها على البنت ليخرج ذلك الجن الطايور من عقاله ويشاهد ناهد لأول مرة بل ويعشقها ويستبدل مولودها بمولود شيطاني اسمه أشجان.

تعيش كنديار في تدهور متواصل والغريب أنها تابعت حياة ناهد عن كثب فلم تجد ما يعكر عليها صفو أيامها وتذهب من فورها لهزاع تسأله ليجيبها هزاع بلطمة قاسية على وجهها ويطردها شر طردة مهددًا إياها بالسحر والفضيحة لتعود كنديار محطمة يائسة من تفعيل هذا العمل وتغلق قلبها على السر وتتابع انحدار أسرتها للحضيض حتى يموت زوجها ويسجن خميس ابنها في قضية مخدرات كبرى في ذلك الوقت.

تتحطم كنديار تمامًا وتؤمن أن الله انتقم منها لفعلها الفاحش، تلملم ثوبها وترحل لبلدها تعاني الذل والانكسار للأبد وقد تملك القهر والحزن من قلبها وحولها لنسخ دميم متقبض الوجه متعفر بغبار الرزيلة والكفر للأبد.

بينما يستمر هزاع في ابتزاز محجوب بمختلف الطلبات إلى أن يموت محجوب وتنقطع الإتاوة ليتمم القدر انتقامها بعد مرور أكثر من خمس عشرة سنة.

■■■





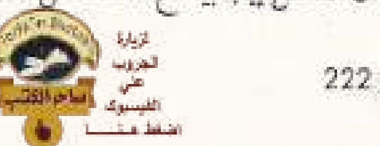
16

وأشارت للقبر المفتوح قائلة بحزم : انزلي

التهب خيالي بمجرد ما سمعت منها عن الشيخ لبيب والست مندورة وتناسيت كل ما حدث واشتعل خيالي في تصور تلك الشخصيات غير العادية فنحن لا نقابل المميزين في حياتنا اليومية ولكننا نصطدم بهم في كوارثنا خصوصًا الغامض منهم، تثاءبت السيدة معلنة أنها مرهقة ولسوف تدخل غرفتها لتنام فوافقتها على مضض خصوصًا أن فضولي كان وصل لدرجة كبيرة طيرت كل رغبة لي في النوم ولكني طبعًا مجبر على احترام رغبتها في استئناف الحديث لاحقا.

دخلت غرفة الضيوف المطلة على الشارع بنافذة كبيرة مغلقة لأننا كنا في عز الشتاء والبرودة وسحبت الغطاء على جسدي وسرحت بخيالي في كلام رأفت عني، هل بالفعل أنني ملموس كما يدعي الرجل؟ ولكنني لا أشعر بشيء غير الخوف، وسخرت بيني وبين نفسي من الرجل لأنني بتفكيري وقتها أدركت لو أنني ملموس فلابد أن أكون مخيفًا لا خائفًا وتصورت نفسي وقد استعبدت الجن والعفاريت لحسابي آمره فيطيعني وينفذ لي أصعب الأوامر وضحكت بجزل وأنا غارق في تلك التصورات التي صورها لي عقلي المحدود في ذلك الوقت.

ورجعت وقلت لنفسي إن ناهد نفسها كانت ملموسة أو ممسوسة ولكنها عانت وتعبت واحترقت بعد كل هذا ثم رجع عقلي المحدود يقول لي إنها كانت لا تعرف أما أنا فعرفت ولو كان هذا حقيقيًا فلا بد أن أتفاعل إيجابيًا مع هذا المس المزعوم.



وكنت شابًا فائرًا في مقتبل العمر أحلم بأشياء كثيرة أرغب بشدة في تحقيقها، وغرقت في تصوراتي سعيدًا بما وصل له عقلي من هذا التحليل نعم نعم لا بد أن أعرف أكثر عن طرق استحضار الجن والعفاريت لأسيطر وآمر فأطاع، انبسطت أساريري لهذا التصور وأنا متخيل نفسي أمارس خوارق الأمور وأحصد الإعجاب والاحتياج من الناس والغريب أن نزعتي الدينية لم تعد تؤرقني بل لم ألتفت لكون هذا حلالاً أو حرامًا كل ما يحتل تفكيري هو الاستحواذ على هذه الفكرة لأمارس سلطاني وقوتي وأنتقم من كل ما يؤذيني أو يتعرض لي بأي سوء.

سوف أنتقم من ذلك الرجل الذي ينافسني بشراسة في تجارتي وذلك الرجل الذي تكلم عني بالسوء أمام الناس ولسوف أجعل تلك البنت دينا التي أحببتها أيام دراستي الجامعية تعود وتركع وتطلب مني الزواج وأنا أرفضها كما رفضتني لأن مستواها أعلى من مستواي ولسوف أنتقم من أخيها وأبيها اللذين تعاملا معي بمنتهى الازدراء نعم لسوف أفعل كل ذلك بمجرد ما أتحكم في ذلك الجن الذي لمسني أو مسني.

غرقت تمامًا في الفكرة واستعبدني بجنون وطار النوم من عيني وانتبهت كما لو وقعت على كنز لا يعرف بمكانه أحد غيري.

واستمرت تلك الخواطر المليئة بدوافع الامتلاك والانتقام حوالي ساعتين وغلبني النعاس أخيرًا ونامت عيوني بينما عقلي يحسب امتيازاتي من جراء ذلك الاستحواذ إلى أن نام عقلي أيضًا من الإجهاد وفي حوالي الساعة الثالثة صباحًا عرفت بكل وضوح أن كلام الأستاذ رأفت عني صحيح بدرجة لا تصدق........

■■■





فقد فتحت عيني فجأة لأجد شباك الغرفة مفتوحًا على مصراعيه وانزلق غطائي ووقع بعيدًا عني لأجد نفسي عاريًا أحملق في عيون تحملق بدورها فيّ بتركيز لكائن شبيه بالقرد عملاق يجلس القرفصاء على إفريز الشباك، ووجدتني مشلولاً تمامًا لا أفعل شيئًا سوى النظر في تلك العيون الجهنمية ومن ورائه تهب ريح هي الصقيع نفسه بينما أنا عارٍ أمارس ارتجافًا عالي التردد وينسال من جبيني عرق بارد له فعل الجليد على وجهي وطفرت عيني بدموع لاسعة.

كان ذلك الشيء يلبس جلبابًا أسود مشمرًا أكمامه وكاشفًا عن ساعدين مشعرين طويلين نسبيًا بالنسبة لجسده وقد لم أطراف جلبابه حاسرًا عن ساقين مقوستين مشعرتين وقد ثناهما في وضع القرفصاء بينما تدلت ذراعه اليسرى لتداعب شعر رأسي الناعم بأنامله القبيحة وأظفاره الطويلة القذرة والغريب أن له ثديين كبيران كما للنساء تتدليان من فتحة جلبابه الأسود، ووجه خالٍ تمامًا من الشعر تمنيت الجنون أو الموت، فحضور ذلك الكائن أشبه بصفعة من عدوك أمام الناس بينما أنت مقيد بالحبال ذليل لا تملك حتى حق الاعتراض.

انزلق الكائن من موقعه لينزل لأرض الغرفة ويقف عملاقًا أمام ناظري يبتسم في انتصار وقد عرفت وقتها أنه امتلكني تمامًا، فزعت حتى الموت وقد استعدت نفس الشعور المقيت وأنا في مواجهة القدم المحترقة، نفس الجفاف والمرارة نفس الرجفة طويلة الموجة ومستمرة التردد وكان انعكاسي الشرطي يأبى إلا أن يتبع نفس البروتوكول مع موجة عارمة من العرق المثلج إجمالاً لرد الفعل بوجود ذلك الكائن المبدع وقد تجلى لعيني كقطعة نادرة من فن الرعب نفسه وكان لوجوده حضور مهتز يجعل ذبذبات الغرفة نفسها أبطأ من



المعتاد، يظل ذلك الكائن على مقربة من سريري الصغير وقد أخذ ينظر لشيء خلف رأسي بتركيز وتحركت عيناي لأرى إلى ماذا ينظر ضيفي الرهيب لأجد طفلة في السادسة تقريبًا من عمرها شعرها ناعم أسود، هذا ما رأيته وقتها فقد كنت لا أستطيع أن أدير عنقي، وقد وقف ضيفي المهول نافشًا شعر جسمه بخوف من تلك الفتاة الصغيرة وبزاوية عيني أيضًا شعرت بأن الفتاة تقترب في اتجاه الكائن وتقترب أكثر فأكثر منه بينما يتراجع العملاق بانزعاج شديد جدًّا إلى أن يتلاشى تمامًا في فراغ الغرفة لتستدير الطفلة وعلى ثغرها الرقيق ارتسمت ابتسامة أضاعت ملاحظتي بأنها مشعرة الوجه مشقوقة الشفتين بل رأيتها مسكينة رائعة جديرة باهتمامي المطلق، ولكونها أيضًا مخلصتي من مصيري مع ذلك المسخ المخيف بادلتها ابتسامة بابتسامة مرتبكة فقد كنت لا زلت مرتجف الأوصال شبه مشلول.

ولكن تلك البنت رائعة تستحق الاهتمام بل والصداقة أيضًا.

ألا ترون ذلك معي؟ أم أنني أهذي؟

أفقت في يومي التالي على وجه السيدة الطيبة المستبشر وقد أعدت فطورًا رائعًا وتفرغت لسرد باقي القصة المروعة والتي استحوذت على فضولي لأقصى درجة خصوصًا وأنها بدأت تأخذ منحنى أخطر وقد دخل بين سطورها شخصيات غير عادية أبدًا.

حان الآن موعد الست مندورة في بيت أم ناهد

وقد أعدت أم ناهد عدتها لاستقبال السيدة الخطرة وقد انفعلت داخليًا تمامًا وهيأت الجو لدخول تلك المرأة المتخشبة في بيتها وفي الموعد تمامًا على الساعة التاسعة مساءً حضرت المرأة وقد ارتدت



السواد كما هو معروف عنها واصطحبت معها صبياً لا يتجاوز العاشرة، نحيل جداً شاحب اللون بادي الضمور وإن لمعت عيناه بقوة، يرتدي ملابس أشبه بالزي المدرسي واستغربت أم ناهد من صحبة الطفل معها ولكنها لم تسأل واعتبرته أحد أحفادها وقررت أن تتركه مع أحفادها ليلعب معهم ولكن مندورة تمسكت بالصبي كأنه عهدة يجب الحفاظ عليها وزاد استغراب أم ناهد من كون الصبي صامتاً مثل الست مندورة لا يتحرك ولا يتكلم بل يجلس صامتاً بجوار المرأة الرهيبة، وجلست أم ناهد مرحبة ومرتبكة لا تعرف ماذا تفعل بينما قامت مندورة وتشممت جو المنزل بعمق وصمتت واكتفت بفنجان القهوة السادة بينما لم يمد الطفل يده إلى أي شيء، وعندما حاولت أم ناهد أن تعرض عليه بعض الحلوى أو الطعام نظر أولاً لمندورة التي قالت إنه لا داعي لأن يأكل شيئاً في الوقت الحالي واشتد استغراب أم ناهد من قسوة وحزم الست مندورة ولكنها اكتفت بعدم التعليق.

بعد قليل طلبت مندورة طبلية أو منضدة منخفضة وطلبت غرفة منفردة لتجلس على الأرض وأسرعت أم ناهد في جلب الطبلية وفرشتها على أرض غرفة الضيوف وأحضرت الشلت اللازمة للجلوس لها وللست مندورة ولكن مندورة طلبت شلتة إضافية للولد، نظرت لها أم ناهد باستغراب شديد وقالت:

-هو الولد هيقعد معانا يا ست مندورة؟

نظرت لها مندورة نظرة صفراء فاقع لونها وأجابت بإشاحة وجهها ناحية الولد فالتزمت أم ناهد الصمت ونفذت الطلب.




دخل ثلاثتهم لغرفة الضيوف وأغلق الباب بإحكام وجلس ثلاثتهم على الأرض حول الطبلية، وكانت مندورة ممسكة بفنجان فارغ وضعته على الطبلية بينما أشعلت أم ناهد بعض الفحم على حسب طلب مندورة، وجلبت وعاء الفحم المشتعل وجلست صامتة.

الغريب أن الولد يجلس صامتًا مطيعًا على عكس الصبية في سنه ولا ينظر إلى أي اتجاه سوى ربيبته مندورة فقط.

تفتح مندورة حقيبة يدها لتخرج زجاجتين إحداهما بها حبر والأخرى بها زيت، وصبت في الفنجان الحبر ووضعت فوقه قطرات من الزيت، ثم قربت الولد منها- اسمه يحيى- ثم غمست ريشة هدهد في زجاجة الحبر وكتبت على جبين الولد بعض الجمل والرسومات غير المفهومة وانطلقت تتمتم بتعاويذ مبهمة بصوت خافت يعلو ويعلو.

الولد يجلس الآن ناظرًا إلى فنجان الحبر والزيت، ينظر بتركيز، تواصل مندورة التمتمة بصوت أعلى ليرتعش الولد قليلاً وينظر لها هي، تقترب منه بتركيز وتواصل التمتمة لتفاجأ أم ناهد بأن جفني الولد ينقلبان ويحل بياض عينيه اللامعتين مكان سواديهما، يمد عنقه لأعلى في منظر في غاية الرعب لتصيح به مندورة بقوة، أقسمت عليك يا ناصور يا ساكن الخرائب والقبور أن ترفق بولد من بني الإنس وتقبل شفاعته.

يشهق الولد بعمق ويصدر شخيرًا مرعبًا جدا!!!!!!!!!!!!!!!!!

خخخخخخخخخخخخخخخخ ها!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

انتفضت أم ناهد من هول المنظر فالولد صغير ما كان ليحتمل اتصالاً بالجن مثل الذي يحدث ونظرت لمندورة في قلق بالغ بينما



مندورة تركز مع الولد تركيزًا أشبه بالجراح في العمليات الدقيقة وتردد القسم مرات ومرات، حتى يهدأ الولد تمامًا وترتخي عضلات وجهه وإن بقي بياض عينيه كما هو، وركز نظراته على أم ناهد التي انتفضت من مكانها مذعورة لتمسكها مندورة من فخذها وتنظر لها نظرة محذرة ثم تمسك برأس الولد وتوجه عينيه إلى حيث الفنجان وتتلو بعض التعاويذ ليركز الولد في الفنجان طويلاً.

ثم تسأله: شايف إيه يا ناصور.

الولد: لم يحر جوابًا لتسأله مندورة مجددًا:

-شايف إيه يا ناصور؟

تتحرك شفتا الولد يحيى بصوت خافت جدًّا كالوشوشة، تقترب منه مندورة لتسمع حفيف شفاه لتقول:

العمل موجود هنا في البيت مدفون في جدار مسقط النور، جنب ماسورة المجاري، ناهد أكلت النجاسة مع المسار، العمل اشتغل من خمس سنين.

ألقت مندورة بذرات من البخور إلى مجمرة الفحم ومدت يدها ومسحت الكتابة من جبين الصبي وتمتمت ببعض الكلمات ليفيق الولد من غيبوبة الجن، ولكن الولد لا يفيق بل يستمر في اتصاله بالجن، يظهر على مندورة القلق وتحاول مجددًا إفاقة الولد ولكن لا مجيب، الولد غارق تمامًا في مستنقع الجن بل ويزداد غرقًا مع الوقت ولأول مرة بان القلق على وجه مندورة القاسي.

....





في نفس الوقت كانت ناهد راقدة في غرفتها المغلقة شبه نائمة وهائمة في عوالم الجنون منعزلة كعادتها

وكعادة من يعيش معها وأقر بوجوده الشيخ لبيب، يأتيها كرجل طويل الساق في أحلامها يعاشرها كعاشق حقيقي ويخدمها عاطفيًا لدرجة العبادة نفسها، كانت لا تشعر بوجوده المتجسد ولكنها تشعر به يسري في دمائها كما يسري النسيم، يفرد عليها قيودًا في التعامل مع الآخرين بطريقة جهنمية، فالكل أعداء مبتذلون مدعون كاذبون في نظرها.

لا تطيق الاختلاط بفعل وسوسته لها دائمًا بأن الجميع لا يستحق، هي فقط وهو فقط وتلك العلاقة المشوبة بالحب والجنون، معالم الغرفة تختفي ببطء لتجد ناهد نفسها في مكان مألوف لكنها مشوشة الفكر.

مكان مستطيل في آخره باب ضيق وقد تراصت قوالب الطوب بينما يفتح الباب ببطء لتخرج منه أشجان في صورة رائعة وقد ذهب تشوهها تمامًا وحل محله جمال رائع لبنت في السادسة تلبس ملابس العيد وتمسك في يدها دمية جميلة تشير بيدها لناهد التي خفق قلبها للتغيير الرائع الذي حل بالبنت، وشعرت بسعادة غامرة إذ ترى ابنتها وقد أصبحت كما تمناها دائمًا، بينما شعر البنت ينسدل على جبينها، في شقاوة ومرح تقترب منها وتحضنها وتقبلها بشوق وحنان بينما تنزلق البنت بشقاوة وقد علت ضحكتها بطفولة رائعة تنظر حولها ناهد لتتأكد من المكان الذي هو منور العمارة الذي تعرفه جيدًا فقد كان مرتعًا للدجاج فيما قبل فتفرح أكثر وتنظر حولها متوقعة حضور الأب لتكتمل لوحة سعادتها تمامًا.



ثم تتصاعد رائحة غريبة في المكان نعم نعم هي رائحة شياط أو نار تجري من فورها لتفتح الباب الضيق لتندفع ألسنة اللهب من الباب لتحل الصدمة محل الفرحة الغامرة وتجري ناهد وهي تحتضن أشجان لتخرج من المكان لتجد أن الباب هو الباب الوحيد، يصيبها الذعر وتصرخ بقوة بينما ألسنة اللهب تندفع لتأكل قوالب الطوب وكأنها مصنوعة من الورق الجاف، تحاول ناهد أن تلتصق بالحائط المواجه للباب ولكنها تجده ساخنًا جدًّا.

تنظر مرة أخرى ناحية باب المخزن الضيق لتجد رجلاً نحيفًا كريه الشكل وبصحبته سيدة متصلبة يحاولان أخذ أشجان الطفلة منها، تصرخ فيهما بينما تنقض المرأة عليها لتكبلها ويجذب الرجل أشجان بقسوة، تصرخ ناهد وتحاول مقاومة المرأة المتصلبة بينما يحمل الرجل أشجان التي تتلوى بين ذراعه النحيلة ثم يقذفها بكل عنف وقسوة في النار المتأججة عبر باب المطبخ الضيق والذي بدا وكأنه فتحة فرن، تصرخ ناهد بعنف وقد كبلتها السيدة المتصلبة:

لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

هكذا تصحو ناهد من نومها على صرختها هي نفسها وقد تفصد جبينها بعرق غزير، وصدرها يعلو ويهبط بجنون، يفتح جابر الباب عليها منزعجًا لتقفز هي من فراشها تبحث عن النيران ولكنها لا تجدها فهي في بيتها وها هو زوجها ينظر لها بخوف، وإن تصنّع بعض التماسك، تنظر له بكل مقت الدنيا بينما وقبل أن تكيل له العداوة والغضب تتسرب رائحة بخور الست مندورة إلى أنفها من الدور الأول، حيث الأم تقفز كالنمر الجريح مجتازة زوجها ومتجهة لباب

الشقة تفتحه وتنزل السلالم وقد امتلأ قلبها بالحقد الجنوني، لتقف فجأة أمام باب شقة أمها المفتوح دائمًا تصمت وقد تحجرت نظرتها ومدت أنفها تتشمم ذلك البخور المتصاعد والآتي من غرفة الضيوف حيث تجلس أمها مع الست مندورة وذلك الصبي الغريب.

■■■

تواصل الست مندورة إفاقة الولد وتحاول أن تتماسك ولكن الولد يحرك رأسه يمينًا ويسارًا رافضًا الإفاقة تمامًا، بينما تحاول مندورة مجددًا ولكن بلا جدوى فالطفل [illegible] الشياطين رافضًا العودة، وقد تصلبت رقبته وامتدت يده للأمام وكأنه يحاول أن يمسك شيئًا ما أو أحدًا ما وقد جز على أسنانه وتشنج وجهه محدثًا [illegible] رهيبًا وكأن أحدًا ينزع بلعومه.

إيـــــــــــــــي قامت مندورة لتلقي بالولد على ظهره بقسوة بالغة وجثمت على صدره صارخة [illegible] في وجهه ولكن الولد يزداد في القوة والتصلب ويدفع مندورة عنه بكل ما أوتي من قوة لتتجمد أم ناهد رعبًا وجهلاً بما سيحدث، وقد أيقنت أن كارثة في الطريق إلى بيتها، قوامها موت الصبي وانفجار الموقف، نظرت بذعر لمندورة التي لا تنظر لها وتحاول مجددًا إفاقة الولد، يدفع الولد مندورة فجأة عن صدره ويقوم ليقف وينظر للباب المغلق بتركيز شديد.

تتركه مندورة لتشاهد ما يفعله الصبي الصغير بينما الولد مازال يقف كالصنم تجاه باب الغرفة وقد تحفز تمامًا وتصلب في عصبية حيوانية.

■■■





في الوقت نفسه دخلت ناهد شقة أمها لتقف أمام باب غرفة الضيوف وقد بان عليها غضب عاتي وما أن اقتربت من الباب حتى لانت ملامحها جدًا وحلت محلها نظرة رعب لم تظهر عليها قبل ذلك، ووقفت تهتز أمام الباب وتزوم بطريقة حائرة وقد أخذت تقفز في مكانها بطريقة صامتة لينزل جابر وراءها بهدوووووء ويختلس النظر لها من على درجات سلم العمارة.

بينما ناهد تمزق شعرها وتلطم بشكل هيستيري أمام باب غرفة الضيوف والغريب أنها صامتة تمامًا إلى أن وقع بصرها على جابر فتنظر له بتركيز وصمت وتمشي متوجهة له ليطلق ساقه ويجري صاعدًا للشقة بينما ناهد تصعد وراءه وكأنها نمر يمشي بخفة ليظفر بغزال ثمين.

في الوقت الذي انهارت فيه مقاومة الولد فجأة ويسقط أرضًا بين يدي مندورة التي تستمر في التمتمة ومسح الكتابات عن وجهه وقد غرقت أم ناهد في بحر من الحيرة والفزع على حالة الولد تنظر لها مندورة بارتياح بأن كل شيء على ما يرام، وتأمرها ببعض الماء والملح وقد استفاق الولد تمامًا وقام فأخذته مندورة وأطلقته ليلعب في الشارع مع أبناء الجيران وتخبرها بأن تنادي رجلين أشداء من رجال العائلة، اختفى الدم من وجه أم ناهد وقد شعرت أن الأحداث تتلاحق بسرعة غير عادية، تخرج في حوش العمارة وتنادي على جابر أولاً ولكنه لا يجيب فتظن أنه نائم وتذهب لتتصل به من هاتف شقتها لهاتف شقة ناهد نفسها.

■■■





رن جرس الهاتف المزعج في شقة ناهد بينما جابر يقف مرتبكًا أمام ناهد التي تنظر له بتركيز مسعور وقد ملأ السواد عينيها وظللها بقتامة العالم السفلي نفسه، ما زال الجرس يدوي في الشقة يتظاهر جابر بأنه سيرد ويمد يده وقبل أن يرفع السماعة تضع ناهد يدها على يده وهي تزوووووووم بصوت خفيض صوت متحشرج مريع.

احتشد العرق البارد على جبين جابر وقد ارتعدت فرائصه وهو يتصور ما قد تفعله ناهد به وهما وحدهما بالشقة، وحاول أن يهدئ من روعها بكلمات التهدئة، وناهد تنظر له بتحفز عدواني يسكت الجرس وتبعد ناهد يدها عن يده الضاغطة على الهاتف ليبتعد عنها متوجهًا لباب الشقة لتقفز ناهد عليه فجأة وتنبح عليه نباحًا مدويًا لا يقدر عليه أعتى الكلاب وقد اكتسى وجهها ويداها بالشعر، يقاوم جابر ويحاول الهروب من قبضتها فلا يفلح لتنقض ناهد عليه مرة أخرى وقد غرست أسنانها في لحم كتفه بغل وقد اندفعت الدماء غزيرة ليصرخ جابر بألم ساحق ويحاول بكل قوة أن يحرر لحمه الممزق من بين فكيها بينما هي تضغط وقد تخشبت وقد أصدرت أصواتًا مبهمة.

تسمع أم ناهد الصرخة المريعة فتترك سماعة الهاتف وتجري صاعدة على السلم ووراءها مندورة وتصل للباب وتدق بعنف بينما تسمعان صوت ناهد وهي تزمجر وجابر يصرخ مرة ويهمهم مرة أخرى، تعفر وجه أم ناهد بتراب الذعر وأدركت أن ناهد ستقتل جابر حتمًا وأخذت تنادي ناهد بيأس وقد اندفعت الدموع من عينيها وترجوها أن تترك زوجها المسكين.

■■■





تتقلب كنديار في فراشها الريفي ببلدتها بأشمون بالمنوفية وقد شاخت ملامحها وتغضن لحم وجهها ليحولها إلى رمز للتجهم وكأن شد على وجهها قالب قاس من التعكير والتجهم المقيت، وقد يبس الجسد وامتلأ بالأوجاع وأصبحت ككتلة عبوس، وقد اشتهرت بين جيرانها بشرها وشراستها فعاشت وحيدة منبوذة مع أن الناس لا تعلم بحقيقة خطيئتها العاتية.

وفي تلك الليلة لم تذق طعم النوم في سريرها ذي العواميد المعدنية، حاولت أن تنام ولكنها مؤرقة وكأن الفراش مصنوع من المسامير، تحاول مجددًا أن تنام وقد لفت إحدى ساقيها برباط شداد لتورم كبير فيها وشدت على رأسها منديلاً لتضغط به على جانبي جمجمتها لتداوي صداعًا مزمنًا في رأسها، أغمضت عينها قليلاً وتقلبت في فراشها الريفي العريض لتتصاعد لأنفها رائحة كريهة جدًا وكأنها في مراحيض لمدرسة أطفال حكومية، رائحة خبيثة تذكرها بحادث بعيييييد.

مدت يدها تتحسس الفراش لتلامس يدها سطحًا زلقًا مبتلاً مفككًا بحبيبات الروث الحيواني، ترفع يدها في الظلام لتشتمها لتصرخ وقد وجدت نفسها غارقة في بركة متعفنة من العطن والقاذورات، تحاول القيام فلا تقدر تحاول الصراخ ينغلق فمها رغمًا عنها، يسطع الضوء فجأة لتجد أن السرير فقط في الغرفة هو ما يتصاعد منه ذلك الخبث الكريه، تنظر أمامها لتلمح وجهًا مغطى تمامًا بالشعر عدا منطقة العينين والفم وقد تدلت لحية قذرة منه عالق بها كل ما تتصوره من قاذورات بينما تجري الحشرات الصغيرة متلاحقة من وإلى الذقن والوجه.

تحاول الهروب لتجد نفسها تتزحلق داخل فراشها وكأنها في بركة أو مستنقع شديد اللزوجة، يقوم الرجل ويقف بجانب السرير وهو ينظر لها بشهوة بينما يتدلى المخاط من مكان أنفه ينزع عنه جلبابه القذر ليتجلى لحم جسمه متآكلاً، يمد يده الخبيثة القذرة جدًّا ذات أظفار طويلة مكسرة محشوة بالطين الجاف إلى ملابسها ليمزقها لتتعرى المرأة أمامه تمامًا ولحمها غارق في طين المستنقع تتلوى كدودة غارقة في سواد الطين ليمد يده مرة أخرى ويخدش جلدها بمنتهى القسوة مستخدمًا أظفاره القذرة لينز الدم من جروحها وما إن تتلاقى جروحها مع السائل اللزج العائم في السرير حتى تكتوي هذه الخدوش محدثة صوت انطفاء ملتهب مع بعض الدخان الخفيف وتصرخ كنذبار الآن وصوتها يعلو من الألم بينما الهزاع يقفز فوقها ليعاشرها بمنتهى القسوة وقد سال لعابه وحشراته لتغمر وجهها الصارخ المفتوح على مصراعيه كباب مخلوع من إطاره.

■■■

يهرع مجدي نازلاً من أعلى بينما مندورة تقف أما الباب بهدوووووووووووووء وتمتم بخفوت ليصمت الصوت وراء الباب تمامًا إلا من صوت تهنهة صادرة من جابر الجريح، تأمر مندورة الرجل بأن يبتعد عن الباب تمامًا حتى لا تهجم عليه ناهد مرة أخرى، وبالفعل تراجعت ناهد عنه بمجرد ما ابتعد عن الباب وقد التوت ملامحها في بشاعة، فقد مالت شفتيها ناحية الشمال من وجهها بينما راحت رقبتها تتحرك على كتفيها بطريقة آلية، وأظلمت عيناها تمامًا وبدت وكأنها عمياء تتحسس الأشياء بأذنيها كالوطواط وقد بلغ الفزع من جابر حدًّا





خطيرًا خصوصًا أنه حبيس ممزق لحم الكتف ينزف وقد وضع يده اليمنى على لحم كتفه الأيسر وأخذ يشهق بقوة.

■■■

عااااااااااااااااااا

هكذا صرخت كنديار وهي تقوم مفزوعة من نومها بعد ذلك الحلم الجهنمي انقبض صدرها وانعقد لسانها حتى عن ذكر الله مع أنها كانت مشهورة بكثرة الدعاء للناس وكان كل كلامها دعاءً زائفًا تجيد استخدامه لتضفي على الحديث بركة وخيرًا بينما نفسها معبأة بالكراهية، لذا وجدت نفسها حتى غير قادرة على ذكر الله ذاته.

نزلت بسرعة من السرير إلى أرض الغرفة وانتفش شعر رأسها فبدت كرمز للجنون وراحت تجول بعينيها في أرجاء الغرفة، لتسمع صوتًا خافتًا يأتي من تحت السرير تقترب أكثر لتسمع صوتًا هامسًا ينادي عليها، ترفع غطاء الفراش المتدلي بعد أن تركع بجهد بسبب ساقها المتورمة تزيح القدور والحلل والأشياء التي يضعها الناس تحت الفراش لتجد ... لتجد ... لتجد ثعبانًا ضخمًا سمينًا وقد التف حول نفسه كالكعكة وتدلت رأسه الكبيرة تفح وتنادي:

- كنديااااااااااااااار

■■■

يأتي محمد الأخ الأكبر لناهد من الخارج مهرولاً إثر اتصال من الأم المسكينة ويعبر بين أجساد أطفال العائلة المذعورين والمحتشدين على السلم بينما زوجات إخوتها يبكين بشدة أعلى سلم شقتها ليجد




مندورة واقفة متصلبة وأمه جالسة متهالكة أمام الباب ومجدي يحاول إفاقتها، تنظر مندورة للرجل بقوة وتأمره أن يصمت بإشارة من يدها وتصيخ السمع وتقترب من الباب متمتمة بكلمات تحاور بها الجن ليجيب ناهد بنفس التمتمة عليها من داخل الشقة وشعرت مندورة أن هذا السحر أقوى منها، وأنها يجب أن تعود إلى معلمها (لبيب) إذ إنها كانت تمارس عنده ما يشبه بالصقل لموهبتها في مخاطبة الجن، وكان من الواضح أنه جن من فصيلة السحرة والذي يساعده عدد كبير من الخدم وأنها لا بد من تجميد الموقف حتى يتعامل لبيب مع العمل نفسه.

وأشارت أم ناهد لمحمد ومجدي بأن يتسلقا من المنور ليدخلا من شباك المطبخ المفتوح دائمًا في مسقط نور العمارة وأشارت له مندورة بأنه حل جيد خصوصًا أن تسلق المنور سهل لأن به سلم خشبي من مخلفات البناء.

تواصل مندورة التمتمة أمام الباب بتخشب ولكن بصوت منخفض بطيء.

■■■

يسرع محمد ومجدي إلى مطبخ الأم في الدور الأرضي لينفذا إلى مسقط المنور من الباب الواصل بينهما ليجدا سلمًا خشبيًّا مزدوجًا يتعاونا في تحريكه بهدوء ليوازي شباك المطبخ عند ناهد في الدور الثاني ويصعد محمد ومن ورائه مجدي الذي كان يتحرك بصعوبة





بسبب ساقه العرجاء، يصل محمد للشباك ويدفعه بيديه بهدوء حتى لا تنتبه ناهد.

يتفتح الشباك جزئيًا ويصعد ليحازي حافة الشباك ذي المصراعين ويمد ساقه للداخل ويفتح الشباك أكثر ليجد ناهد واقفة أمامه مباشرة وقد اشتد غضبها يتذعر الرجل من مرأى أخته بهذه الحالة، وينظر لها في عينيها ليهدئها ويذكرها بأنه أخوها العزيز بينما يواصل مجدي تسلقه المرهق غير واعٍ للذي يحدث مع أخيه أعلى السلم يستمر محمد يناجي ناهد بعيونه وهمسه بينما ناهد قد وقفت بتصلب تنظر له بعيون مطفأة جاحظة وتمد عنقها للأمام كأنها تستفسر، يواصل محمد تقدمه للداخل بحذر وبطء لتقفز عليه ناهد بشكل مفاجئ ليميل بها مجددًا إلى داخل مسقط النور ويفقد توازنه بينما هي تحتضنه مزمجرة ليسقط مختلاً من أعلى السلم ساحبًا بلا قصد جد مجدي ليرتمي الثلاثة على أرض المنور، وفي الظلام يشتعل صراع بين أخوين وكائن شيطاني ذي قوة وسلطان كما صنفته مندورة، يتحدث الجن بصوت غليظ من فم ناهد وناطقًا بحروف مشوهة وبجمل متصلة مليئة بالتعابير الغاضبة غير المفهومة بينما الرجلان على حالة من الضعف بسبب السقطة وناهد تهاجم كنمر جريح كلاً منهما لتدخل مندورة مسرعة إلى داخل المنور وتهجم على جسد ناهد بقوة رهيبة وتمد أصابعها الشبيهة بالكلابات لتعصر لحم فخذها بكل الغل وإحكام لتصرخ ناهد بحشرجة وتواصل مندورة القرص إلى أن يقوم مجدي ومحمد ويكبلانها من يديها الاثنين بينما تصرخ ناهد بألم حارق وقد تطاير اللعاب من بين شفتيها الصارخة ومندورة تمارس اعتصارها بلا رحمة وبتركيز متواصل إلى أن يخرجوها



للمطبخ ثم يجروها جرًا إلى غرفة الأم بينما يفتح جابر الباب لأم ناهد لتجده وقد نهش لحم كتفه وكأن حيوانًا مفترسًا انقض عليه، تسرع إليه وتدخل إحدى زوجات الأبناء لتسعفه وتتصل الأم بطبيب من معارفها ليأتي فورًا بينما جابر ينظر لهم من بعيييييييييييد.

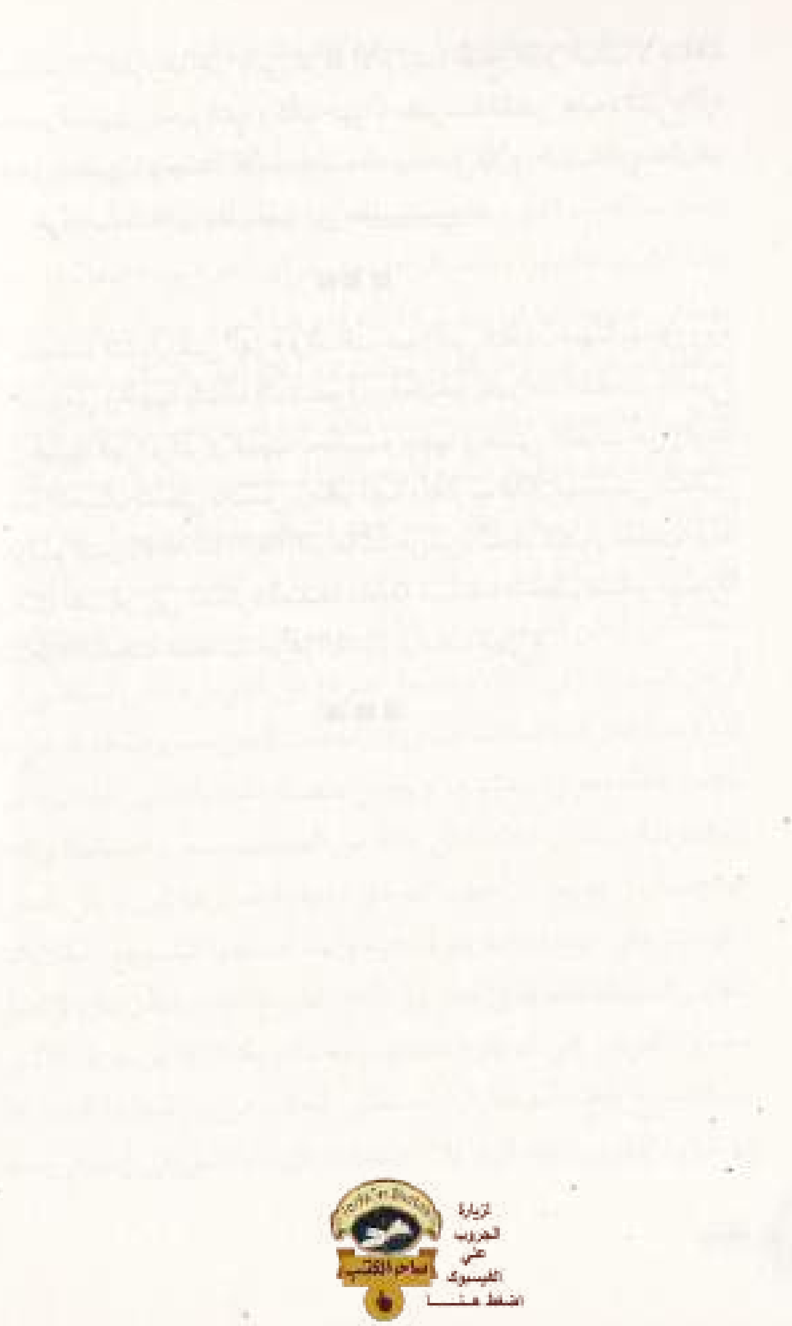
■■■

تتجمد كنديار من الفزع وقد اقترب رأس الثعبان منها بهدوووء وأخذ يلعق وجهها بلسانه المشقوق وفحيحه يغمرها، اندفعت الدموع من عينيها قهرًا والتوى فمها لجانب وجهها وتدلى اللعاب من زاويته بينما الثعبان يتمطى بكسل وينظر لها ويقترب قائلاً بهسيس الثعابين المؤلم كنديااااااااااااااااااااار ما تتأخريش، لتجد كنديار نفسها وقد عزمت للسفر إلى القاهرة فعندها مقابلة شديدة الخصوصية ومشمولة بالدعوة الخاصة للقاء ساحرها القديم يوسف الهزاع.

■■■







17

سامحني يارب



جرت ناهد جرًّا لغرفة النوم بينما مندورة تمارس القرص والاعتصار لفخذها وقد زمت شفتيها متمتمة بلغة غريبة وناهد في حال من الصراخ والألم حتى انقلبت تبكي بطفولة وتصرخ كما يصرخ الأطفال، وتعاون الرجلان على تكبيلها بملاءة السرير ثم أعادا ربطها بالحبال من ساقيها ويديها، رفعت مندورة يدها فجأة عن فخذ ناهد لتصمت ناهد عن الصراخ وتبكي بطفولة شاكية وتتسول العزاء من أخويها بينما مندورة تقف وقد تصببت عرقًا واستدارت لأم ناهد قائلة إن الشيخ لبيب هو من يقدر على فك مثل هذا العمل المعقد إذ إن الجني سلطان بين عشيرته.

تحركت مندورة إلى المنور مرة أخرى إلى أن وصلت إلى ماسورة الصرف وقد أمسكت بشمعة وبدأت في التمتمة وقد اقتربت من الجدار وراحت تمسح على الجدار بالشمعة وتضع يدها وقد تبعها الأخ الأكبر ليساعدها وقد زادت في نظره لما عليها من تصريف وفعل صارم مع ناهد وأمسك بشاكوش مدبب وضرب الحائط في المكان التي أشارت له مندورة وبعد عدة ضربات انهارت القشرة كاشفة عن شرخ جداري قديم نظر له محمد ومد يده ليدس أصابعه في الشق لتمنعه مندورة بحزم وتنظر مجددًا للشرخ تبتعد فجأة إذ يخرج من الشق عقارب سوداء بشعة خرجت وقد ارتفعت ذنوبها السامة مثقلة بالسم القاتل، ارتعد محمد وابتعد إلى جانب المنور وهو يعرق بشدة بينما أمسكت مندورة بعقرب منهم من ذيله وحرقته بالشمعة لتفحم العقرب في لحظتها ثم قربت

اللهب من الشق لتحرق العقارب الواقفة على جانبي الشق بمنتهى الثبات بينما ينظر لها محمد بإعجاب وخجل ثم تمد يدها وهي تتمتم لتخرج كيسًا مبروقًا من النايلون كيسًا قديمًا امتدت يد كنديار المجرمة به منذ ما يقارب من عشرين عامًا.

في اللحظة التي لمست فيها مندورة الكيس البلاستيكي شهقت ناهد شهقة عالية وقامت على جزعها ناظرة لباب الغرفة لتدخل مندورة وفي يدها العمل وقد علت على شفتيها ابتسامة نصر بينما تنظر ناهد لها بمقت وغليان ثم تنهار فجأة على الفراش سابحة في نوم عميق، تنظر لها مندورة وتخبر الأم أنها لا بد من ذهابها الآن للشيخ لبيب ولتوصيل الولد إلى أبويه.

ويقترح محمد المفتون بقوة المرأة في توصيلها إلى حيث تريد وترحب الأم بذلك الاقتراح وتخبرها مندورة أنها ستعود غدًا باكرًا بعد إتمام الشيخ لبيب لعمله وتخرج الأم نقودًا تعطيها لمندورة التي ترفضها في كبرياء وتقول إن لبيب من يحدد الأتعاب وأنها لا تقبل بقشيشًا، ولمحت بأن لبيب سيطلب المزيد بعد الانتهاء ورحبت الأم طبعًا بكلامها.

ونبهت على الأم بعدم فك وثاقها إلا عندما ترجع ورحلت مندورة مصطحبة الولد الصغير مع محمد في سيارته لتبقى الأم ومجدي.

■■■





أنا لبيب

الساعة تقترب من الثانية ولبيب يخرج من القبر متثاقلاً متجهم الوجه وكأنه مجلود بالسياط ارتسمت على محياه ما يعرف بغضب الله يجر وراءه جوالاً قديمًا مرقعًا في عدة مواضع وقد امتلأ لآخره بالرزم المالية وبعض الحلي الذهبية والهدايا فقد كان الرجل يجر كنزًا حقيقيًا جديرًا بالقصص وبالرغم من هذا بان التجهم على وجهه وطفح به الكيل فعهده مع الشياطين ملزمًا ببروتوكول صارم لا يمكن أن يحيد عنه، وكثيرًا ما سأل لبيب نفسه أليس الله أشد رحمة من الشيطان؟ ثم ينقبض قلبه متذكرًا ما حدث له في الأمس القريب من الدنيا وأهلها فيزيد إصرارًا على التطرف في عبادة الشيطان فهو يحقق الانتقام من البشر كلهم ألم يكن الله متحيزًا في خلقي فأوجدني في الدنيا عديم النفع شاحبًا ضعيفًا أشبه بالحشائش الضارة؟ أعيش على من هم أقوى مني مثل أبي وأمي حتى المتعة الجنسية أخلت مني، فقد نضج جسدي بالرجولة وإن كان هزيلاً لكن بقي عضو واحد لم يصبه النمو وبقي كما هو وكأنه خلية بدائية لا تتكاثر تكفيرها، واحتقنت بالحقد على باقي الرفاق فهم يستطيعون الجري والسباق والعراك أما أنا فلا بد أن أجلس وحيدًا منطويًا مهزولاً بالرغم من أنني لم أمرض قط.

بدأت حياتي بجريمة قتل متعمد للرجل المعتوه الذي اغتصبني وأنا بعد في الثانية عشرة وواصلت حياتي كمريد وعبد للشياطين أستجلب منهم من يساعدني على إذلال البشر، والغريب أنني لا أميل إلى الزبائن الضحايا ولكني أفضل الزبائن الشرسين الأشرار لأن متعتي الوحيدة هي كيف أنتقم من كرامتهم وكبريائهم، أذكر تلك السيدة التي جاءتني

لربط أخيها للأبد وأجبرتها أن تسجد أمامي بالساعات، وذلك الرجل الغني الذي يسعى لقتل شريكه بلا شبهة والذي جعلته يجلس عاريًا راكعًا مهينًا.

بل وأجبرهم على دفع مبالغ طائلة توازي ما سيأخذونه من خدمات شيطانية وبالطبع أملك الكثير من القدرات فأنا قادر على الطيران والجلوس على الهواء وقادر على استنطاق الموتى وأرعى دستة من الشياطين كل باسمه وطبعه وقدرته وتصنيفه وأنا في هذا متذوق أنتقي من الشياطين ما يضيف قوة وسلطانًا لقدراتي الشيطانية ووجدت في هذا الطموح هدفًا في حد ذاته، فلا بد أن يرتفع ثمن كفري وفجوري بطريقة فادحة وانحدار لا نهائي.

وحين أتت مندورة مع تلك المرأة الأم وجدت أن ابنتها مستهدفة من شيطان عاشق له سلطان كبير في عشيرته - الاسم طابور - وسال لعابي في استحضار هذا الجن القوي لابد وأنه سيزين مجموعتي الرائعة ولا مناص من الاستحواذ عليه لذا أرسلت بمندورة لبيت هذه الأم لاستحضار العمل وأخذ الطلاسم الخاصة بهذا الشيطان لأضمه بلا أي تردد فهو سلطان في عشيرته قوي قادر على فعل الأفاعيل فهو يقدر على التجسد الآدمي ويشكل حيزًا ملموسًا من الفراغ وأنا في انتظار عودة مندورة تلك المرأة الوحيدة التي أثق فيها لأنها كانت صديقة لوالدتي ولأن لها من القوة الروحانية ما يجعلها قادرة على السيطرة في المواقف المختلفة وكانت مندورة لا تعرف غرض الشيخ لبيب من استحضار العمل مرة أخرى ولكنها أبدًا لا تجادله فقط تنفذ أوامره كأحسن ما يكون.

■■■





يجر الشيخ لبيب جواله المملوء بالرزم والذهب ويدخل للغرفة العلوية مـن حوش المقبرة ويتابعه مسـاعده سـليم بمذلـة غير عادية فسيده لبيب ليس كالبشر فلا يمكن سرقته أو الاحتيال عليه وهو جرب في مرات وكان العقاب أسطوري، ففي أول مرة حبس لبيب البول في جسده لأيام وجعله يتلوى أمامه من فرط الألم حين سرقه ومرة قطع فيها أصبعًا من قدمه حين هـرب من خدمته ومرة جعل بطنه تنتفخ كالبالون الموشـك على الانفجار حين عرف أنه يأخذ إتاوة من زبائنه وتحولت الخدمة من عمل إلى استعباد رهيب وكأن لبيب يدرك بقدراته المذهلة حجم سفالة وشر خادمه سليم لذا احتفظ به ليأخذ منه طاقاته الشريرة في [illegible] عمله الشيطاني بل وكان يستمتع تمامًا بأذيته ولكن مكافآت لبيب سخية أيضًا بما لا يقاس فكان حين يرضى يكافئ بالذهب ورزم المال يرمي بسخاء جنوني فهو يتساوى في الحالتين كما يعاقب بهستيريا شيطانية وقد خصص لنفسه عشيرة من نسـاء الجن يخدمنه جنسيًا كلما شاء وبما يتفق مع ضآلة الحجم الطفولي لعضوه التناسلي.

يتجـه لبيب إلى الغرفة المزودة بسـرير معدني ضيـق ينام عليه لبيب عائمًـا علـى الهـواء يدخل إليه سـليم فـي مذلة وقـد بان الفـرق الهائل فـي الحجم بينهمـا فلبيب يظهر كطفـل على أعتـاب المراهقة في حين اكتملت رجولة وفحولة سـليم والذي استخدمها لبيب في عمل السحر الأسـود حيـن يجعله يختلـي بامرأة فكان لبيب يسـتخدمه كآلة جنسـية تفرم أجسـاد النسـاء خصوصًا الجميلات وذوات المكانـة الاجتماعية المرموقـة من زبائنه ومريديـه وكانت هذه من المتـع الخاصة جدًا التي يستمتع بها لبيب كمشاهد محتقن.



يدخل سليم عليه مطاطئ الرأس ككلب جائع ذليل ووقف ينتظر الأوامر من سيده الضئيل.

نظر لبيب له نظرة من يؤكد سيادته المطلقة وسأله عن مندورة فأجاب سليم إنها لم تحضر بعد ليزمجر لبيب زمجرة ينخلع لها قلب سليم ويرتجف أمامه وهو لا يعرف بماذا يجيب، يطرده لبيب ويأمره بالنوم على باب الحجرة ككلب الحراسة ويتجه إلى السرير متثاقلاً ثم يعتلي السرير وينام عليه لحظات إلى أن يغفو قليلاً وينساب عائمًا في الهواء وقد ارتفع عن السرير نفسه بضع بوصات.

في الوقت الذي تتجه فيه مندورة لبيت الولد المراهق لتسليمه لأمه في منطقة الإمام الشافعي وتنقدها بعض الجنيهات لتقبلها الأم شاكرة من يد المرأة القوية وتتركها إلى سيارة محمد أخي ناهد لتواصل مسيرتها إلى حوش مقبرة لبيب وقد اكتسى وجهها بالشرود بينما محمد يقود سيارته متجهًا إلى مقابر البساتين وقد انتابته الرهبة لدى دخوله إلى شوارع المقابر المظلمة وقد أضيئت بكشافات سيارته ترجل مندورة من السيارة وتودعه شاكرة باقتضاب وتتجه من فورها إلى حوش لبيب العتيق وتدق الباب بهدوء لينتفض سليم بسرعة ويفتح لبيب عيونه في ذات اللحظة يفتح سليم الباب لتدخل المرأة الشامخة وكانت تتعامل بتعالٍ نهائي مع سليم حيث تدرك مدى قذارته وانحطاطه ومدى تعلق لبيب بها حيث إنها من رائحة أمه الراحلة والتي كانت تربطها صداقة معها منذ أعوام يشير لها سليم بأن سيده في الغرفة لتتجه مباشرة وتطرق الباب صامتة وتنتظر الإذن بالدخول بينما ينساب لبيب إلى الأرض



ويجلس متربعًا أمام الفراش ويأمرها بالدخول ليتدخل عليه فيشير لها بالجلوس قبالته لتجلس صامتة وتبرز اللفة البلاستيكية الملفوف بها عمل ناهد السفلي ليمسك به لبيب في نظرة ظفر وانتصار.

ويسألها عن الحال عند البنت لتبدأ مندورة في وصف علمي، تشرح ما يفعله الجن في هذه المرأة ليبتسم لبيب مستريحًا لهذه المواصفات ويحل الكيس النيلون ويستبعد الصورة والشعيرات ويقرأ التعاويذ باهتمام شديد.

- شغل تجس على أبوه يا عمة مندورة.

مندورة تراقب المشهد صامتة ومنتظرة، ينسخ لبيب ما يراه على ظهر القطعة الجلدية في ورقة صفراء ثم ينادي سليم بأن يحضر الأدوات المكونة من المجمرة والفحم وقدر نحاسي به زيت يحتفظ به لبيب في زجاجة لا تفارقه.

يذهب سليم وتنظر له مندورة متسائلة ليخبرها أنه قرر أن ذلك الجن لا بد أن ينضم لمجموعته لأنه جن له سلطان كبير وتتعجب مندورة فهي تعرف أن عدم حرق الجن سوف يؤذي الإنسية لأنها إما سيعود لها مرة أخرى وإما سينتقم منها بأشر الطرق.

ونظر لها لبيب نظرة ذات مغزى لتحتقن مندورة بالغضب معترضة على مصير ناهد المعذبة وكانت تدرك أن لبيب بلا قلب ولن يتعاطف مثقال ذرة معها ولكنها أيضًا لا تملك من الأمر شيئًا فقد استخدمها لبيب وكفى.

نظرت للأرض في انكسار وصمتت ليكبش لبيب رزمة نقود ويلقي بها أمامها تنظر لرزمة المال ثم تنظر له في تركيز فيشيح لبيب النظر بعيدًا عنها ويتشاغل بالنسخ والفحص لتقوم مندورة معلنة عن رغبتها في المغادرة دون أن تمس رزمة النقود لينظر لها لبيب شذرًا وقد احمرت عينيه تنحني مندورة في سرعة خاطفة لتخطف العمل من يديه يذهل لبيب ويحتقن بالغضب الجنوني ويتمتم بغل لتجد مندورة نفسها وقد قذفت لأقصى الغرفة والشلل يزحف على جسدها فيما يقوم لبيب بهدوء ليأخذ العمل من يديها وينظر لها معاتبًا في حين يدخل سليم بأدواته لينظر لهذا المشهد النادر لمندورة وقد كبلتها شياطين لبيب في ركن الحجرة لينفرج فيه عن ابتسامة تتلذذ واسعة يلاحظها لبيب ويغضب بينما يضع سليم الأدوات على منضدة صغيرة ويحمل المنضدة إلى لبيب حيث يجلس ثم يختلس النظر لمندورة المكبلة مرة أخرى وتزداد ابتسامته اتساعًا بينما تنظر مندورة إلى الجدار في حزن شديد يصفق لبيب بيده ويلقي بعضًا من بخوره ليجد سليم نفسه في جوف القبر مربوطًا وقد زحفت الحشرات على جسده يصرخ بشدة يطلب العفو من سيده لبيب ولكن بلا مجيب.

يستعيد لبيب هدوءه ويمسك بالعمل مرة أخرى ليكمل استدعاء ذلك الجن المدعي طابور سلطان عشيرة الجن المجوسي.

.....

في الوقت الذي تشعر فيه ناهد بكل التفاصيل وقد نام مجدي إلى جوار فراشها ونامت الأم مجهدة في الصالة وسكنت العمارة بأكملها وغشيها النوم، تفتح ناهد عينيها تنظر للسقف وقد بان على

ملامحها الذعر ومع كل حركة يفك بها لبيب السحر ويستدعي الجن يرتعش جسد ناهد المفعم بالشياطين اعتراضًا على هذا الاستدعاء، فالجني يعشق ناهد ويريدها لنفسه ولا يريد مغادرتها فالحب له من القوة ما تعادل كل قوة ومنطق في عالم الجن فالحب هنا يمثل الامتلاك الطفولي للأشياء بما فيها من غيرة شديدة وشعور كامل بالاستحواذ والامتلاك، كان بالفعل موجهًا ليؤذيها ولكنه عشقها بمجرد رؤيتها منذ عشرين عامًا وعشق الجن لا يفتر ولا ينتهي فهو عشق حصري يحيط الإنسي بالاستحواذ ويحاصر الجني بالاستعباد ويقلب حياة كل واحد منهم إلى جحيم وكأن القانون الإلهي يعاقب كل من يشذ عن قواعد الإله الواحد في الاتصال لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

......

يقوم لبيب برمي حفنات من البخور خبيث الرائحة ثم يقف على قدميه وقد مسك في يده سوطًا سودانيًا قاسيًا وقد نزلت منه قطرات الزيت المثين للكرباج وتوجه إلى حيث مندورة وأدارها لتنظر له وهو يتجهم وينطق وجهه بكل جدية قد بدأت شفتاه في الارتجاف وقد وضع الورقة المنسوخة أمام عينيه وكأنه يقرأ منها

■■■

تتقلب ناهد وتتلوى بدون صوت والحبال تعتصر معصمها وقدميها وتحاول التحرك من على السرير جاهدة بلا فائدة تغمض عينيها وتعتصر نفسها بقوة مرة أخرى في محاولة للتملص من هذا القيد بلا فائدة لتتجسد

في وسط الغرفة طفلة في السادسة من عمرها تقريبًا مشعرة الوجه مشقوقة الشفاه وقد مسكت شمعة مشتعلة لونها أسود تنظر لها ناهد في ارتياح بينما تتقدم لها الطفلة وتمسح برأسها في وجهها وتقترب منها وتنظر للحبال بغضب ثم تنظر لأمها وتبتسم وتمد يدها وتمرر لهيب الشمعة على الحبال ليتوهج النسيج بنار صغيرة واستمرت للحظات وقد بدا النسيج يتفكك معلنًا الاستسلام، حركت ناهد يديها ليتقطع الحبل من حول معصمها الآن تحرر يدها ثم تمد يدها لتحرر وثاق قدميها بجهد كبير بينما تقف أشجان مراقبة للموقف بمنتهى التركيز والاهتمام وما إن تفك ناهد وثاقها تبتسم أشجان في وجهها وتمد لها يدها لتمسك بها ناهد وتقوم واقفة من الفراش.

■■■

في الوقت الذي يفرد فيه لبيب سوطه ويهوي به على جسده هو وقد التف السوط في لسعات موجعة لجسد لبيب وهو مازال يهوي بالسوط على جسده في ضربات منظمة مدروسة ويتمتم بصوت جهوري بتعاويذ شيطانية يستدعي بها الجن عاشق ناهد.

ومندورة تنظر له بترقب شديد وقد عرفت أنها الآن في لحظات استعباد الإنس للجن كمن يقطف ثمرة ناضجة ويضعها في سلته أو كمن يصطاد ثعبانًا شديد السمية ويلقيه في جرابه تمهيدًا لاستئناسه ولكن الحقيقة هي حقيقة فالثعبان الذي يستحضره سام مراوغ ولن يدعك تدخله لجرابك لمجرد أنك تريد ذلك ولتكن معركة مصيرية لكل منهما.

■■■





تتحرك ناهد بتخشب وقد أمسكت أشجان يدها وخرجت من باب غرفة نوم أمها في الطابق الأرضي ثم توجهت إلى المطبخ مسوقة بأشجان ودخلت منور العمارة من باب المطبخ الخلفي ووضعت السلم الخشبي الذي استخدمه أخوها في الصعود لتركبه مرة أخرى في العودة إلى الشقة الخالية بالدور الثاني.

«في عقائد الجن خصوصًا في حالات العشق فإن الجن يترك الإنسية تحت ضغط رجال الدين وما إن يستسلم الجن يحترق على أيديهم أو يهرب بعيدًا مذعورًا ولكنه يحاول العودة مرة أخرى إلى معشوقته الإنسية كلما سنحت الفرصة ولكن في هذه الحالة فالجن مطلوب لاستعباده على يد ساحر خطير مثل لبيب وهذا معناه فراق الحبيبة للأبد وفي هذه الحالة يلجأ الجن إلى قتل المعشوقة حيث إنه لا أمل في الرجوع فيتولد لديه منطق أن أقتل حبيبي بيدي أحسن من أن أتركه لغيري».

وقد أدرك الجن أن هذا فراق نهائي بينه وبين معشوقته ناهد.

يواصل لبيب جلد جسده بالسوط السوداني الأنيق والمعروف عنه بأنه شديد الألم وقد تصاعد من البخور أشكال مجسدة لوجوه غاية في البشاعة بينما اكتست ملامح لبيب الدقيقة جدية فائقة وقد التوى وجهه بالتمتمة الرهيبة، وقد غمره العرق وبان على وجهه الخشوع فهو يستقطب ملوك العشائر باستحضار ملوك آخرين ليشهدوا الاستحواذ كنوع من الاستعراض للقوة من جانب لبيب.

تصل ناهد إلى حافة السلم وتنزلق إلى مطبخ شقتها تغلق الشباك بإحكام شديد وتقف تنظر لأشجان التي تنظر لها وقد امتلأت عيونها





بالدموع وقد أمسكت الشمعة في يديها، ثم فجأة ينتفض جسد ناهد بصدمات موجعة تجعلها تنطرح على أرض المطبخ وقد تلوت وكأن أحدًا يشد روحها من جسدها وفي أثناء ذلك التلوي تطيح بزجاجة الجاز الكبيرة والتي تحتفظ بها أسفل الحوض لتقع الزجاجة وينساب سائل الكيروسين على أرض المطبخ بينما ناهد تتشنج بعنف وتتشبع بذلك السائل المنساب أرضًا وقد صعدت منها آهات ممزوجة بضحك هيستيريًا وعبارات رفض لخروج الجن منها بينما وقفت أشجان تراقب أمها بعيون واسعة وفم مفتوح.

في الوقت الذي يبلغ فيه ليب ذروة الجلد بالسوط وطقوس الاستدعاء وقد فتحت عيناه على اتساعها ويبلغ من التشنج حدًا خطيرًا وقد ماجت الغرفة بأطياف لأشباح تتكلم وتصرخ بلا انقطاع بينما مندورة تتشبع بالإثارة لحضور هذا المشهد النادر الحدوث.

■■■

أشجان تواصل التحديق في ناهد المتشنجة وقد أمسكت الشمعة الصغيرة المشتعلة في يدها الصغيرة ومع لحظات التشنج العسيرة تتحرك ناهد كمن يصارع تمساحًا ثم تنتفض انتفاضات منتظمة لتهدأ حركتها وتمد يدها لتأخذ الشمعة من أشجان وتمشي بهدوووء إلى باب الشقة لتفتحه ثم تقرب لهيب الشمعة من طرف جلبابها المنزلي لتشتعل جذوة ضئيلة من النيران تنظر لها ناهد بتركيز لتمتد رقعة الجذوة المشتعلة وتشمل المساحة الكبرى من لباسها المنزلي.





تنظر ناهد لتجد أن ألسنة اللهب تحرقها بلا رحمة وتستعيد ناهد وجودها البشري وتصرخ بكل قوة وقد قامت تجري في أنحاء المنزل صارخة وهي مازالت ممسكة بالشمعة وقد تمزقت أحبالها الصوتية بينما تصحو الأم ومجدي لينظران إلى الفراش ولا يجدان ناهد ويسمعان مجددًا الصراخ من الدور الثاني.

تصرخ أم ناهد وتصعد سريعًا للطابق الثاني هي ومجدي ويتزل نساء المنزل وأطفالهم وقد انذعروا تمامًا ورائحة الشياط تفعم المكان بينما ناهد تتخبط وتأكلها النار وتصرخ بكل ما فيها من قوة قائلة بشكل نهائي:

سامحني يا رب!!

أخيرًا يكسر الباب ويدخل الجميع إلى مسرح الحريق ليجدوا ناهد منكفئة على وجهها وقد احترق جزء كبير من جسدها وبيدها الأخرى قد أمسكت بشمعة مطفأة، أطلقت الأم صرخة عاتية وهي تجري على ابنتها ليوقفها مجدي ويتوسل إليها أن تبتعد..

بينما تلفظ ناهد أنفاسها الأخيرة.

■■■

تهتز الموجودات في غرفة لبيب وقد حضر المطلوب الغاضب وتدرك مندورة أن المواجهة آتية بكل مصائبها

يزداد الاهتزاز بينما لبيب يواصل جلد نفسه بالكرباج السوداني وقد اصفر لونه وعلته سحابة من الرطوبة الخانقة، وفجأة يتفتح الباب والشباك المطل على الحوش بعنف شديد جدًا وتجد مندورة نفسها





وقد حل وثاقها وذهب عنها الشلل المؤقت وكذلك للخادم سليم في جوف القبر.

يتوقف لبيب عن الجلد والتمتمة وقد سكن كل الوجود وكأن الأموات في المقابر تراقب ما يحدث بقلق، يخرج لبيب من باب الغرفة بحذر السكون يلف المكان تمامًا وقد انعدمت الإضاءة تقريبًا إلا من الضوء الآتي من الغرفة، ينظر لبيب بترقب حوله ولا يجد شيئًا، تقوم مندورة من رقدتها وتقف في مكانها بينما الريح تصفر لحنًا مقيتًا ممزوجًا بآهات الكفر والفجور.

تسرع مندورة خارجة من الغرفة لتجد لبيب يقف ناظرًا إلى ركن الحوش المظلم تسرع إلى باب الحوش وقبل أن تفتح الباب لتخرج سمعت زئيرًا رهيبًا يأتي من ركن حوش الدفن القديم، نظرت بعينيها إلى الركن المظلم لتشاهد زوجًا من الأعين النارية تحملق في لبيب بينما تشكل هيكلاً لجثة كلب ضخم أسود اللون يفتح فمه المرعب ليسيل منه اللعاب بينما شدت ملامح رأسه للخلف في غضب عاتي.

تتجمد مندورة في مكانها بينما يتحرك الكلب الرهيب ناحية لبيب الواقف في منتصف الحوش، ينظر لبيب بقوة وثبات للكلب ويبادله نظرة بنظرة وقد انساب في الهواء وتلاعبت الريح بشعر ذقنه وجلبابه، يواصل الكلب التحرك وقد خرجت من حلقه حشرجة الغضب ويقترب أكثر فأكثر من لبيب ولبيب يدور في الهواء باتجاه الكلب وفجأة يقف الكلب على قائمتيه الخلفيتين ليصير أطول قامة من لبيب وينقض عليه فجأة ليقع لبيب والكلب على الأرض ويدور صراع غير متكافئ بين جسد لبيب الهزيل وبين الكلب الضخم المدملج.





يغرس الكلب أنيابه في صدر لبيب الذي تعرى بفعل تمزيق جلبابه بفعل الكرباج يصرخ لبيب لأول مرة وينطرح أرضًا على وجهه ويده مازالت ممسكة بالكرباج بينما يجره الكلب عاضًا على كتفه إلى جوف المقبرة المفتوح وينزل به للقاع ولبيب يتلوى بين أسنانه بلا صوت فقط تشنج وارتعاش من يحتضر أو يستعيد، تنظر مندورة بذهول لما يحدث بينما خرج سليم منهارًا من جوف القبر ونظر لمندورة بذعر رهيب وقد اكتست ملامحه بالجنون وأخذ يعفر وجهه في التراب وهو يضحك ثم جرى إلى حافة الفتحة للقبر وأخذ يدحرج الأحجار المنحوتة المستطيلة (تسمى المجاديل) ليسد القبر على لبيب بينما تتعالى زمجرة الكلب في الداخل مع لبيب.

ينظر سليم إلى مندورة وقد لمعت عيناه بالجشع وجرى لداخل الغرفة وخرج منها جارًا جوال الكنز لتنظر له مندورة بذهول وقد استدارت عينها وبان عليها التركيز وهي تنظر لفتحة القبر المسدودة بالأحجار ليواصل سليم غلق الجوال بما فيه من كنز الشيخ لبيب وبينما هو مشغول برتق الجوال تسمع مندورة صوتًا جديدًا يأتي من القبر إذ تستمع إلى صوت لسعات الكرباج السوداني بينما يصاحبه صوت أنين ممزق لكلب يعاني التعذيب، نظرت مندورة إلى سليم وقد أكمل رتق الجوال وتحزيمه ليرفعه على كتفه في الوقت الذي يزاح فيه أحد أحجار المقبرة بقوة ليظهر لبيب برأسه ثم يرتفع جسده منسابًا في الهواء وقد تمزق موضع من كتفه ولحم رأسه وانسابت الدماء منه تقطر كرزاز المطر بينما أصابعه تقبض بتشنج على الكرباج.



يكتمل انسياب لبيب ليخرج تمامًا من القبر لينغلق وجه سليم وقد أدرك أن الانتقام الأسطوري قادم فلبيب يعرف أنه هو من أغلق القبر عليه وسارع إلى كنزه ليأخذه لنفسه في حين اكتست ملامح مندورة بالترقب الصامت المذهول.

بعد قليل يطل رأس الكلب الأسود من فتحة القبر لينظر له لبيب نظرة حادة ليدخل رأسه مرة أخرى محدثًا ذلك الصوت المتحشرج الضعيف المليء بالأنين الذي تجيده الكلاب وقت خنوعها، ينظر لبيب إلى سليم الذي يسارع إلى قدميه ليقبلها راجيًا السماح والغفران لا تتحرك ذرة مشاعر واحدة لدى الساحر وقد بات أكثر قوة وفجورًا بعد أن امتلك ذلك الجان الرهيب، تدخل مندورة بسرعة للغرفة وقد أمسكت بقماشة وبللتها بالزيت وأسرعت إلى لبيب المتصلب في الهواء ومسحت بقطعة النسيج المبللة على صدره وكتفه الدامي بينما لا ينظر لها لبيب تمامًا ويأمرها بالذهاب الآن من أمام وجهه لتخرج مندورة تمامًا من الحوش ليبقى لبيب ومساعده الخائن سليم وحدهما.

■ ■ ■






لزيارة
الجروب
على
الفيسبوك
اضغط هنا

18 مجرد جنازة أخرى



ماتت ناهد محترقة وقد نشرت الصحف وقتها أن سيدة في حي الهرم تشعل النار في نفسها بسبب الجنون كان خبرًا صغيرًا يحمل في طياته قصة مفزعة لم تنتهِ بعد، ففي نفس التوقيت ترحل كنديار عن بلدها الريفي ميممة وجهها شطر الجيزة لزيارة يوسف الهزاع في أحراش منطقة المنيب بدعوة شيطانية صريحة وقد اكتسى وجهها باليأس الذي تعانيه الشياطين وهي تخالف الرب القدير.

ذلك اليأس الذي لا يفرق معه موت من حياة فكنديار أصبحت جثة متحللة تتحرك وقد امتلأت عن آخرها بوخذات الشياطين وتوجهيها في الوقت الذي تبدى فيه يوسف الهزاع كأقذر ما يكون وهو قابع في عرينه المعزول وقد أخذ يزوم غضبًا وقد احتقن وجهه بالحقد وانتفخت عروق جسده العملاق بدماء فوارة فقد علم باستيلاء ساحر آخر على جنه المفضل بشكل حصري ونهائي ولهذا جن جنونه وأصبح يدور داخل عرينه القذر وقد عزم على إرجاع ما سلب منه.

تصل كنديار وقد أصبحت أكثر دمامة وبانت كمن بلغ من الكبر عتيًا لتفتح لها السيدة شبه الضريرة الباب المعدني الكبير للزريبة الواسعة فقد كانت فيما مضى مرتعًا لمختلف أنواع البهائم التي كان يتاجر بها هزاع في شبابه قبل أن يصاب بلعنة من أم زوجته ليحوله إلى محراب للتقرب إلى الشياطين السفلى وقد خرب بيته العامر وهربت زوجه وأولاده

بعد تبدل حاله ليتفرغ يوسف في الانكباب على العالم السفلي ويتعلم أساليب الكفر لتتعمده الشياطين رسميًا قبل خمسة وعشرين عام ليتربع على قمة الأداء السحري فيما بعد وقد اشتهر في تلك الأيام بسحره وشره النامين ولينتقم من حماته ويسلط عليها سحرًا يفقدها حدة البصر لتعيش معه كعقاب نهائي كخادمة، تلك هي العلاقة الغريبة بين الساحر وزوبة فهي حماته أم زوجته الهاربة والتي كانت تكرهه تمامًا بمقدار كل العجز عن إيذائه والتشفي فيه وكان مشوارها لمحجوب هدفه التنكيل به وفضحه ولكن يوسف نجح في ابتزاز محجوب ليحبط المرأة تمامًا وتكف عن محاولاتها للنيل منه ولتعيش معه محرومة من نعمة صفاء البصر كخادمة تعيسة ذليلة.

تستقبلها زوبة بجمود بينما تذكرها كنديار بسهولة وتسألها عن يوسف في خوف لتحييها المرأة بالدخول وقد تحسست طريقها للدخول إلى الساحة الخلفية المسقوفة حيث يعيش يوسف كحيوان مستأنس في زريبة يأكل ويقضي حاجته ويمارس السحر في نفس الحيز وكان لا يغادره إلا فيمن ندر.

تدخل له السيدة الضريرة لتخبره بقدوم كنديار وهو في حالة من الهيستيريا والغضب الطافح لينظر لها باشمئزاز ويشيح لها بوجهه بأن تأتي بها لتخرج المرأة ويوسف لا يكف عن التفكير في تلك الخسارة الفادحة

تدخل كنديار مرتجفة الأوصال مرتعشة الأقدام لينظر لها يوسف وقد بلغ الستين وإن بدا ذا قوة وفحولة حيوانية باقية لم تؤثر فيها السنون ولا الكفر العامر.





تنظر له كنديار وتخر راكعة على قدميها وذراعيها وتبدأ في البكاء المتكوم بينما تبرق عيون يوسف وقد وصل لحل سريع لاستعادة الجن من ذلك الساحر الفاجر الآخر.. لماذا لا يعكس العمل السفلي ويفك قيود الجن من تأثير التعويذة نفسها، فالمرأة نفسها موجودة والعمل السفلي اشترط وجود الاثنين الساحر والمرأة لذلك زارها في دارها وترك رسالته لها تحت الفراش.. وقد جاءت المرأة التعسة الآن.

■■■

نهاية كنديار البشعة

يهجم عليها يوسف كما في الماضي وقد رفع جلبابها لأعلى ومد يده إلى داخلها بينما تشهق المرأة بألم فهي امرأة عجوز انقطعت عنها الزيارة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا وهي امرأة مريضة تشكو التورم والالتهاب وقد تغضن وجهها وبدت في منتهى التعاسة بينما الخرتيت الآدمي يفتك بها وقد طرحها أرضًا وهي تصرخ وتئن وقد أحست أن مفاصلها قد انخلعت بفعل جسد الرجل والزمن نفسه.

ياله من مشهد غريب مقزز وقد امتطى رجل عجوز قذر تشع العفونة من مظهره تلك المرأة الأكبر سنًا وقد تجلى الألم والرغبة معًا يرسمان خطوطًا شديدة القبح على وجهها العجوز بينما الرجل يسبها بأقذع الألفاظ وقد بلغ الغضب الشيطاني منه أن سحق المرأة تمامًا تحت ثقله المتشنج.

حاولت كنديار دفعه عنها وقد شعرت بأنها تختنق ويوسف يجري كقطار على قضبانه مجتازًا محطات العقل والقدرة البشرية لتصرخ





كنديار صرخة عاتية وتهز رأسها في جنون وتشنج رافض، ويطفح وجهها بنظرة متقلصة كارهة لهذا الخرتيت وبينما يقترب القطار من محطته الأخيرة مندفعًا تلفظ كنديار أنفاسها شاهقة بقوة وقد أدركت أنها ماتت بأسوأ وأقبح وضع يمكن أن يحدث لبشر.

وتستعد الشياطين لحملها لمثواها الأخير في قعر جهنم.

يقوم من فوقها ذلك الخرتيت وقد تصبب عرقًا أسود أشبه بمياه المستنقعات تاركًا إياها جثة صارخة تنطق ملامحها المتخشبة بمصيرها النهائي الأسود وهو غير مهتم أصلاً بموتها وهي تحته ليبدأ طقوس استعادة ذلك الجن النادر طايور من ذلك الساحر الآخر، ودخل في طقوس جلب الطايور بلا أي فائدة تذكر اللهم إلا المجهود المضني لتنفيذ ذلك الاستحضار.

ألقى الساحر بتعاويذه غاضبًا وقد انطلق مخه المريض يعمل بسرعة الصاروخ، سأستحضر من هو أقوى من الطايور وليكون انتقامي شنيعًا واستعد بإصرار عجيب لطقوس وتعازيم استجلاب ذلك الجن المقيت المسمى بـ ((الناصور)).

في الوقت الذي يشعر فيه لبيب بالانتصار وقد امتلك قوة أكبر من قوته الحالية والغريب أنه سامح سليم وجعله يعود لعمله وقد خرج الآدميين من حساباته فهم مجرد دمى من لحم ودم يتحركون كما أريد أنا، لماذا أعبأ بأفعال الدمى؟ وقد استحققت درجة أعلى في مرتبات الصراع.. فأنا الآن قادر على محاربة الشياطين فلماذا أعبأ بإخلاص دمية؟





وبالفعل تحول سليم إلى دمية يحركها لبيب بمنتهى البخل فهو يتركه واقفًا لساعات مثلاً أو ساجدًا أو منحنيًا لأوقات طويلة جدًا لدرجة تشعر معها أن سليم أصبح تمثالاً ضخمًا لإنسان تعس.

وجلس لبيب مرة أخرى في عراء الحوش متخذًا وضع حرف زد الإنجليزي فقد جلس على حافة الرصيف الداخلي للحوش مقرفصًا وقد انثنى ساقه وجزعه بينما مازال يقف على قدميه بوضع مرهق جدًا لأي إنسان عادي وهو يراقب ما يحدث على تراب الحوش من معركة دائرة بين قطع من الصخور وقد كانت المعركة على أشدها بينما ينزف الدم من الأحجار المهزومة وقد بان على ملامحه المرهقة الشعور بالزهو وقد لوحت شمس النهار وجهه بلون داكن غارق في الظلام.

نعم نعم بسحري سأصبح أقوى الآن وأستطيع مغالبة الشياطين في وضح النهار وقد استمديت من ذلك الضيف الجديد خاصية جديدة بالموبايل في العصر الحديث فأنا قادر على تجسيد الجن أو الروح بشكل مادي ملموس وبذلك تظهر قوتي أكثر أمام الزبائن بل سأرعبهم حتى التلف وأحولهم لعبيد مؤقتين لي ينفذون ما آمر به وبينما هو غارق في أفكاره تدخل عليه مندورة وقد بان عليها القلق والخوف من ردة فعله مع أنها لم تسرق ولم تخن ولكنها عارضته وجهًا لوجه.

لا ينظر لها لبيب وإن ابتسم في ترحيب من يتبوأ الاطمئنان والقوة وهو أيضًا متعلق بها لصلتها القديمة بأمه وهو يريد أن يريها مقدار قوته الجديدة، كما يستعرض التلميذ كلامه الأجنبي الذي تعلمه أمام أمه الأمية.

قام لبيب من جلسته ليتوجه إلى غرفته بينما تتبعه مندورة بالإيحاء فقط تدخل صامتة بينما لبيب يبحث في الغرفة عن شيء، ما تنظر له مندورة منتظرة، بينما يبحث لبيب في هدوء إلى أن يدس يده تحت بعض الكراكيب ليخرج يده وقد التف حولها ثعبان أصفر فاقع لونه لا يزيد على المتر طولاً وقد التف بجشع حول معصمه وقد وجه الثعبان بعض العضات السامة لمعصمه بينما لبيب كما لو كان يتلقى العض المسموم وكأن الثعبان تحول لبعوضة أو ذبابة.

نظرت مندورة له باستمتاع بينما يواصل لبيب بحثه عن شيء آخر ليضع يده مخرجًا طوقًا خشبيًا مستديرًا من أعواد الخيزران ويتجه ببطء إلى المائدة الصغيرة وقد وضع الثعبان على سطح المائدة وأوقف الطوق كما في السيرك وأخذ يتمتم تحت الأنظار المبهورة لمندورة.

أخذ الثعبان في التلوي المرعب فوق سطح المائدة ثم انزلق للطوق وعبره من المنتصف ثم توقف عن الزحف وقد انتصف الطوق ثم أخذ لبيب بتمتمة مختلفة ليبدأ الثعبان في الهيجان فاتحًا فمه المرعب ولسانه المشقوق وهو في حالة من الغضب ليستدير الثعبان مرة أخرى بدون المرور هذه المرة من الحلقة الخشبية ليجد ذيله الذي لم يعبر بعد هذا الطوق ليبدأ في التهام ذيله بنهم شديد وقد تقلص جسده الأسطواني وانخفض لهذا الاعتداء الذاتي غير المفهوم بينما يواصل الثعبان بلع والتهام جسده ليصنع حلقة أخرى مع حلقة الخشب الأولى وما إن اقترب الثعبان من نصف جسده حتى مات على هذا الوضع صانعًا حلقة مغلقة من اللعنة والرعب الأبدي، تجلت نظرة خوف وإعجاب في نفس الوقت في عيني مندورة بينما يواصل لبيب التمتمة وقد اكتست عيناه



ببريق غريب من أثر كل هذا السحر الشيطاني، فالرجل يمتلك قوى سحرية نادرة وشياطين جاهزين للعمل معه وقتما يريد وأينما يريد.

■■■

فيما تفكر بالضبط يا لبيب؟! وهل تريد امتلاك كل تلك القوى الشيطانية لمجرد إحداث الأذى بالمقابل أم أنك تتوق لحلم بعيد وأمل آخر؟! فللحق نقول إن لبيب يجتهد ليقدم عملاً فنيًا متكاملاً أو فيلمًا استحق كل جوائز الأوسكار.

فهل هذا لوجه الله؟... عفوًا... لوجه الشيطان! هل هذا مجرد ولاء مقدس لإبليس أم أن لبيب له وجهة نظر أخرى؟!

أكيد سنعرف ولكن ليس الآن.

■■■

في الوقت الذي قام يوسف ويتجه إلى برميل مشتعل ببقايا الخشب ليزيده ببعض الأخشاب والفروع الجافة ليتأجج من جديد ويعود إلى أدواته وهو يخرج بعض الأوراق القديمة وقد سكب بعض السوائل الخبيثة بجانب البرميل ثم يسقط البرميل فوق تلك السوائل لتندفع الأخشاب المحترقة إلى الأرض ليقفز عليها يوسف صارخًا ومتمتمًا بأقصى آيات التسخير بينما يتقافز فوق النار ثم أخذ يرش بعضًا من بخوره أثناء تمتمته وقفزاته التي من المفروض أنها منتهى الألم ولكنه ثمن قليل بالنسبة له لاستجلاب كل شياطينه.





يصرخ الرجل بالتمتمة المسلوءة بالصراخ المكتوم وقد أظلمت عيناه في غل وألم بينما تتابع العجوز العمشاء حماته ذلك المشهد النادر أيضًا والتي لم تره على طول عشرتها للرجل الرهيب.

يواصل يوسف التقافز وقد علت في الجو رائحة شياط ناتجة من ملامسة شعره وجلده القذر لأطراف الجمرات، ثم يقفز لجثة المرأة وقد اشتعل معظم أطراف ثوبه وشعره وبدا وكأنه خارج لتوه من الجحيم وقد بدأ في الدخول لغيبوبة الجن، تقلب مرارًا على الأرض ليطفئ النيران ورائحة الشياط وقد تكفلت الأرض الزلقة بترطيب الحريق الآن.

ثم... انتظار..... ثم انتظار،،،،،،،، لحظات متوترة ينظر فيها هزاع لكل الاتجاهات.. في طرف الحوش يشهد تجسدًا مشوهًا لما يشبه إنسانًا بدينًا.. أو كإنسان بدين ولكنه............ مقطوع الساقين يقف على منتصف فخذيه المقطوعين بدون تساوٍ وقد بان غليظًا سمينًا عاريًا إلا من إزار يلتف حول وسطه وقد تدلت أثداؤه الرجولية المشعرة وبطنه المتكورة وساقه اللحيمة المبتورة من منتصف الفخذ.

إنه الناصور أشر وأخبث أنواع الجن ويقال إن السحرة لا يلجئون له لأنهم يخافونه ولا يثقون فيه، تحرك الناصور بسرعة غير متوقعة بالنسبة لعجز ساقيه المقطوعتين فهو يتحرك بطريقة قافزة معتمدًا على يديه وساقيه الغليظتين كما الشمبانزي العملاق، بمنتهى الخفة والرعب جرى الجن في أرجاء الحظيرة وقفز فوق جسد كنديار ووقف لينظر





بخبث إلى يوسف، بينما يوسف يحاول التماسك أمام هذا المارد الشيطاني القبيح في حين ينظر له الجن بتحدٍّ أكبر.

يبدأ هزاع في التمتمة من جديد بينما يضحك المارد بسخرية شديدة ثم يقفز عاليًا كالقرد لينزل جالسًا على كتفي هزاع بكل كتلته الشيطانية لينتفض هزاع تمامًا ويقف متصلبًا، بينما يجلس الناصور على رقبته كما الأطفال على رقاب آبائهم ليبدأ هزاع في التحرك وقد تحول إلى كرسي متحرك لذلك المارد الضخم، وبفضل الناصور تم التخلص من جثة كنديار ليجدها الناس ملقاة في المصرف القريب من بيتها بأشمون، لتنتهي حياة كنديار بما يشرفها دائمًا في دنيا الشياطين والكفر، وليبدأ هزاع في تنفيذ انتقامه من لبيب الذي سرق منه خادمه الأمين ليستبدله هزاع بسيد مشاكس خبيث لا يأمن جانبه إطلاقًا ولكن اليأس والوضع المرهق الجديد ولد إصرارًا لدى هزاع ليستعيد كنزه المفقود من لبيب السارق الخسيس.

وواصل قراءة التعاويذ واسترضاء الناصور ليقول له أين يختبئ الساحر الآخر وبالفعل عرف مكانه أخيرًا.

■■■

في الوقت الذي يتماثل فيه لبيب لقمة عمله السحري فالرجل أصبح مجرد حزمة من الطاقة الشيطانية تلبس ملابس رثة ممزقة فقد شعر لبيب أنه تحرر بامتلاكه ذلك الجن الطيار وضمه إلى مجموعته النادرة واستأنف نشاطه السحري بشكل متقطع وقد أرجأ كل شيء ليرى إلى أي مدى قد وصل من القوة.

اليوم هو يوم عمل وقد جلس لبيب كما اعتاد في جوف المقبرة واستقبل امرأة شابة وبصحبتها دجال من مدعي الشعوذة والجن، كان دجالاً ممن يتعاملون مع كريمة المجتمع، يعطي خدمات محدودة مليئة بالإيحاء لزبائنه من تلك الطبقة مقابل هدايا ورزم من الأموال ولكن ما تطلبه (علياء) أكبر بكثير من طاقته المحدودة ولما كانت البنت من كريمة كريمة المجتمع وتمتلك دافعًا قويًا استجاب الدجال) اسمه عمارة(لها واصطحبها بناءً على أوامر لبيب إلى عرين لبيب، جاءا ليطلبا ربطًا لحبيب الفتاة الغادر والذي لفظها بعد طول عشرة وحب عميق.

مارس لبيب طقوسه الشيطانية المعتادة وإن ظهر عليه مهارة أكبر وسرعة في التفعيل وبينما ينكب لبيب في استحضار شياطينه وقد جلست الفتاة ترتجف في ذهول في حضرة لبيب بينما يتظاهر الدجال برباطة الجأش والعلم ببواطن الأمور وخوافيها خصوصًا وأنه تعامل مع لبيب في عدة عمليات، لبيب يمسك بفانلة داخلية للرجل المراد، بينما ينظر الدجال إلى البنت ليطمئنها مداهنًا.

■■■

طقوس يوسف الانتقامية:

في وسط عرينه يقف يوسف عاريًا بينما تتأجج جمرات الفحم مصدرة طقطقة تعلن بها أنها تمامًا قد نضجت وذهب عنها ريح الخشب ورائحة الرطوبة أصبحت نارًا صافية تشع حرارة فيلقي بها يوسف بكرات من البخور شاذ الرائحة منفر لينبعث أريج من حقول الكراهية





محملة بطعم العرق الخانق والذي يسيل من جسد يوسف وقد بدأ في الاهتزاز والرقص العنيف وقد تمرغ في الأوحال طلبًا لسيده الجديد الناصور ذلك الشيطان اللئيم عديم العهد ويستمر يوسف في الرقص والصراخ ثم التمتمة وماجت الموجودات في نظره لتصبح خلفية مموهة الخطوط وقد ظهر الجن البدين جالسًا على مقعدته وساقيه المبتورتين أمامه بينما انعقد ساعداه البدينتان أمامه وقد انتفخ وجهه بالغضب ليركع يوسف ويمرغ وجهه في الأوحال وهو يتمتم لتنفرج بابتسامة نصر خافتة على وجه الجن ليصرخ يوسف طالبًا القضاء على لبيب غريمه وسارق ممتلكاته، ثم يرجع ليمرغ وجهه في الأوحال ليتغير وجه الجني وقد علت على وجهه قسمات الغضب والانتقام في الوقت الذي يلقي يوسف بتعويذاته ليقي نفسه شر أي هجوم مفاجئ من ذلك الجني القاسي لقد توترت أعصابه وأصبح كشعلة من الكراهية وانتابه نفس إحساس الفريسة في غابة مظلمة.

■■■

ماذا يحدث هل الأرض تهتز؟! ارتجف الضوء المنبعث من مصباح الكيروسين ارتعاشة خفيفة لينتبه لبيب جزئيًا؛ فشياطينه تخبره أن شيئًا ما يحدث ثم يعود مجددًا لتكملة العمل السفلي متمتمًا ببعض عبارات أخرى لا تمت لصنع العمل السفلي بصلة بل هي استدعاء خافت لقواه الخارقة، فقرون استشعاره لا تكذب، ثمة وجود معادٍ للمكان ولصاحبه، وجود شرير خبيث يزعج لبيب بشدة.

يعود الاهتزاز أقوى من سابقه لتسكب بعض الأشياء على منضدة لبيب ويهوي لبيب نفسه جالسًا بشكل طبيعي على الجلسة ومع



الاهتزازة الثالثة ينظر لبيب أمامه ليجد أن باب الحجرة في جوف المقبرة اختفى وأصبحت الحجرة مجرد مكعب مجوف بلا أي منفذ.

حل الانفجار محل القلق وقد تداخلت أطراف البنت المنتفضة برعب وارتمت أرضًا وهي تنظر لمكان الباب بينما يتصبب العرق من وجه الدجال، وقد علته صفرة الموت نفسه فيما كان لبيب يصيخ السمع ليعرف ما هذا بالضبط؟!

يمر الوقت والقبر مغلق تمامًا على الثلاثة بينما راحت البنت تهذي وقد جنت تمامًا وساح عقلها مثل قطعة الزبد بينما انفجر الدجال صائحًا خائفًا يدق على الجدران بيأس الموتى أنفسهم وقد انخفض الضوء وتسبب في حالة من الاختناق بسبب احتراق الكيروسين ولبيب صامت يحاول التركيز والتصنيف لأي نوع من الشياطين له هذا الفعل المزلزل؟ ويسرح لبيب تمامًا بينما الدجال يصرخ وقد أوشك هو الآخر على الجنون أو الانهيار العقلي.

تخيل معي أنك محبوس داخل مكعب مجوف وهذا المكعب هو غرفة من غرف قبر قديم وقد انغلقت عليك منافذ الحياة ويرافقك ساحر رجيم كان يفعل تلك الأفاعيل لتكتمل خدمته مدفوعة الأجر مسبقًا بينما البنت تهذي في غيبوبة صريحة ومن الواضح أنها على شفا الموت ستموتين يا صديقتي اختناقًا وقد حبستني للأبد مع أختي وأكبر ذنوبك.

ومع الاهتزازة الثالثة انطفأ المصباح الغازي ليسود الظلام تمامًا.. ظلمة سوداء لم تعرف الضياء قبلاً ظلمة دسمة لها ملمس الأبدية وطعم الموت.. إنها ظلمة القبر نفسه بلا زيادة ولا نقصان، يسود مع الظلام





الصمت المفاجئ للجميع عدا بعض الهمهمة التي تخرجها البنت لتثبت أنها حية ترزق.

وفجأة تلتمع جمرتان في وسط الحجرة يعقبها تجسد مضيء لكيان مقطوع الساقين يسمى في دنيا الجن بالناصور، ومن هذا التجسد المضيء استمدت الحجرة بعض الضياء، يجول الناصور في الغرفة بناظريه ينظر للدجال المزيف ويقترب منه بينما يموت الرجل ويحيا مع كل شهيق وزفير أطلقه ذهولاً، يقترب منه الجن السمين ويمسكه من بطنه ليتكهرب الرجل تمامًا وقد صرخ بصوت نسائي عجيب ثم يدير عينيه ليثبتهما عند لبيب ويقترب منه مستندًا على مرفقيه كخفاش يستخدم جناحيه كقدم يمشي عليهما.

وما إن اقترب مسافة كافية حتى فتح فمه صارخًا صرخة ارتجت لها أركان الحجرة المغلقة وتساقطت الرمال والتربة من بعض مواضع في السقف والجدران لينخلع قلب الدجال تمامًا ويسقط أرضًا بجوار البنت بينما لم يحرك لبيب رمشًا من مكانه وبدا وكأنه يعرف ألاعيب الناصور جيدًا ليصرخ فيه الناصور مرة أخرى ويختفي ليجد لبيب أن باب الحجرة في مكانه يقوم من فوره ويسرع بالخروج غير مبالٍ أصلاً بالجسدين المطروحين تحت قدميه والتي من الواضح أنها تلفت تمامًا وتحتاج صيانة وذاكرة جديدة كي تواصل عيشها.

يخرج لبيب بحذر من جوف المقبرة ويتشمم الهواء باحثًا عن ذلك المارد ولم يجده.. لقد ذهب مممممممممممم ولكن لماذا أتى؟ هل يوجد من أرسله؟ من عساه يتحداني أنا؟ بل ويعاملني معاملة شرسة متوحشة وكأنه يحذرني لا يدرك لنفسي الأمر شيئًا؟ من من؟

تبدت الحيرة في عقل لبيب وقد شرد خياله مَن عساه يشتري عداوتي بهذه الطريقة؟ ومن عساه يستجلب جن مجنون كالناصور ليخيفني؟ ألا يدرك أن الناصور لا يؤتمن ولا يعاهد؟ لا بد أنه يئس ليصل لهذه الدرجة لأن الناصور لا يمكن أن يكون تابعًا لبشر لا بد أنه متبوع من البشر فهو جني عنيف حاقد.

ظهر سليم في طرف الحوش وقد جلس أرضًا لإعداد بعض الأحجبة ومن الواضح أنه لم ير شيئًا مما حدث

سأله عن مندورة فأخبره أنها غائبة عن الزيارة منذ أكثر من خمسة أيام، فيتعجب لبيب أكثر وهي التي لم تنقطع عنه كل هذه المدة بدون أسباب قهرية، هل تكون مندورة هي من أرسل ذلك الجن؟ لا لا هي أعقل من أن تتورط في خطأ كبير لا تقدر عليه، هو يعرف أن مندورة لها موهبة كبيرة في التخاطب مع الأرواح ولكن سقف موهبتها يقف عند مستويات أقل بكثير من مستوى (الناصور) ذلك الجن الخبيث وأشار لسليم كي يخلصه من أجساد ذلك الدجال وصديقه بأي طريقة فهو محتاج للهدوء وبالفعل تخلص سليم من الدجال ومن البنت وقد تبدل حالهم تمامًا وباتو للناظرين وكأنهم مكنسة كهربية وثلاجة تالفين ومهملين عند شركات الصيانة.

■■■

مجرد جنازة طائرة أخرى

من الطبيعي أن تدخل منطقة المقابر جنازات الموتى وبالجوار من حوش لبيب فتحت المقبرة تمهيدًا لاستقبال متوفى جديد، شارفت



الشمس على المغيب وتلونت الموجودات بذلك اللون الأرجواني الفاتح بينما تمشي الجنازة مصحوبة بالصراخ والعويل من النسوة في مؤخرتها بينما يحمل الرجال النعش ويتبادلون الحمل كلما أمكن.

جنازة عادية تذهب بميت عادي إلى مثواه الأخير العادي.

فهل من مشكلة؟

أما وقد تجاورت مقبرته مع عرين لبيب فالأمر مختلف تمامًا ذلك لأن لبيب لا يحب تلك الرائحة الحديثة والتي ينتفخ بها الميت بعد أيام من دفنه وقد شاهد سليم مساعده أن التُربي - حارس القبور - يقوم بفتح وتجهيز المقبرة للمتوفى الجديد، وأخبر لبيب الذي انزعج وبان على وجهه الغضب وأصدر تعليماته لخدمه بمنع الدفن في تلك المقبرة المجاورة بأي طريقة.

فكيف تصرف الجن لتنفيذ أوامر سيدهم لبيب؟

هذا ما سنراه في اللحظات القليلة القادمة كما حكاها ابن المتوفى.

■■■

تواصل الجنازة وقد كانت كبيرة من الواضح أنها لكبير عائلة أو سيد مهم وقد بان على المشيعين أنهم من أصول شعبية مثقفة وتملك المال وقد راحت النسوة يبكين ويصرخن على تلك الجثة المسجاة في النعش وكم كان طيبًا كريمًا يحب الفقراء ويعطف على المحتاجين وأنه كان شخصًا يتقي الله ويريد الخير لكل الناس، إنه السيد المرحوم حلمي عبد التواب الذائع الصيت في منطقته وعضو مجلس الشعب السابق، وتقترب الجنازة المهيبة من ناصية الشارع الجانبي حيث يقع الحوش

الفخم و المخصص للعائلة وقد لوح قرص الشمس الموجودات باللون البرتقالي الصافي.

وكان يحمل النعش قبالة ستة أو ثمانية أشخاص يتبادلون الحمل بكل صدق وكل مجاملة وقد تغطى النعش نفسه بغطاء خشبي عالي وملقى عليه مفرش فاخر لونه أخضر غامق تتخلله النقوش الذهبية البراقة وتتقدم الجنازة من الشارع الرئيسي الذي يتفرع منه شارع المقبرة المجاورة لمقبرة لبيب ومثواه الأرضي.

هل تشعر بما أشعر به؟ هكذا ينظر رجل من حاملي النعش لرجل آخر شاعرًا أن النعش آخذ في زيادة الوزن بطريقة بدت غير ملحوظة في البداية ولكن ولكن ولكن فعلاً النعش يثقل على أكتاف الرجال وتتثاقل الخطوات الحاملة كلما اقتربوا من ناصية شارع المقبرة، هل تشعرون الآن بمدى ثقله غير المحتمل؟

فنظر الرجال بعضهم إلى بعض في تساؤل وخطوا بعض الخطوات إلى داخل الشارع ثم يزيد الضغط وكأنهم يحملون سيارة بيجو 404 ليصيح الرجال تحت النعش وقد شعروا أن النعش يثبتهم في الأرض وكأنهم مسامير تحت مطرقة ثقيلة، وجرى إليهم الرجال ليجبروهم ويحملون عنهم المشقة حاسبين أن الوزن كما هو، كما توهج المفرش المسدل على النعش بلون أحمر قاني بدا وكأنه ألسنة لهب تندلع من النعش الخشبي ينزلق النعش من على أحد الأكتاف تحت ثقله المفاجئ ولكن يلحقه اثنان من الشباب وقد بانت عليهما الدهشة بمجرد رفع النعش من شدة ثقله.

نظر المشيعون إلى بعضهم وسرت بينهم همهمة..





الميت لا يريد الدفن وإنه يخاف من عذاب القبر.

الميت خايف يقابل ملك الحساب والعقاب.

الميت عليه دين وصاحب الدين مش مسامحه.

هكذا تلاعب خدم لبيب بطريقة لا يمكن توقعها.

تعالى الأصوات بلغط بين من يلقي بموعظة وبمن يتلقاها وقد سكتت النسوة عن الصراخ وبان عليهن الخوف ليخرج عليهم شيخ مصاحب للمشيعين قائلاً لتتحركوا للوراء فيعكس الرجال- حملة النعش- اتجاههم بصعوبة تحت وطء ذلك النعش وعندما تحركت أقدامهم خف الوزن تدريجيًا بل وعاد اللون الطبيعي للمفرش كما هو أخضر راضيًا وبدا وكأنهم يحملون نعشًا فارغًا واشتد استغراب الناس خصوصًا عندما خرجوا به للشارع العريض بدأ النعش يهتز اهتزازات خفيفة لأعلى وكأن النعش يريد الطيران لأعلى وتشبث الرجال بالنعش بقوة جاذبين إياه لأسفل وقد تكاكأ الباقي ليمسكوا بالنعش الموشك على الطيران ساحبًا إياهم لأعلى ومنطلقًا للأمام وعلت سحابة من الغبار الناشئ من احتكاك الأحذية السوداء في أرض المقابر المتربة وحين اشتد تشبث الرجال بالنعش وهم يهللون بأصوات متفاوتة إن الله أكبر الله أكبر ثم بدأ يدور كمروحة عملاقة حول نفسه رافعًا الرجال أنفسهم معه وارتبك الجو تمامًا وتبادل الناس النظرات وخرجت إحدى المشيعات- مؤكدة أنها صديقته السرية أو عشيقته- صارخة بأن المتوفى يريد الفرحة فقد كان رجلاً يحب الفرفشة والحظ والسهر- في إشارة خفية منها لعلاقته بها- كانت المرأة في لباس أسود وشعر أحمر مصبوغ بفحش وقد تلونت سحنتها بالأصباغ غير الملائمة لجو الحزن العام،

ينظر لها الناس برهة ثم يبدءون بالتصفيق والتهليل بصوت تعمه الفرحة المصطنعة وتعالت زغرودة من المرأة لتتبعها بقية النسوة ومنهن أرملة الميت وبناته ليهدأ النعش وتقل حركة دورانه ويهبط على الأكتاف كما تفعل النعوش التي تحترم نفسها.

■■■

«((هذا المشهد بحذافيره رأيته في صغري لجنازة رجل اشتهر بالتقوى والمجون في نفس الوقت))»

■■■

ثم بدأ النعش يجرهم جرًا في اتجاه شارع آخر ضيق شارعه الأول وحط النعش على أحد الأحواش المخصصة لمدافن الصدقة وهي أحواش منتشرة في المقابر ترعاها الجمعيات الصوفية أو ذات النشاط الاجتماعي ليهتف الناس بأن الله أكبر الله أكبر لقد اختار الميت أن يدفن وسط الفقراء ليخفف الله عنه الحساب، وبالفعل فتحت مقبرة منهم ليوارى الرجل الثرى كأفقر خلق الله فبالرغم من عظمته وغناه فقد قبل أن يدفن وحيدًا مجهولاً بين فاقدي الأهلية والنسب مثله مثل الشريد والمعدوم شنقًا ووقف أهله يتلقون العزاء أمام حوش الفقراء تاركين حوشهم الضخم المجهز بكل عناية بأغلى أنواع الرخام الإيطالي المطرز.

■■■





لبيب وهزاع

يخرج لبيب من حوشه القديم لينظر في فخر وسخرية وقد احتقن بالكبرياء والغرور الشيطاني ووقف خلفه سليم لا يفهم شيئًا سوى أن سيده منع دفن الميت بمقبرته الفاخرة لأن هذه إرادته وقبل أن يستدير لبيب يلمح دخول رجل غريب من ناصية الشارع مقتحمًا، رجل أشعث ملبد الشعر غزيره ضخم البنيان، يدخل الشارع بقوة الاقتحام، توتر لبيب بشدة وهو ينظر إليه بينما يبادله الرجل نظرات بنظرات أشد قسوة وعدائية فها هو هزاع في مواجهة لبيب.

■■■

يدرك سليم إلى أي مدى سيده يتوتر فيقدم نفسه على سيده في مواجهة ذلك الخرتيت بل إن سليم يفوقه حجمًا وقوة، يتقدم هزاع أكثر فأكثر ويقف سليم أمام سيده ليحميه بجسده وقد احمرت عين لبيب بالكراهية والتوتر.

يقف هزاع في منتصف المسافة وينظر بسخرية إلى سليم ثم يشخر ببذاءة منقطعة النظير مخرجًا ذلك الصوت القبيح الذي يستخدمه السفلة من الناس عندما يعبرون عن التحدي المفاجئ للموقف اخخخخخخخخخخخخخخخخ

وينحني ليلتقط حجرًا متوسط الحجم ليقذف به سليم الذي ينحني جانبًا لترتطم بصدر لبيب لينتزعه من مكانه ويلقيه على الأرض ليهجم سليم عليه ويتقاتل معه بشراسة وقد انطرح الاثنان على الأرض متدحرجين في صراع وحشي وقد نظر كل منهما إلى عين الآخر في

غل شديد وبدت الغلبة لسليم الأضخم حجمًا من هزاع، ولكن الخبث والفجور تبديا مطلين من عيني هزاع الجهمنية وما إن أحكم سليم حصاره وهياجه إلا ويبصق هزاع بلغمًا لزجًا أخضر في وجه سليم المحتقن ليتقزز سليم وتقل قبضته جزئيًا لينقض هزاع عليه ويطوق رقبته بذراعه الغليظة ويضغط بتركيز وغل ليشل سليم عن الحركة وقد برزت عيناه في احتقان الموت وأطلق حشرجة عنيفة تفيد باختناقه بينما يدير هزاع وجه سليم بالقوة ويبصق مرات على فمه وأنفه ذلك البلغم المقيت ليتشنج جسد سليم وينتفض برعدات متواصلة ليفلته هزاع فجأة ويجول بعينيه في غل وكأنه حيوان مسعور باحثًا عن لبيب ليجده واقفًا إلى جانب الحائط متسمرًا كقط هزيل حشر في زاوية السلم من كلب ضخم مسعور.

لو كانت النظرات قاتلة لما كانت أشد حدة من حقد هزاع على لبيب، يتقدم منه ببطء، ارتعاشة عضلات وجهه الكهربية تشي بما يعتمل داخله من حمم للحق لا بد أن لبيب هالك لا محالة.

■■■

يشهق سليم شهقة عاتية ويزفر لافظًا تلك السوائل اللزجة عن وجهه ويقوم مترنحًا ويطلق صرخة غضب نهائية ويجري على هزاع الذي استدار إليه وقد لعبت كل شياطين الجحيم في عينيه ليتلقاه هزاع ويضرب رأسه بنطحة فولاذية لينفجر الدم من وجه سليم وقد اختلطت عظام أنفه مع أسنانه وأمسك به هزاع جرًا وألقاه بسهولة في جوف قبر الرجل الغني في الحوش المجاور لحوش لبيب، واستدار مجددًا إلى لبيب وعلت شفتاه المقززتين ابتسامة انتصار.





نظر له لبيب في تحفز وأخذ في التمتمة وقد أبصر جسدًا ضخمًا مقطوع الساقين يعتلي كتف هزاع ينظر بسخرية مقيتة له، نهايتك حانت يا لبيب ولا مجال للطموح بعد الآن فأنت مع فاجر يفوقك حجمًا ويعلوه جن من أشر الأنواع كما يعلو البخار الساخن الماء المغلي في المراجل ويا لها من نهاية.

■■■

شهادة مدحت على الحادث

حادثة غريبة يرويها مدحت ابن المتوفى وصديق قديم لتامر.

أخيرًا دفن أبي بعد تلك الضجة التي أحدثها نعشه، ونحن نحمله لمثواه الأخير وأظنه لا يريد أن يدفن مع أمي لسبب لا أعلمه ووقفت أتلقى التعازي الحارة من المعارف والأصدقاء وبينما يشد أحدهم على يدي في بروتوكول سخيف تناهى إلى سمعي صرخة غضب واضحة واهتز كياني تمامًا فهل أبي يحاسب الآن؟ وهل يصرخ بمثل هذه الطريقة ليعبر على اعتراضه على أمر ما؟ أم أنه يعذب؟!

توترت أعصابي واختلجت زاوية فمي في ارتعاشة واضحة من الخوف وقد حسبها المعزون- أولئك الأغبياء- أنني شديد الحزن على أبي ليتفاقموا إليّ مهدئين ومستبشرين خيرًا لأبي بينما تلك الصرخة تدوي في أذني ثم سمعنا محادثة مشتعلة بين صوتين بلغة غير مفهومة صوت أجش مترجرج وصوت حاد مؤلم والصوتان يتكلمان بنفس العدائية والحقد ولكن اللغة ليست مفهومة على الإطلاق، وتبعثر الناس من حولي متوجسين خائفين وقد شارفت الشمس على المغيب وتلون





الشفق بأحمر قانٍ وإن ظلت الموجودات في حدود الرؤية، صوت عراك يقترب من حافة الشارع التالي حيث يقع حوشنا المرفوض من أبي العنيد مع صوت ارتطام وصفع وجر.

لأجد نفسي أنا والناس من حولي نشاهد ما سيحفر في ذاكرتي للأبد..

■■■

ففي أول الشارع الذي نقف فيه نبصر رجلاً ضخمًا شديد القذارة يجر شابًا يافعًا من رقبته وقد أخذ يكيل اللكمات لهذا الشاب ذي الجسد الهزيل بينما الشاب لا يتبادر منه أي رد فعل... كيف هذا؟ هو يتلقى اللكمات في صبر قوي وتحمل عصبي مكتوم الرجل الضخم مازال يجره سحلاً من رقبته بمنتهى القوة ليبدأ الناس الخروج من مرحلة الذهول إلى مرحلة التفاعل ويقتربوا أكثر من المشهد الخرافي وأنا واحد منهم ولكننا وقفنا على مسافة قصيرة منهم.

وقد تملك الجميع شعور بأن هذا المشهد فوق قدراتنا نحن البشر، البعض يخاطب الرجل الضخم بأن يكف عن سحل الشاب الهزيل ولا حياة لمن تنادي، ولاحظت أن الشاب الهزيل يحرك شفتيه بتمتمة خافتة بينما عيناه تنظران شاخصتين للأمام والرجل الضخم يظهر كرمه الحاتمي في التنكيل والسحل بالشاب دقيق الملامح

وفجأة.........

تصلب جسد الشاب الهزيل ونظر بكراهية للرجل قائمًا على قدميه وناظرًا للرجل الذي كف عن الضرب وشخص ببصره لعين الشاب





وأمسك الشاب بماسورة حديدية صدئة كانت ملقاة بين أكوام الأحجار ورفعها عاليًا ليهوي على وجه الرجل الذي لم يحرك ساكنًا وأخذ الشاب يرتفع ويهوي على رأس الرجل وكتفه وصدره ولكن الرجل لا يحرك ساكنًا ونحن ننظر بترقب كمشاهدة أفلام الافتراس بين حيوانين وحشيين كتمساح وأناكوندا، فالشاب بدا قويًا صلبًا كالفولاذ والرجل بدا مصمتًا مصبوبًا كالخرسانة ونحن لا نتخيل أن ندخل وسطهم فأقل ضربة في تلك المعركة الدائرة تودي بحياة الإنسان أو تعجزه للأبد والشاب ما زال ينهال على وجه الرجل بتلك الماسورة الحديدة الضخمة ليتحرك الضخم فجأة ويضم وسط الشاب إليه عاقدًا ذراعين من الأسمنت المسلح حول جذع من أسياخ الصلب بينما الشاب ينطحه بعزم الفولاذ وهو محمول بين ذراعيه يلقيه الضخم أرضًا ويدوس عليه ويضربه بقدمه الغليظة في بطن الشاب ورأسه والشاب ينظر له بتركيز ثم ينهض فجأة ليقبض على الرجل من عضوه الذكري ويعتصره بقوة ليفقد الرجل تركيزه وينحني لأسفل مقوسًا ظهره ليتلقى وجهه صخرة جرانيت مدببة ليدخل وجهه فيها بكل أمانة وتتهشم جمجمته ببطء مع كل ضربة من يد لبيب لوجه يوسف.

ليسجد الرجل نازلاً على ركبتيه بينما لبيب يواصل نقش رأسه بأزميله الجرانيتي ليسقط الرجل منكفئًا على وجهه ومثيرًا لعاصفة من الأتربة ويتسدير لبيب في مواجهتنا جميعًا وقد انتفش صدره وبانت ضلوعه وانفجر في وجهنا بالغرور والتحدي مرسلاً نظرة واحدة منه إلى كل شخص فقط ليقلق هذا الشخص أو يتجمد وعندما نظر لي أحسست أنني أرى ثعبانًا عاصرًا يريد أن يلتف حولي ضاغطًا ليبتلعني



وارتجفت بشدة، أكمل إرسال نظراته المسمومة وتأكد من إلقاء الرهبة والخوف الشديد في صدورنا وانحنى ليجر الجسد بمنتهى البساطة وكأنه يجر مقعدًا خفيفًا تاركنا في حال من الذهول تجاوزت الخيال وقد نسي الناس العزاء تمامًا وأولهم أنا واندفعنا خارجين ومتجنبين الظلام المنتشر ببطء في الأفق.

والعزاء؟!

ليذهب العزاء لجهنم فأنا لا أريد أن أكمل أي شيء يخص الموت والقبور والشياطين التي تخرج تقتل بعضها أمامنا.

■ ■ ■

يجره لبيب شاعرًا بانتصار أكبر وقد تراءى له الجن الناصور شامتًا في يوسف المحطم تمامًا وقف لبيب أمام الجن بقوة ليصرفه عنه بينما الناصور يقف ناظرًا له بشيء من الخنوع وقد عرف لبيب أنه ضم الناصور إلى قطيعه وإن لم يفضله تمامًا ولكن لا بأس من تربية بعض الذئاب فالناصور فعله مزلزلًا رهيبًا ولسوف يحتاج له لبيب لاحقًا في خدماته ومعاركه التي سوف يذيق مرارتها لمن يجرؤ على تحديه أو إيذائه.

■ ■ ■

ينتصر لبيب تمامًا على يوسف الهزاع ويجرد يوسف من كل أوسمته المهنية ويترك له الجنون المطبق ليهيم يوسف على وجهه المهشم في الشوارع بشكله المرعب الرث والناس تتحاشاه قدر الإمكان بوجهه كالعجينة، يفتح هزاع عينيه ليجد نفسه ملقى وسط مقالب القمامة





بالقرب من سوق المنيب بالجيزة، فقام من رقدته الإجبارية وقد سحقت أفكاره وتشتت تركيزه شاعرًا لأول مرة منذ عقود بتشوش ومد يده يتحسس وجهه ليشعر بأنه يتحسس عجينة متورمة وقد تشوهت ملامحه واختفى وجهه القديم السام ليحل محله وجه مرعب، فجأة ينتفض بالعصب وقد ارتجف وجهه ونظر بعيدًا ليرى خلق الله وقد تفاعلوا مع بعضهم على مشارف السوق فهذه تزن الخضر وهذا يرفع البضائع وقد انشغل الجميع برحلة سوق المنيب وقد ارتفعت الشمس في كبد السماء تلون الموجودات بأشعة لاسعة يكرهها يوسف تمامًا لأنه أصلاً لا يطيق ضوء الشمس.

تقدم نحو السوق مترنحًا ليبدأ الناس في النظر إليه وامتلأت عيونهم بالتشاؤم لرؤيته وفي حين أن يوسف يتجول في السوق صانعًا دهاليز خالية من البشر في مساراته واعتلت الوجوه خلطة من الخوف والاشمئزاز لذلك الرجل شديد القذارة مشوه الوجه.

■■■

نهاية مروعة لهزاع

تغيرت وانهارت قدراتك يا هزاع بعد سنوات التجبر والعنفوان من يراك الآن لا يتصور أبدًا أنك ذلك الفحل صاحب تجارة المواشي والذي امتلك الولد والبنت والمال لكنه إصرارك على الانتقام من حماتك وإصرارك أكثر على الكفر والتقرب للشيطان ها أنت تعود لنقطة متجمدة تحت الصفر مجردًا من قدراتك بسبب ذلك الساحر



الذي هاجمته في مقابر البساتين وقد هيأ لك غرورك أنك قادر على سحقه فإذ به يجردك من شياطينك ويترك لك الذل والتشرد والجنون.

انتابت يوسف موجة غضب صاحبتها ارتعاشة في أطرافه والناس تنظر له وتبتعد في زهد كامل، تغلي أعضاؤه بغضب الأبالسة ويتحرك ركضًا من مكانه ليسود السوق حالة من الارتباك والفوضى ثم يشعر بضربة حجر على رأسه ليزيد هياجه إلى درجة جنونية وأخذ يجري بشكل عشوائي بينما يلعب بعض الصبية الصغار بجانب عربة خضار ليدوس عليهم يوسف ويسحل طفلين منهم تحت وزنه العاتي تحت أسماع وأنظار الناس.

تهيج جموع الناس على يوسف وقد أعماهم الغضب من منظر الطفلين المهروسين بفعل أقدام هزاع المتعفنة، يجري هزاع متوجهًا ناحية مصرف ترعة الزمر المكشوف والناس تجري وراءه ومن بينهم شاب في العشرينات يجري وراءه بمنتهى الحماس وقد أمسك بسكين الموز المعكوف.

ألا تلاحظ شيئًا في هذا الشاب؟ إنه يمتلك جسدًا فائرًا قويًا ويتمتع بقوة أهل الريف وعنفوانهم، يسبق هذا الشاب الجميع ليلحق بهزاع المذعور ويدركه عند منحدر المصرف ليلتحم به وتدور بينهم معركة عنيفة فهزاع ليس بالجذع الضعيف ويملك الكثير من الشر والشراسة الجنونية بينما الشاب يملك ما هو أخطر يملك الغضب العاتي في مواجهة ذلك المسخ القاتل، فالشاب يتعامل مع هزاع معاملتنا للذئب أو العقرب أو الثعبان بعد افتراسه لأحدنا فلا بد من تنفيذ حكم



فوزي بالإعدام، يتلاحم الجسدان وقد تلوى وتصلب كل جسد فيهم بالكراهية والمقت.

ألا تلاحظون شيئًا عجيبًا.

الشاب يشبه إلى حد كبير هزاع نفسه، له نفس القوام المدمج القوي ونفس العيون السامة والبشرة السمراء المحتقنة بالفحولة والشقاء، يتجمع الناس على أطراف تلك المعركة ويوسف يقاوم ويهجم بشراسة على الشاب المنتقم، وعلى مقربة من المعركة الدائرة تقف امرأة عجوز تشاهد وتركز نظرتها لترى أكثر.

إنها زوبة والتي أصبحت ترى بشكل جيد الآن وقد تصادف وجودها في السوق ووقوف الناس بالقرب منها يصرخون وقد تطوع نفر من الرجال للتدخل والقبض على هزاع، ولكن بعد فوات الأوان فالشاب دار حول هزاع في مناورة مستغلاً مرونة جسده وتيبس جسد هزاع الكهل ليغرس طرف السكين الملتوي في عنق هزاع ويدور بيده فجأة وبقوة ليذبح العنق وينفجر الدم الملوث بالغضب الإلهي بينما هزاع يواصل المعركة غير عالم بأنه ذبح أصلاً يبتعد الشاب عنه ممسكًا بسكينه المنجلي وقد سالت قطرات الدم من حوافه بينما هزاع يجري في اتجاهات متضاربة ماسكًا بحجر في يده يحاول أن ينال من الشاب.

وعنقه المذبوح ينز بالدم وقد أغرقه تمامًا ويواصل الجري والهجوم على عدوه الذي ابتعد تمامًا عنه ثم يتوقف فجأة في مكانه ويتجمد الموقف فهزاع المذبوح مازال يقف على قدميه ناظرًا إلى الناس كما تذبح الدجاجة وتجري ملتقطة الحب من بين شقوق الأرض وعنقها مقطوع، يلقي هزاع بالحجر أرضًا ويمد يده إلى رقبته يتحسس جرحه




البالغ ويمد أصابعه إلى داخل القطع غير مصدق، ثم ينظر إلى الناس ويحدق بالصراخ وما إن يحاول إطلاق صرخته اندفعت الدماء أكثر من عنقه المقطوع لتخرج حشرجة بشعة مكان الصرخة الأخيرة ويهوي في المصرف العميق.

بعين ترى الآن تشهد زوبة موت هزاع وامتلأت بالتشفي المرتجف فأخيرًا انتهى الشيطان ومات بطريقة تؤمن له نعشًا مضيئًا بالنار يتجه ببطء على قضبانه إلى فجوة أرضية تضيء بالحمم.

يتجمع الناس حول الشاب القاتل ليكتشفوا أنه أبو أحد الطفلين المسحولين واللذين فارقا الحياة تحت أقدام هزاع، وتخترق الناس امرأة في أواسط الأربعين من عمرها بيضاء الوجه إلى حيث الشاب وتحتضنه بقوة ملقية بجسدها عليه وهي تنتفض صارخة فيه أن يهدأ وقد عرفت بموت ابنه تحت أقدام الساحر، يبعدها الشاب بيده وقد غلى بالغضب والضياع ليخبرها الناس بأنه قد ذبح الساحر هزاع.

هزاع؟!!!!!

نظرت لهم المرأة صارخة بالاسم.

ابني هو اللي دبح هزاع؟!! دبحت هزاع يا غانم؟!!

ويا لها من مصادفة- نعم كما تدركون الآن وبمحض قوانين القدر ولا علاقة لي في الموضوع، نعم فالشاب هو ابن هزاع الأكبر والذي رحل بعيدًا مع أمه وإخوته وقد كانوا غير بعيدين عنه فهم يعيشون في مسكن حقير بمركز المنوات القريب على طريق المنيب، ويتجمع الناس قائلين بأن الشاب بطل وأنهم لن يذكروا شيئًا عن مقتل هذا





الساحر الحقير خصوصًا أنه الآن في أعماق المصرف ينفض الناس مع الوقت بينما تأخذ المرأة ابنها وحفيدها المقتول ترحل وهي لا تعرف أن أمها زوبة في أثرها لتقترب المرأة أكثر منها منادية عليها.

تنظر المرأة إلى زوبة طويلاً ثم تصرخ: أمي؟!!!!!

المزيد من العناق والقبل المحمومة بين الأم وابنتها الغائبة فالقدر يا زوبة عاقبك وذهب ببصرك عن طريق السحر الذي لجأتي له قديمًا والقدر أعاد لك بصرك لتشاهدي بعينيك مقتل هزاع وعلى يد من؟ على يد ابنه الكبير)غانم) بل أيضًا أنتي الآن تشاهدين ابنتك وتحتضنيها بضلوعك فهل يمهلك القدر وقتًا إضافيًا للتوبة.

تعود زوبة وابنتها إلى ربع هزاع الواسع واصطحبت غانم وباقي أولاده الذين هم أحفاد يوسف الهزاع بعد أن لملم غانم أشلاء طفله المعدوم هرسًا تحت أقدام الجد الكافر.

ونظرة كل واحد منهم تقول للآخر: لنبدأ من جديد!

■■■

يجلس لبيب متربعًا على كرسي السلطة الشيطانية كوزير مفوض ويتنامى إحساسه بنفسه أكثر وأكثر، وتتولد له قدرات هائلة، والغريب أنه أصبح أكثر تحررًا من عهوده مع الشياطين والجن بسبب تحالفه مع كبارهم فلماذا ألتزم بعهودي مع صغارهم؟ وشعر كمن أدى فترة تدريب مرهقة وقد ثبت الآن إلى وظيفته المريحة فهو الآن قادر على ملامسة الماء الطهور والتجول نهارًا وتناول أطايب الطعام وكان يزوره إحساس مقلق من وقت لآخر:





لماذ لا تعود مندورة؟! إنه يريد أن يمنحها شيئًا من تلك الرفاهية الجديدة خصوصًا وأن سليم قد تشوه، وأصبح وجهه منفرًا كالدمل وصار عاجزًا يجر رجلاً بالأخرى، وكم من مرة أرسل شياطينه للبحث عنها ولا مجيب منهم فهي تحصن نفسها جيدًا وهو يعرف ذلك، لمعت عينا لبيب وقد تطلع إلى مستقبل آخر لم يخطر على باله قط.

نعم يا لبيب العزيز قد صارت لك قوة تسود بها دنيا الأحياء وتتمتع بما حرمت منه طوال أعوامك الثلاثين، فأنت الآن لست بحاجة لتزاول أعمالك في جوف القبر مستعينًا بالسفليين الرعاع من الجن فأنت الآن تتعامل مع رجال حاشيتهم وليكونن انتقامك من أهل الدنيا عميقًا مركزًا مرضيًا تمامًا لنفسك المريضة.

(الروايات من بعض المشيعين في الجنازة وكلام زوبة وسليم الخادم ومندورة نفسها)

■■■

مع تامر مجددًا

استراحت نفسي وأنا أسمع أم ناهد تختم قصتها النادرة ونظرت لوجهها مليًا وحاولت أن استشف إحساسها بكل هذه الأحداث واكتشفت أن الإنسان بمرور الوقت يتحدث عن حوادث كبرى وكأنها مقطع من الذاكرة استدعاه ليتكلم عنه، فالإنسان متمسك لأقصى درجة بالحياة يحبها ويلعنها يهرب منها ولا يقدر على الاستغناء عنها، وكذلك أم ناهد التي استأنفت حياتها لتأكل وتشرب وتعيش وتسمر مثل ملايين البشر وإن تميزت عنهم بأنها مرت بتجربة قاسية في الحياة،

دمعت عيناها للحظات ثم استعادت نشاطها الصباحي وقد استعدت جزءًا كبيرًا من عافيتي وأصبحت على ما يرام الآن.

تقوم الأم لتقضي حاجياتها من السوق وأستأذنها في استخدام الحمام أثناء غيابها للاستحمام فقد عرفت أن ليس لدي قدرة على الاستحمام داخل شقتي المسكونة فرحبت وشرحت لي كيف أشعل السخان وأين محبس المياه ودخلت لغرفتها وخرجت مناولة إياي بشكيرًا نظيفًا لتذهب للسوق في رحلتها اليومية لتعود بعد ساعة ونصف أو ساعتين.

دخلت الحمام النظيف وخلعت ملابسي وأشعلت السخان الغازي الذي كان يصدر صوتًا عاليًا بينما النار تهدر داخله تسخن الماء، والغريب أنني أحببت صوته فهو يسليني ولطالما ألححت على أمي في أن آخذ وابور الجاز معي إلى الحمام وكانت ترفض بحجة أنني قد أختنق أو أحترق بينما أنا أحب صوته وإشعاعه المقتحم وأنا أستحم في الحمام.

خلطت الماء البارد بالساخن وابتسمت بتوتر حين تذكرت موقف الراقصة، جلست لأغمر جسدي في مياه البانيو الدافئة وأنا أشعر ببعض البرد لكن الحمام أخذ في التدفئة التدريجية بفعل مياه السخان المتدفقة صوت التدفق المريح الموازي لتصاعد موجة الدفء اللذيذة، الدفء يزيد ببطء لذيذ وأنا سعيد بكثافة المياه حيث إن حمامي الخاص في شقتي ضعيف الإمكانيات جدًا.

وتصاعدت الأبخرة الدافئة ذات الرائحة المميزة واختلطت برغوة الصابون الغنية بينما أما[illegible] رائق لجسدي المكدود وأغتسل

من أوهامي، لقد جف جرح ساقي كثيرًا ولا بأس من بعض النظافة المركزة وأغطس رأسي تحت مستوى الماء في البانيو وأرفعه بينما الصوت العالي للسخان يؤنس وحدتي المبللة الدافئة.

تثقل أجفاني رويدًا رويدًا وأنا جالس في الماء الساخن وقد تدغدغت أعصابي وشعرت أنني في حلم عارٍ مبلل أمارس فيه التصاقًا محبًا وحميمًا مع من أهوى وأحب وأعيش في أوهام الإشباع والرغبة، فأنا شاب يملك قلبًا ومشاعر عنيفة وأحلم في أن أتمكن من توفير مستوى رغد من المعيشة لألتقط من أحب وأشاركها كل حياتي بما في ذلك حمامي المبتل الدافئ.

وبينما أنا في أحلامي واسترخائي الممتع والممزوج بزفراتي الحارة إذ شعرت أن جو الحمام يبرد تدريجيًا نظرت للسخان لأجده مازال يهدر ولكن بالفعل البرودة تتزايد داخل الحمام بشكل لا يصدق، أدرت مقبض الصنبور للساخن فلم يأتِ إلا بماء مثلج، وبدأت أسناني تصطك في بعضها من البرودة لدرجة جعلتني غير قادر على مغادرة البانيو الذي بقي فيه شيء من الدفء.

بررررررررررررررررررررررررررر يا إلهي البرد يتزايد وقد اقشعر جلدي وتحبب من أثر الصقيع وانزلقت من يدي الصابونة إلى مياه البانيو الباردة.. وأحسست أن البخار في الحمام هو بخار التجمد وليس بخار الغليان.

أنظر وقد مددت ذراعي ليدلكا صدري وكتفي، البخار ينقشع جزئيًا لأفاجأ بمنقذتي الطفلة تجلس على طرف البانيو حيث قدمي وتبتسم لي في مودة، طفلة في السابعة من[illegible] قصيرة ينتشر الشعر الناعم

في وجهها وتتميز شـفتيها العليا بشق جراحي قديم بينما ينسدل شعرها الناعـم وراءها وتلبس ملابس حمراء مزخرفة وقد اعتمرت قبعة طويلة تذكرني بطرطـور المولد، وتنتهـي كل ملابسـها وطرطورها بجلاجل مشـخللة كمـا في سـرج الحصـان وكلما تحركـت ندت منهـا جلجلة ورنين مميز بل ومحبب للسـمع، نظرت لها في جمود وتذكرت أن لي ملفًـا مفتوحًـا في مديرية أمن الجن والشـياطين، مـدت البنت يدها إلى مـاء البانيو وأخرجت الصابونة في يدها ومـدت لي يدها لآخذها منها، نظرت ليدها الصغيرة المشـعرة ومددت يدي بتـردد كبير وأخذت منها الصابونة.

وقفت الطفلة على قدميها محدثة أكبر قدر من الشـخللة الموسـيقية ودارت حـول نفسـها واختفـت، ظللـت أنظر لمـكان وجودهـا طويلاً وشعرت بالسـخونة تتزايد مرة أخرى في الحمام، واصلت استحمامي بتركيـز أقل وقد أحسسـت بانطفاء كامل لرغباتي، وجلسـت في البانيو أتململ وأسـرع لأخرج وقـد فقـدت رغبتـي أصـلاً بالاسـتمرار في الاستحمام.

ولا فكرة لي أن هذه البنت أفكر فيها بعمق.

وأبحث عنها في ذاكرتي لأجدها مغلفة بالغموض.

وأسأل نفسي مرارًا ولا أجد إجابة فهل تعرفونها أنتم؟!

تُرى من هي تلك الطفلة ذات الشخاليل؟!

■■■



19

أنـا وأشجان



تاااااااامر يا تاااااااااامر

أسمع بصعوبة من ينادي على اسمي بإصرار.

أناااااااامر أنااااااااامر

إنه صديقي العزيز خالد وقد أتى إليَّ صباحًا لا بد أنه قلق لغيابي وعدم ردي على الهاتف، أسمع من يفتح له باب العمارة، وأنظر من العين السحرية للباب لأشاهده ينطلق لأعلى وقد أبرز مفتاح الشقة الاحتياطي والذي احتفظ به معه للطوارئ، أعدو إلى غرفة الضيوف لأرتدي ملابسي، فأنا مستحيل أن أخرج عاريًا هكذا في حوش العمارة.

في الوقت الذي يفتح فيه خالد باب الشقة ويدخل باحثًا عني.

جريت ملفوفًا بالبشكير إلى غرفة الضيوف وأنا أسمع صوت دخول خالد لشقتي والتي غبت عنها ثلاث ليالٍ متتالية، وأسرعت في ارتداء ملابسي وجففت شعري بالمنشفة بقوة فأنا لا أريده أن يعرف أنني كنت عند الجيران، بل وآخذ حمامًا عندهم، لن يصمت فأنا أعرفه وأعرف أنه يتعامل معي معاملة العهدة الحكومية، ولا بد من الحفاظ على هذه العهدة مهما كان الثمن، وقررت أن أتأخر عليه قليلاً وكأنني كنت في السوق أشتري شيئًا طارئًا.

يدخل خالد إلى شقتي المسكونة في وضح النهار وقد بلغت الساعة الواحدة ظهرًا ينادي عليَّ بصوته الجهوري:

- تامر إنت فين؟ يا طوط إنت ياض بقالك كتير مبتردش على التليفون؟

يضع صديقي لفافة الفطور على المائدة.

يبحث خالد عني فلا يجدني، شبابيك الشقة مفتوحة على مصراعيها، يتعجب خالد فأنا لا أطيق فتح الشبابيك نهارًا، وكم وجدني غاضبًا من هذا الفعل، كذلك لن أخرج بعيدًا ما دامت النوافذ مفتوحة هكذا، يدخل إلى غرفة نومي ويفاجأ بالفراش وقد تجوف لأسفل فيضحك بخبث متصورًا ما لم يحدث ويبرطم بغضب:

- والله عال بتصل بيك بقالي يومين وإنت محشور هنا في السرير يا ترى كنت مزنوق لوحدك ولا حد اتزنق معاك؟

توعدني خالد بالويل والفضيحة وقد غضب لسبب آخر وهو أنني طالما رفضت أي زيارة نسائية لبيتي وكان هذا أيضًا محل خلاف كبير بيني وبينه، إذ رفضت نهائيًا أن يصطحب معه إحدى تلك النسوة مصبوغة الشعر غائمة النظرات إلى داري، وهن كثيرات في حياة صديقي العزيز، يتجه خالد للثلاجة ليرى إن كان هناك ما يصلح للطعام مضافًا إلى إفطارنا، ويخرج كوب اللبن المعدني ويتجه للمطبخ ليضعه يسخن على الموقد.

يدخل صديقي العزيز للمطبخ حيث أشعل الموقد بقداحته وقبل أن يضع الكوب على النار وجد نفسه في الحمام ممسكًا بالكوب وموجهًا يده ليضع الكوب على الحوض، يتصلب صديقي مقطبًا حاجبيه في تفكير



هل دخلت الحمام أم المطبخ؟ ثم يبتسم لنفسه متصورًا أنها أوهام الحشيش، ثم يتذكر أنه لم يدخنه بعد، ثم يعود فيبتسم معللاً لنفسه أنه فاقد للتركيز بسبب غياب الحشيش لا بتناوله.

وخرج وهو يناقش نفسه أن هل ذلك التوهان بسبب أنه لم يدخن بعد أم أنه بسبب تدخينه أصلاً، ودخل للمطبخ ليجد الموقد مشتعلاً فرجع إلى حيرته الشديدة، وسائلاً نفسه هل توجهت للحمام لسكب الحليب؟ وقرب الكوب المعدني الكبير من أنفه يتشممه فيجده صالحًا، ينزل ساعده ليضع الكوب على الموقد ليجد نفسه مرة أخرى في الحمام، وقد أوشك أن يضع الكوب على قاعدة الحمام نفسه، تصلب مرة أخرى شاعرًا بصدمة لا تمت للاطمئنان بصلة، فأنا كنت موجودًا أمام الموقد في المطبخ فذهبت للحمام مرتين لماذا؟!

- تاااامر يا تاااامر!!

يسمع خالد ذلك الصوت الأنثوي الصادر من نجلاء جارتي المعجبة، يتجه للصالة واضعًا قدر اللبن على المائدة جوار الإفطار ويدخل لغرفة تومي ليخرج على نجلاء مبتسمًا ابتسامة لزجة مدروسة؛ فهو يهوى بشدة التورط في أي حوار يخص النسوة والبنات على اختلاف أشكالهن، والحقيقة أنني لم أجد من تقاومه وتحجب برجولته بينما هو يتفاخر أمامي بكل غرور وأنا أنتقده وأقلل من شأنه في تلك النواحي مغتاظًا من تصرفاته شاعرًا ببعض الغيرة بسبب خجلي من ارتكاب مثل تلك الأفعال.

يخرج خالد عليها مستعرضًا ابتسامته ونظرته الوقحة بكل فخر ويمثل دور المتسائل المتعجب، لتفاجأ نجلاء بخروج خالد عليها كالقضاء المستعجل بدلاً مني أنا وتنظر له في ارتباك وتسأله عني:

- تامر هنا؟ ينظر خالد لها وقد سبل عيونه بطريقة لزجة.

- نعم؟!!

تكرر السؤال بشيء من الضيق، يجيبها مقلدًا لطريقة كلامي ولكن بطريقة مبتذلة كوميدية:

- اعتبريني تامر واتكلمي معايا كأني هو وقوليلي عايزه إيه يا شيكو لاطه؟!

تنظر له بغيظ وإن اضطرت للابتسام رغمًا عنها وقالت بدلال مفاجئ:

- متنفعش خالص تبقى تامر.

تتراخى ملامح خالد في تقزز ويمط شفتيه لأسفل وكأنه اشتم رائحة كريهة.

- إنتي اللي متنفعيش مش أنا.

ويتركها بكل كبرياء متجهًا للصالة وقد شعر بالغيظ منها ومني أنا أيضًا، ويصدر المزيد من التوعد لشخصي ثم يتذكر اللبن فيتجه مرة أخرى ليأخذه في يده متجهًا للمطبخ ليضع الكوب على الموقد المشتعل أصلاً من زمن، ويخرج وقد نسي حادثة الحمام والمطبخ ويتحرك لغرفة البضائع مقلبًا فيها بكل نشاط ويأخذ في رص ما سيأخذه منها معه في السيارة كطلبية مستعجلة.





ويمر الوقت وخالد منهمك في التقليب والبحث في البضائع ممسكًا بورقة الطلبية، ثم يتذكر فجأة الحليب على النار فيسرع متجهًا للمطبخ في الوقت الذي تمتد فيه يد صغيرة مشعرة لتغلق مفتاح الموقد، ويدخل خالد متوجهًا للمطبخ ليجد الموقد مغلقًا وكوب الحليب قد غلي بالفعل على النار.

ينظر ليتأكد وينحني ليهز بأنبوبة الغاز ليجدها مملوءة بالغاز، واعتدل خارجًا ليجد فتاة صغيرة في السابعة لها شكل غريب تلبس فستانًا أحمر، زطرطور ليرتج خالد وقد انخلعت مفاصله وارتعدت بفعل الخضة من مرآها أمامه بلا مقدمات بينما البنت ترمقه في هدوء.

يصرخ فيها محتدًا ويسألها كيف دخلت؟ لتنظر البنت إلى باب الشقة المفتوح والذي أغلقه خالد بالفعل وراءه.

نظر لها خالد متسائلاً مرة أخرى وقد خبا غضبه وارتجاجه عما تريد، تمد الفتاة التي خمن أنها خرساء يدها بطبق ملفوف بعناية فيأخذه منها، تنظر له الفتاة بعمق ليشعر خالد برجفة في أوصاله منها ويكرهها على الفور، ويضع اللفة على المائدة بينما تتجه الفتاة خارجة من الشقة ثم يتذكر أن يسألها فيجري على السلم الذي خرجت له الفتاة لتوها ليجد لا أحد إطلاقًا على السلم سواء الصاعد أو النازل.

يتوقف خالد حائرًا على البسطة المواجهة لباب الشقة ويمعن النظر لأسفل ليجدني خارجًا من شقة السيدة العجوز ومتجهًا لأعلى فيندهش ويقرر الانتظار ليفاجئني على ظلمة السلم، ورجع للوراء صاعدًا ومختفيًا عن أنظاري.



أتوقف قليلاً في حوش العمارة ثم أصعد السلم في الوقت الذي يكتم فيه خالد أنفاسه ليفاجئني بتلك الحركة الطفولية القاسية في حين تقف بنت صغيرة خلف خالد وقد وضعت يدها في وسطها متحدية وغاضبة لينظر لها خالد ويتجمد من الرعب.

أصعد الدرج شاعرًا بمختلف الأحاسيس المتضاربة، وقد تولد شعور غريب لدي بأنني الآن غير خائف وأنني أريد الاستمرار في هذه الشقة، وأنني لا بد ألا أعرف صديقي بما حدث حتى لا يجبرني على الانتقال، وقد تغلب على نفسي شعور قاتم بالغضب غير المبرر منه.

أنظر له متعجبًا وقد تطاير الشرر من عينه قائلاً:

- إيه الزفت البت الغريبة دي كانت هتموتني من الخضة وإنت كنت فين يا بيه؟

أنظر له قائلاً بهدوء.

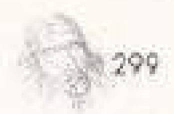
كنت بعمل تليفون دولي في السنترال.

ينظر لي غير مصدق ثم يقوم لفتح لفافات الإفطار آمرًا إياي بتحضير كوبين من الحليب، دخلت للمطبخ لأول مرة بعد سماعي عن قصته من أم ناهد، وقد تمكنت مني الرهبة، فأنا أقف في مكان احتراق ناهد حيث انتحرت في المطبخ هربًا من الشياطين، وسرحت أتذكر تلك التفاصيل التي امتلأت بها على مدار ثلاثة أيام ليخرجني صوت صديقي مناديًا.

أخرج له حاملاً كوبي الحليب الساخن وقد أخرج لفافات ورقية بها أنواع من الجبن والزيتون.

- أكلة أفرنجي آهي بلا فول بلا ... قلب.





ينظر لي فيجدني شاردًا مفكرًا.

- إيه يا طوط الله يخرب بيتك ما لك مسهم كده؟

أنظر له عائدًا للواقع بسرعة ومتظاهرًا بالانهماك في الطعام:

- ولا حاجة يا أبو إسلام قوللي عملت إيه؟

ينخرط خالد في الكلام عن تفاصيل العمل بينما أنا أنظر شاردًا لبنت صغيرة تقف على باب البلكونة المفتوحة وقد ابتسمت لي ابتسامة واسعة، وصديقي مازال يسرد لي مواقف العمل بحماس وأنا تقريبًا لا أسمعه.

لأسمعه يقول:

- وأنا النهارده هشحن للسوق وكفر الشيخ وهروح العتبة وأرجعلك على السهرة.

أنظر له موافقًا في شرود، فينظر لي زاعقًا.

- ما لك ياض إنت إنت مش طبيعي النهارده؟ وليه مكنتش بترد على التليفون؟ قلقتني عليك وأنا مسافر ومكنتش فاكر نمرة بيت أمك عشان أتصل.

أنظر له قائلاً:

- أحسن، ثم أستدرك قائلاً: أصله كان مفصولاً وأنا معرفش.

يقوم خالد لإتمام عمله بينما أنا مازلت جالسًا للمائدة أسمعه يقول بسخرية:





- شقتك دي معفرته والله كل ما أدخل المطبخ ألاقي نفسي في الحمام.

أنظر له مبتسمًا وقائلاً:

- طبعًا يا مسطول هتعرف تفرق بين الحمام والمطبخ إزاي وإنت أصلاً ناسي اسمك!

يخرج خالد من غرفة المخزن قائلاً:

- والله لسه ما حطيتها في بقي ولا اصطبحت.

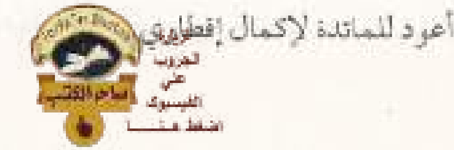
......

يلملم بضائعه بنشاط ويخرجها لخارج باب الشقة بنفس الروح العملية التي أعرفها عنه وينزلها على موتيس في سيارته، وفي المرة الأخيرة يقابل الحاجة أم ناهد والتي رجعت أخيرًا من السوق ليلقي عليها السلام وتسأله عني فيرتبك خالد قائلاً هو مش كان لسه خارج من عندك؟

فتضحك أم ناهد ولا تعلق وتودعه مصحوبًا بالدعوات وتتجه داخلة لشقتها.

ثم تخرج بعدما تأكدت من رحيل صديقي وتناديني بشيء من القلق لأخرج لها مستجيبًا، تنظر لي في تساؤل فأجيبها بأنني بخير، وأعلمها بأنني باقٍ في الشقة لبعض الوقت، تبتسم لي مشجعة وتخبرني بألا أنسى موعد الشيخ رأفت ليلاً، فأهز رأسي لها موافقًا.

أعود للمائدة لإكمال إفطاري.





نظرت للمائدة فوجدت لفة أخرى ومددت يدي لها وفتحتها لتقعم خياشيمي رائحة أحبها جدًا، فاللفة كانت لطبق مزين بعروق البقدونس تعلوه أصابع غليظة ملتفة محمرة بعناية، إنه الممبار العظيم.

نظرت له وابتسمت وسحبت أصبعًا غليظًا وأكلت نصفه بسعادة مع إفطاري ثم أعدت الباقي للطبق ولففته مرة أخرى ووضعته في الثلاجة، وقد حسبت أن خالد أتى بالطبق الشهي كهدية رائعة من زوجته وأجلت تناوله للعشاء معه؛ فأنا أشعر بخدر في أطرافي وتنميل في أجفاني وأريد أن أنام جدًا.

ولكن هل نسيت ما حدث لي في ليلتي المشئومة؟

لا لم أنس ولكن الغريب أنني تجاهلت كل هذا وبررت لنفسي أنني مازلت في الظهيرة، وأنه لن يحدث شيء، إضافة لكوني فعلاً ناعسًا جدًا وأشعر بكسل راسخ، وأنني لن أقدر على النعاس عند الجيران وهم في وسط يومهم، نعم نعم لن يحدث شيء ولأنام قليلاً في شقتي.

أغلقت نوافذي ورتبت وسائدي لأستلقي على سرير صغير كنت أعده ككنبة لنوم أي ضيف بصالة الشقة وبمجرد أن وضعت ظهري على السرير الصغير في الصالة رحت في سبات عميق لأحلم أحلامًا متداخلة شديدة الغموض، وشعرت أثناء نومي بشيء غريب جدًا.

■■■





أثناء نومي تحدث أشياء لذيذة.

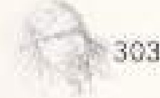
فبينما يتقلب الإنسان في نومه يصحو بشكل جزئي ليغرق مرة أخرى في السبات، ولكن للحظة هل هذا حقيقي أم أنني أحلم أم أنه الحقيقة البشعة أم ماذا؟

من عادتي في نومي أن أحتضن وسادة كبيرة الحجم نوعًا ما، فهذه عادتي منذ الطفولة، لا بد أن أحتضن وسادة أو بطانية مبرومة أو ما شابه، ومن الطبيعي أن أتقلب في نومي، وكانت والدتي تضحك مني ساخرة وتخبرني بأن منظري وأنا أرفع الوسادة الثقيلة من يميني إلى يساري مثير للقهقهة وكنت أنظر لها بخجل قائلاً بأن النوم لا يأتيني إلا وقد استراح جانبي العلوي وأستند على شيء لدن به من الطراوة ما يجعلني أبسط ذراعي عاليًا وأمرق في بحار أحلامي بلذة ومتعة مندفعًا إلى العمق بكل رضا.

وطبعًا أخذت هذه العادة معي من بيت أمي ودائمًا وأبدًا لا بد من أن أحتضن وسادة كبيرة أثناء نومي، وحين تقلص جنبي الشمال استدرت إلى اليمين وأنا أحمل معي وسادتي أم أم أنها الآن شيئًا آخرًا؟!

شيئًا أثقل ولكن ليس إلى درجة عجزي عن حمله، شيئًا لدن حريريًا شديد الليونة أحسست بأنني أحتضنه ولا أحمله، وكأنه ملصوق بصمغ سائل يسمح باحتكاك زلق فيما بيننا ولكن لا ينفصل.

ففي حضني الخاص تتلاحم معي امرأة أربعينية أضخم مني مرتين على الأقل وقد احتضنتني كالرحم عندما ينقبض على جنينه، فكان انقباضها على جسدي الشاب القيافيء لحانيًا في بطانته أشبه ما يكون



بالمخمل أو القطيفة انقباضًا حميميًا يحولك لرضيع يستمتع بضمه لصدر أمه ويعتبره مسكنه من المهد إلى اللحد، فعلاً مع هذا الوضع المريح كليًا لي تحولت لرضيع يغفو في رضًا في حضن تلك المرأة الهائلة التي نسيت أن أصفها لكم، فهي ضخمة الجسد وكان الفرق بين حجمي وحجمها كالفرق بين شاب يافع على أعتاب المراهقة ورجل في الأربعينات كامل الرجولة، ولكني اعتبرتها كضخامة الفراش بالنسبة لطفل صغير.

فالصدر منفوخ عامر بعطر الرغبة نفسه وخصر ليس بالنحيل ولكنه قد صب تمامًا من عجين متماسك وارتفع ردفاها كسرج الخيل بينما امتدت ساقاها مسحوبة بأظفار طويلة في القدم كالمرآة، ترى وجهك فيها وأنا في وسط هذا كله ألهث وأحتقن بسعادة فوارة.

فأنا فرح جدًا بها وطبعًا ما دمت جنينًا فأنا شره جائع لا أعطي فرصة للتفاوض فلا بد أن تُسد فتحة فمي بثدي أمي وبما أنني أيضًا رضيع يأكل في تلذذ فمن حقي أيضًا أن أذ أن أن أفعلها على نفسي وتتكفل أمي بتنظيفي لاحقًا وقد فعلتها مرارًا، والغريب أنها راضية عني بل وتستحثني على المزيد، وأستمر في نومي متلفيًا في هذا الدفء المخملي مغمض العينين لاهث الأنفاس متشنج الوجه بين وقت وآخر وبينما أفتح عيني بين وقت وآخر أبصر أشجان- تلك الطفلة الرائعة- تبتسم في سعادة بينما تمسك بها امرأة في العشرينات بسعادة وتلوح لي أشجان مودعة لأعاود احتضان تلك البارجة الحربية الهاربة من خليج الشياطين ويسدل شعرها الأحمر الناري على وجهي ومنسابًا من الفراش الصغير الضيق وكلما بللت نفسي نظرت المرأة في عيوني واحتضنتني وقد

رميت برأسي على نهديها العظيمين بينما أسمعها تنتحب وتبكي كما يفعل الأحياء مع الأموات في نظرة الوداع ولكنه نحيب منغوم له جرس موسيقي رائع وكلما ازداد نحيبها كلما التصقت بصدرها الدافئ مغمضًا عيني كمن ينتظر النوم الرائع.

تذكرت كلمات بعيدة قالها رأفت ولكنني لا أملك التركيز الصافي لأعرف ماذا كان يقول.

ماذا قلت لي يا رأفت لقد قلت لي شيئًا عن العشق أو الحب أو ما شابه.

ولكنك لا تدرك أبدًا يا رأفت كم هو الموت ـــــــــــــــــيد.








لزيارة
الجروب
على
الفيسبوك
اضغط هنا

20

عشيقتي الضخمة



يقترب الشيخ رأفت من باب العمارة بوجهه المريح الصافي وذقنه الأنيقة وقد ارتدى جلبابًا أنيقًا بلون بيج واعتمر عباءة بلون بني وبدا وكأنه أتى لتوه من صلاة الجمعة حيث يتمخض الناس بالأناقة المحببة للصلاة يتوقف قليلاً أمام الباب الرئيسي ريثما يخرج مجدي ويفتح الباب مرحبًا ببشاشة ملامحه الدقيقة ليدلف إلى شقة أم ناهد التي كانت تقف في الصالة مرحبة ثم دخلت للمطبخ لإعداد واجب الضيافة للرجل المهم فهو من حصن أهل العمارة من تلك الأهوال وبعد طول معاناة، والآن يجيء خصيصًا لذلك الوافد البريء، الذي يعتبره ضحية مباشرة لتلك القوى الشريرة في المنزل.

وشخصية الشيخ رأفت أو الأستاذ رأفت كما يحب أن يناديه الجميع تجمع بين رجل العلم والباحث في علوم الروحانيات ومس الجن للإنسان؛ لهذا كان يمارس رأفت عمله كهواية محببة له خصوصًا عندما تتفاقم الأحداث، فموهبة رأفت كانت منقوصة يدعمها بالعلم والمعالجة الطارئة بالقرآن الكريم وكثيرًا ما كان يشترك مع القساوسة أنفسهم ليعرف أكثر في علوم الجن والمس الشيطاني بكل صدر رحب وبلا أدنى تحفظ.

يدخل الشيخ رأفت ويبحث بعينه عني ولا يجدني ويسأل أم ناهد عني بشكل مباشر لتخبره [illegible] أنني بشقتي الخاصة منذ الصباح

وأنني تقريبًا نائم، فيحتقن وجه رأفت بشدة ويصرخ بمجدي إذ كيف يتركوني في تلك الشقة وحيدًا؟ لترتبك الأم وتأخذ في شرح الموقف حيث إنني استقبلت صديقي صباحًا ورحل وتركني لأنام قليلاً في بيتي.

يصعد الشيخ رأفت للدور الأعلى بصحبة مجدي ليقف أمام الباب صامتًا بينما تقف الأم على السلم الداخلي وقد بدت قلقة متوترة من توتر ذلك الرجل الوقور، يدق رأفت جرس الباب بإلحاح بينما أنا في عالم آخر.

وقبل ذلك بقليل كنت قد استيقظت على شعور عارم بالعطش، فحلقي يابس كأنه شارع أو نفق قد تم رصفه بالأسفلت الحارق بالإضافة لشعور عارم بالكسل وضيق الصدر، ذلك الكسل الذي جعلني أنزل بقدمي للأرض ببطء شديد كالمصابيح، وكانت شقتي غارقة في ظلام الليل الذي تفضحه أضواء الشارع المتسللة عبر النوافذ المغلقة، ومشيت للثلاجة غير البعيدة عن الفراش وفتحتها لأتناول جرعة غير قليلة من المياه الغازية، رفعت الزجاجة إلى فمي الجاف وتجرعت بقوة وبصوت مسموع شاعرًا بانطفاء بطيء وتدريجي لحلقي الجاف وفجأة سمعت أنينًا ضئيلاً يتعالى من خلفي، فلوحت رقبتي للخلف والزجاجة مازالت عالقة على شفتي الجافتين وعلى الضوء المنبعث من الثلاجة الصغيرة لأجد امرأة في منتصف العمر تلبس بيجامة منزلية وقد التصقت ملابسها بلحمها مخلفة آثار احتراق واندماج بين لحمها ونسيج ملابسها في عدة مواضع وتشوه نصف وجهها محروقًا ومارًّا برقبتها.

وقد وضعت يدها ضاغطة على أذنيها واقشعرت ملامح وجهها وصرخت في وجهي صرخة منغومة مصحوبة بالأنين والرفض وهي تهز وجهها يمينًا ويسارًا.

مازال السائل يندفع إلى حلقي وأنا أنظر لتلك المرأة لأشهق أثناء اندفاع المياه الغازية وتفور رئتاي بسبب اندفاع المياه الغازية إليها بسبب شهقتي لأشرق بالسائل الفوار وينتابني اختناق متحشرج بالغاز وأسقط أرضًا شاهقًا جراء الخوف وزاقرًا المياه الغازية عبر فمي وأنفي معًا؛ لأن رئتي قد أصدرت احتجاجًا شديد اللهجة لهذا التصرف المميت، ويمضي وقت غير قليل قبل أن أهدأ من نوبة السعال الرهيبة وقد ارتجف قلبي داخل ضلوعي من الخوف، فثمة وجود مغاير لذلك الوجود الأول والذي كان يحتضنني وأنا نائم.

فالوجود الأول حميم ملتصق بي أما الوجود الثاني فمنفر لأقصى درجة بل ويبعث الرجفة العارمة في أوصالي، أنظر لمكان المرأة ولكني لا أجد شيئًا تمامًا لقد تبخرت، أعيد إمساك الزجاجة لأشرب من جديد تخفيفًا للسعال وما إن وضعتها على شفتي حتى انطلق جرس الباب لأشرق مرة أخرى بالسائل الغازي ولكن بطريقة أخف وطأة من الأول وأنظر للباب مغتاظًا ومضيت لأفتح النور والباب بسرعة، احتقن وجهي ودمعت عيني من أثر السعال لأجد الأستاذ رأفت ينظر لي بتركيز شديد جدًا عبر الباب ومن خلفه مجدي وقد بان التوتر على ملامحه.

نظر لي رأفت مليًا ملاحظًا احتقان وجهي ورجفة أوصالي وابتسم مخففًا عني الارتباك وسألني بليونة أن أتبعه لأسفل فوافقت واستأذنته في تغيير ملابسي إذ كنت بملابس النوم المشعثة، فنظر لي رأفت مليًا



ودلف إلى شقتي بخطوات بطيئة قائلاً سأنتظرك هنا فنظرت له بارتباك مرحبًا بينما نزل مجدي لأسفل.

دخل الشيخ إلى شقتي وقد أضاءت النور وأرسل نظراته في أرجائها وجلس على فراشي الصغير، ودخلت أنا للحمام وقد نويت أن آخذ دشًا سريعًا لأشعر ببعض الانتعاش والإفاقة فأنا واحد من الناس الذين يرحبون بالماء البارد في الشتاء ولكن ليس بشكل دائم، تاركًا الشيخ رأفت يقوم من جلسته ويجول في شقتي بتأمل واضح، انهمر الماء البارد على جسدي المرتجف وقد ازداد ارتجافًا بفعل برودة الجو والماء معًا فالوقت لا يتسع لتسخين بعض الماء على الموقد وخرجت بسرعة ملفوفًا بالمنشفة وعلى باب الحمام أجد رأفت يقف جامدًا أمامي، فنظرت له بارتباك شديد لأنني أقف شبه عارٍ أمامه فيما عدا منشفة صغيرة الحجم مشدودة إلى وسطي، ووجدته يمد يده إلى صدري ويتحسسه بطريقة أغضبتني وانتابني الارتباك وأبعدت يده ونظرت له بغضب ليفتح عينيه على آخرهما ناظرًا إليَّ لأتجمد، ويعيد تحسس صدري المشعر بطريقة ضاغطة لم أجد في تحسسه لصدري ما كنت أظنه، ولكن ما إن تلامست أصابعه مع حلمة صدري حتى سرت انتفاضة كهربية عنيفة بيننا نحن الاثنان لأصرخ ويصرخ رأفت في نفس التوقيت، فيبتعد عني وقد تفصد جبينه عرقًا ومتمتمًا ببعض الآيات قائلاً لي أن أكمل لباسي.

أتجه لغرفتي وأرتدي ملابس رياضية مرنة مكونة من تريننج سوت ثقيل وأنزل بصحبة الرجل لشقة أم ناهد لأجدها في انتظارنا وقد علاها التوتر وتوجهنا إلى غرفة الضيوف جلسنا على الأنتريه وتبادلنا النظرات





قليلاً ليعلن رأفت بداية جلستي في التحصين كما فعل مع أهل البيت كلهم.

في البداية شعرت بأن الأمور على ما يرام وقد أمسك رأفت بيدي بقوة وشرع في قراءة القرآن بسرعة وهو يقرب فمه الناطق بآيات الرقية من أذناي في البداية شعرت بانزعاج خفيف بسبب الطريقة الملحة التي يصب بها آياته القرآنية في مسامعي وهو مستمر في التلاوة بطريقة صحيحة مركزة ومنغومة بجرس القرآن نفسه.

لماذا أشعر بكل هذا النعاس والتثاقل في أجفاني أريد أن أناااااااااااااام وتثقل أجفاني وتبدأ في السقوط لأسفل طالبة النعاس لأفاجأ بصفعة شديدة على خدي الأيسر من يد رأفت الغليظة لأفتح عيني بقوة لأجده وقد قفز جالسًا بجانبي ويطوقني بقوة مستمرًا في تلاوة تلك الآيات المنفرة.

نعم لقد سمعتها منفرة مبتذلة مستفزة لغضبي ومقتي وهو مستمر في القراءة وقد أحسست أن مخي يفور من الضجر وبدأت مقاومتي ليتكالب هو ومجدي مكبلا إياي بإحكام.

لماذا يتدخل هذا الرجل الكريه فيما لا يخصه؟! ولماذا يبدو وجهه قذرًا منفرًا إلى هذا الحد؟! إن مجرد النظر إلى وجهه الكريه يجعلني أعتبره عدوي اللدود، وبكل مقت الدنيا وكراهية الغضب صرخت في وجهه أن يصمت (نقلاً عن أم ناهد التي وصفت أن تامر قد استدارت عيونه وملأها السواد دون بياض تقريبًا واستطالت رموشه بطريقة ملحوظة وقد تلوى في خلاعة النساء- يا انهار اسود- وتمطى وتثاءب كثيرًا بينما الشيخ يصرخ بآيات ال... منتهى الإصرار ثم استكان جسد

تام تمامًا تحت ضغط تكبيل الشيخ ومجدي له وانطرح على الأريكة ناظرًا إلى رأفت في صمت عجيب).

نعم صرخت في وجه ذلك الرجل القمي، رأفت بأن يصمت ويبتعد عني ثم شعرت بزيارة خاطفة لتلك المرأة الضخمة وقد برزت أمام عيني متجسدة وسط الحجرة ووضعت يدها على أذني وابتسمت في دهاء شديد ناظرة إلى عيني بتركيز وقد تحركت عضلات وجهها بحزن وأصدرت همهمتها الحزينة الباكية.

استراحت أعصابي وأنا أسمع صوتها الناحب المنغوم بإحساسي وقد سدت يداها الغليظة أذني عن طرق ذلك الكريه اللزج رأفت، وفيما نظرت له وجدته يمارس التلاوة بصوت متقطع بعيدًا عن إدراكي المنتظم تمامًا مع تلك المرأة الضخمة حمراء الشعر وقد تصبب وجهه عرقًا ولهث بقوة كمن يصعد دوجًا عاليًا.

انتهى رأفت من التلاوة ورفعت المرأة يدها الغليظة عن أذني واختفت عن نظري، يرجع رأفت ومجدي لوضعهما الأول تاركين جسدي المنطرح على الأريكة أخيرًا.

تنظر الأم لرأفت بحيرة وقد بان الإرهاق الشديد عليه بينما استعدت وضعي بمساعدة مجدي وقد رجعت لسابق عهدي وإدراكي بالموقف واشتعل فضولي في أن أسأل رأفت أسئلة لطالما دارت في ذهني، ينظر لي رأفت بيأس مستتر وقد شعر بالإحراج من نظراتنا إليه، وأوضح أن الأمر قد يكون خطأ وأنني سليم لم يمسني نفر من الشياطين، نظرت له معاتبًا فنظر لي نظرة ذات مغزى قاتلة.



-كل ابن آدم خطاء.

فقلت له بمكر شديد لم أعرف سببه:

-أريدك أن تخبرني عن العفريت الذي رأيته في شقتي؟

وإليكم بعضًا من تفاصيل ودور رأفت نفسه.

■■■

عرفت منه أن ناهد كانت مستهدفة من شيطان من الجن اسمه الطيار وهو من كبار هؤلاء الشياطين ويحكم عشيرة ضخمة من سكان الخرائب والمقابر من الجن، وأنه استجلب طفلة من أطفال الجن لتحل محل مولود ناهد والتي تعرفها باسم أشجان، وأن أشجان هذه من أطفال الجن المسمون بالزعارير يستخدمهم الجن كمبعوث الحب للإنسان ويجبر الجن (ذلك الطفل الزعرور على جلب المحبة في قلب الإنسان فلان وإلا لن يرجعه إلى أمه) ويقوم الجن الطفل بدوره ليقرب الجن من الإنس، وأن الطيار كان يعشق ناهد ويحاول بكل الطرق أن يبعدها عن أهلها وأولادها كي يستبقي بها لنفسه، وهذا هو سر ابتعاد ناهد في سنواتها الأخيرة عن زوجها وأولادها، ولكن أين ذهب الطفل المولود؟!

فيقول رأفت إن الطفل الذي تم استبداله يأخذه الجن إما ليربيه مكان طفل الجن أو يقتله، وأن الجن الطفل يكون مرتبطًا بمكانه لا يبرحه حتى يأمره الجن الأكبر بالعودة، وأن الشقة كانت تعتبر ساحة مطاردة أبدية بين شبح أو قرين ناهد وبين أشجان نفسها بدافع الانتقام، وقد حضرت تلك المطاردة بينهم في أول تلك المذكرات كما حكيتها

لكم سالفًا، بقيت أشجان طوال الخمس سنين محبوسة مع شبح ناهد في الشقة، إلى أن استأجرت الشقة وأدركت أشجان أن الفرصة سانحة للعودة إلى أمها باستجلاب إحدى نساء الجن لتعشقني أنا الذي يسكن وحده، وأن الفرصة متاحة تمامًا لحالة العشق، وبالفعل عشقتني إحدى نساء الجن، واسمها- نائلة- هي جنية من عشائر الجن المحب للغرام والجنس وبعضهم يحكمهم جن مخنث ثنائي الجنس، وأن نائلة ذات حسب ونسب لملك العشيرة نفسها، وتمت الصفقة ولكن شبح ناهد يرفض تمامًا هذه الصفقة ويحاول أن يخرج نامر من الشقة بهذه الطريقة المرعبة، وقد افترض رأفت أن الجزء الأخير من التفسير على نسبة كبيرة من الخطأ لكي يداري إحراجه وعجزه في إخراج تلك الجنية الضخمة من جسدي - ذلك كلام رأفت نفسه فيما بعد.

■■■

انفضت الجلسة وأعلن رأفت أنني سليم لا تشوبني شائبة وصعد ليتمتم ويطلق بعض البخور في أركان شقتي، وفي أثناء تجوله في شقتي وهو يطلق البخور ويرش الماء المعد خصيصًا لهذا الغرض ألمح بطرف عيني ناهد تجري مغادرة المكان من البلكونة.

تهدأ نفوسنا وقد أخذ كل منا نصيبه من الموضوع وتركتني أم ناهد ونزلت بعد أن طمأنها رأفت بأن كل شيء على ما يرام وها أنا مجددًا أقف في شقتي التي طهرها رأفت من شبح ناهد وقد غمرني شعور بالارتياح ولكنه ارتياح غامض لم أر له آخر.

فأنا لا أشعر الآن بأي خوف أو نفور من المكان وبالرغم من ذلك الحدث الشنيع الذي مررت به إلا أنني الآن أشعر بهدوء وتقبل للأمر بطريقة أذهلتني أنا شخصياً، وتخبطت الأمور في رأسي وعاودني إحساسي بالفتور والكسل الشديد وبأنني أريد أن أستلقي على فراشي وأحببت وحدتي جداً وبالفعل رحت أتمطى وأتثاءب بتشنج المحتاج للراحة كما زارني إحساس بالشبق الجنسي المفاجئ وبين شعوري بالكسل وإحساسي بالهياج وجدت نفسي منطرحًا على فراشي الكبير مجددًا بعد أن رتبته من هجوم ناهد السابق الآن هو فراش وثير عريض أتمطى بعنف طاردًا البقية الباقية من تركيزي واستيقاظي وتثاقل أجفاني كما لو كانت تزن طنًا من النعاس، أحتضن وسادتي بتركيز وأذهب بعيدًا في استرخائي لأجد رفيقتي الضخمة تحتل مكان الوسادة الحبيبة تلبس الحرير الأسود الغني وقد خرج ثدياها مرحبين وقد تغير لون شعرها للأسود وفي تلذذ وشوق كبير استرخى جسدي في أحضان ذلك الجسد الدافئ، أعاود الكرة في فعل الأعاجيب وقد انطلق خيالي متصلبًا يشق سحبًا من الرطوبة الدافئة كالرمح، وأسمع ذلك النحيب المنغوم مرة أخرى كأغنية مفضلة بل الغريب أنني بدأت أتمطى بحركات إيقاعية على ذلك النغم وأتلوى كراقصة عمياء تهتز في معبد قديم على إيقاع الطبول البعيدة وزادت نشوتي وضربت بقوانين النمو عرض الحائط لأرجع جنينًا لاهثًا يسبح في رحم اللذة نفسه.

وأنا أعلن مع كل ارتعاشة راقصة أنني أزداد جوعًا وتهمًا لمزيد من الاحتكاك الحريري حيث معدل المقاومة صفر وألمح عيني المرأة الجهنمية تتلون بالأحمر [illegible] إلى حيث باب الشقة نفسها

وتتصلب ملامحها منذرة بعاصفة أكيدة وأنا أنظر لها برهبة كما أنظر للموتى وقد خبت نيراني بفعل أمطار الصقيع المفاجئة وبعد لحظات من التصلب يرن جرس الباب بقوة معلنًا قدوم زائر ليلي نسيته تمامًا.

إنه صديقي اللدود خالد وقد أتى كما وعدني لتناول العشاء والثرثرة والاطمئنان.

تصرخ المرأة الجهنمية بسخط وغضب وقد انقلبت ملامحها لتحل ملامح تيسية غاضبة وتنهض من فوقي وتنطلق في غل عاصف حيث باب الشقة وبقيت أنا متصلب متوتر أخشى على صديقي العزيز من بطش تلك الشيطانة وراح عقلي يدور بسرعة الصاروخ.

يخرج خالد سلسلة مفاتيحه ساخطًا وقد وضعت لفة الخبز من يده ويبرطم بأشياء تخص التوعد لشخصي المسكين ويدخل المفتاح في ثقب الباب ولكنه لا يدور ويعيد الكرة مرة أخرى بينما ذراعه الآخر مزحوم بحمل عشائنا في اللحظة التي يدور فيها المفتاح من الجهة الأخرى من الباب ليمنع فعل مفتاح خالد في الفتح وأسمع خالد يعاود الضغط على الجرس مناديًا بصوت خفيض حتى لا يزعج الجيران في هذه الساعة المتأخرة، وأنا مازلت ناظرًا للباب في ذهول غير قادر على الحركة، جرس الباب يدق في إصرار وأنا أشاهد تلك المرأة تقف بتحدٍ وغضب ناظرة للباب المغلق- يا ربي ما زلت أتذكر تلك التفاصيل وأنا أرتعد- يصمت جرس الباب فجأة ويسود السكون فتنظر لي المرأة بانتصار معلنة استئناف الطيران في فراغ المتعة في الوقت الذي دفع صديقي بالمفتاح بقوة وضغط شديد ويديره لينفتح الباب فجأة ويدخل خالد بعصبية للشقة ليجدني حالمًا على الفراش أحملق بخوف فيما



وراء ظهره، يتهرني بعصبية ويضع لفافات العشاء على المائدة ومن الواضح أنه لا يرى تلك المرأة الهائلة خلفه تنظر له في غل وقد تبدلت ملامحها تمامًا بفعل غضبها وسخطها من مجيئه:

- إنت نايم على ودانك؟

أنظر له بتوتر بينما يواصل الحديث:

- كل ده مش سامع؟ انطرشت ولا إيه؟

- يا لا قوم فز من السرير وإنت عامل زي اللي لسة والده كده وصحصح عاوز آكل هموت من الجوع.

يواصل خالد إصدار تعليماته بينما المرأة تتحرك وراءه ناظرة لرأسه وقد أوشكت على سحقها، رباااااه إن الفرق في الحجم واضح جدًا بالرغم من أن صديقي أكثر طولاً وعرضًا مني، أنهض من فراشي وأنا أتحاشى النظر إليه وأذهب من فوري للحمام لأغتسل مرتبكًا صامتًا، وقام صديقي بفك لفائف العشاء فانطلقت روائح السمك المقلي والجمبري الذكية والتقط بيده واحدة ودسها في فمه وهو مازال يتكلم.

عدت من الحمام مبتلاً ونظرت له لأجد أن المرأة اختفت، بحثت عنها بعيني في حين يتأملني صديقي باستغراب:

- ما لك؟

يصرخ صديقي في وجهي ليرجعني فورًا إلى عالمه هو فأنظر له بارتباك وقد استعدت بعضًا من حيويتي وأقول له بغضب مصطنع:

- إيه الغاغة اللي إنت عاملها دي؟ ما تخرس شوية أنا لسة صاحي من النوم.





ثم أنظر للطعام وأعاود لهجتي الهجومية المفاجئة:

- وإيه اللي إنت جايبه ده؟ سمك؟

..مجبتش ليه حاجة تليق على الممبار بتاع الصبح؟

نظر لي صديقي بعدم فهم مطلق وعاود المضغ ولم يعلق.

جلست أمامه لأتناول معه العشاء صامتًا بينما ينظر لي صديقي بتأمل وهو يزدرد طعامه في نهم وبفم محشو بالسمك يقول لي:

- إنت ياض فيك حاجة مش مظبوطة وحكاية إنك تختفي فجأة كذا يوم معناها إنك كنت بتعمل مصيبة على دماغك.

أنا لازم أعرف كل حاجة لحسن هخرب بيتك.

أتظاهر بتناول العشاء وأمعن في غيظه ولا أرد عليه جوابًا شافيًا.

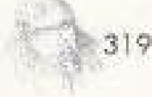
ينظر لي بغيظ ويرمي في طبقي بكبشة جمبري قائلاً:

- بلاش ترد اطفح الجمبري أبو أربعين جنيه خسارة في جتتك ده أنا جايبه من أسماك الدقي عشان خاطرك - خسارة في دهنك.

التقط واحدة عملاقة وألوكها بشرود بين أسناني وهو ينظر لي بغيظ محبب إلى نفسي جدًا!!

ننتهي من تناول العشاء ويقوم صديقي ليغسل يديه ويطالبني بعمل الشاي ويشعل سيجارته المحشوة بتلذذ

تركت المائدة كما هي في كسل غير معروف عني وذهبت لأغسل يدي وأملأ براد الشاي وأضعه على الموقد كما قمت بإشعال بعضًا من قطع الفحم تمهيدًا لتدخين الشيشة التي طالما حرمت منها.





خرجت للصالة لأجد خالد واقفًا أمام التليفزيون يقلب في شرائط القيديو:

- تمورة يا عسل عايز أتفرج على فيلم رعب حلو كده.

أنظر له وأبتسم إبتسامة شريرة وقد لمعت عيناي في نشوة وضحكت:

- يا سلام يا لولو؟ أحلى فيلم رعب عشان العشرة الجامدة دي.

وأدخل مرة أخرى للمطبخ لأكمل إعداد الشاي وأخرج بكوبين رائعين منه وأضعهم أمام صديقي الذي جلس أرضًا وقد خلع حذاءه وتخفف من ملابسه الشتوية ونظر إلي وابتسم وقرب طرف سيجارته المحشوة من فمي لألتقطه متحديًا، وأسحب منه عدة أنفاس وتنتابني نوبة سعال شديد ليغرق صديقي في الضحك وهو يراقبني بتلذذ متشفي.

- والله إنت عسل يا طوط زي العيال الصغيرة بالظبط دماغك جزمة وقلبك قلب خصاية هههههههه

أنظر له وقد دمعت عيناي وتلاهثت أنفاسي ثم عاودت سحب المزيد من الأنفاس في تحدٍّ أكبر.

ينظر لي بتوتر فأعيد له سيجارته فيرفضها ويبرز واحدة جديدة هائلة الحجم:

- شكرًا مني ليك بس إنت خلصها.

أعود للمطبخ وقد ماجت الدنيا في ناظري بفعل تدخينها وشعرت باستخفاف شديد لكل شيء وابتسمت رغمًا عني، انتهيت من سيجارتي تمامًا وقمت بإعداد متقن لنارجيلتي العزيزة وعدت أجلس أرضًا حيث



صديقي لا يزال يمتص دخان سيجارته في جشع وينظر لي بعيون غائمة قائلاً:

- بقولك شغلنا فيلم رعب حلو كده بس يكون فيه مشاهد سكس زي الفيلم بتاع البت الشقرا دي اسمها إيه شارون ستون، شفت عملت إيه في الراجل دبحته وهي راكبة عليه منظر ابن وسخة جامد أوي أوي.

أنفجر ضاحكًا بهستريا ويبادلني صديقي الضحك بدون فهم، وأقوم من فوري لأدير الفيديو على فيلم ليلة الأموات الأحياء وبينما أعود لجلستي أرى مشهدًا لن أنساه ما حييت، فعلى المائدة القريبة تجلس المرأة الهائلة وتزدرد بجشع أشواك وقشور السمك بطريقة وحشية بينما تجلس أشجان كالقطة تحت قدميها الهائلتين في انتظار أن تلقي لها ببعض الشوك، تأكل المرأة كالذئاب، والغريب أنها لا تمس السليم من الطعام، فقط البقايا فقط الأشواك القاسية والقشور الجافة، وأشجان تمسك بساقيها باستعطاف وذل شديد لتركلها المرأة بقسوة في وجهها لتقذف أشجان بعيدًا عن ساقيها المدملجة لتعود مرة أخرى في استعطاف شديد كقط جائع منتظر.

وتواصل الضخمة الأكل بنهم غير عادي، أنظر لخالد صديقي فأجده في عالم آخر وقد سمر نظراته على التلفاز يراقب الفيلم في غيبوبة منتظرة.

انتهت المرأة من طعامها وألقت ببعض الفتات لأشجان كما ظهرت فجأة رحلت أيضًا فجأة، أمسك بالريموت الخاص بالتلفاز وأسكت الصوت وأنظر لخالد وأقول بصوت [illegible]كة على البكاء:

اعتراف أخير ألفظه خارج رئتي المحشوة ببخار الحشيش.

- خالد ...... الشقة دي مسكونة!!

ينظر لي صديقي لبرهة ليجد عيني محمرة ذاهلة بسبب سيجارته اللعينة ثم ينفجر ضاحكًا بهيستريا.

أواصل الكلام:

- صدقني يا خالد والله مسكونة بعفاريت وجن وبلاوي زرقه.

يواصل صديقي الضحك قائلاً بلهجة المساطيل:

- هي كفاية إنك إنت اللي ساكنها.

أضحك في وجهه.

- مش مصدقني؟ هه؟

- لا مصدقك جدًا يا كداب.

ويمد يده إلى الريموت ويعيد الصوت على مشهد تأكل فيه امرأة من الزومبي رجلاً حيًّا صارخًا مرتعبًا

ويفتح عينيه في إثارة، وفجأة ينقطع التيار الكهربي ويسود ظلام ثقيل لا يكسره سوى جمرات الفحم، يبحث صديقي عن قداحته وهو يرطم بسخط:

- إيه النكد ده فين الولاعة؟

ويمد يده يبحث بتركيز وهو يقول:

- أدي سيرة العفاريت والبلاوي دي يا نحس.

يجد قداحته أخيرًا ويشعلها ليبدد الظلام جزئيًا وينظر ناحيتي قائلاً:

- ارتحت إنت كده؟

ثم يوجه يده ليبحث عن سجائره.

يخرج واحدة ويضعها بين شفتيه ويقرب القداحة لوجهه ليفاجأ بوجه مريع ينظر له من خلال لهب القداحة نفسه، وجه نائلة الحقيقي المشعر مغلفًا بظلال اللهب المتراقص، يتصلب صديقي التعس كثيرًا وناظرًا للوجه الشيطاني الذي يحدق فيه من خلال اللهب، يعرق بكثافة عرقًا باردًا تتسارع أنفاسه وقد سمعت لقلبه دبيبًا عالي الصوت.

ثم يصرخ ويلقي بالقداحة بعيدًا ليسود الظلام والصمت بينما يصدر صوتي مرتعشًا:

- مش بقولك وإنت مش مصدقني .. الشقة مسكونة يا لولو.

تمت






لزيارة
الجروب
على
الفيسبوك
اضغط هنا

انتظروووووووا

لماذا لم تسألوني عن ليب؟ وماذا حدث لي بعدها؟

لقد رحل ليب عن الحوش حاملاً أموالاً ونفوذاً شيطانيًا بلا حدود، بينما رحلت أنا لشقة أخرى في وسط البلد حيث كنت ...... عفوًا ولكن هذه مذكرات أخرى في قصة أخرى.

تــامــر عطــوة






لزيارة
الجروب
على
الفيسبوك
اضغط هنا

الفهـرس





شقة الهرم (حكاية حقيقية)

هكذا قدم تامر قصته لنا - نحن أصدقاءه - على الفيسبوك، وسعدنا بأننا أول القراء الذين اطلعوا على هذا الكتاب، والشعور بسروري الخاص عندما أفرح بأنني كنت الأولى؛ حيث راسلني تامر على بريدي الخاص بأول فصول القصة. أعجبت بطريقة السرد، وشدتني الأحداث، وأخبرني تردده في نشرها، ربما ينشرها تباعًا، وعدد القراء تزايد وتفاعلهم مع الأحداث يتصاعد، ومطالبهم بالمزيد تصحب إلحاحًا.

والسر في ذلك أن القراء تملكهم الرعب الحقيقي من الأحداث، وتساءلوا طوال الوقت: أيمكن أن يكون هذا واقعًا قد حدث؟! إسعاد يونس



شروط قراءة الرواية لتحقيق أكبر قدر ممكن من الفزع المطلوب لكل هواة قصص الرعب. فلا مجال لدينا هنا للمزاح

بنود بروتوكول القراءة

1. لا بد أن تكون القراءة في ساعة متأخرة من الليل حيث السكينة والهدوء.
2. لا بد أن تكون بمفردك.
3. صفاء الذهن وإغلاق الباب خلفك.
4. إعداد مشروب ساخن يعينك على القراءة.
5. الاستماع إلى موسيقى ترافقك.
6. إغلاق الهاتف المحمول والإنترنت.
7. الاستعداد بكامل الطاقة كدفعة ...
8. تكرار قراءة المقطع الذي تستشعر قوة تأثيره وتلتذذ بتفاصيله وتخيله.
9. الشعور بالقلق والتوتر، وهذا حقك، ولن تحصل على قلقك هذا!!
10. أن تتخيل نفسك مكان أبطال العمل في كل موقف على حدة.
11. أن تكون الإضاءة العامة خافتة والضوء الأساسي مسلطًا على صفحات الكتاب.
12. ألا تفكر أنك خائف، وأن ترحب بكل مشاعر التوتر القادمة.
13. ألا تبدأ قراءة الرواية في الصباح أو طوال النهار التالي.
14. إذا حدث أمر طارئ ولم تكمل القراءة فابدأ من أول الفصل الذي توقفت في أحداثه.
15. ألا تتوقع الأحداث مهما بدت لك مألوفة.
16. أن تصدقني وتحترم قيم العلم الذي اعتاد ... رائحة.

وأخيرًا، لا بد أن تتم قراءة هذا الكتاب بشكل سري تمامًا، وألا تحكي تفاصيلها أيضًا للآخرين، بل يجب عليك أن تصدمهم بها حتى وإن طلبوا منك أن



تحكي لهم، انصحهم بالقراءة؛ ليكتشفوا ذلك بأنفسهم.

كل نسخة من هذا الكتاب تعتبر صاحبها المحب، وهو أول من فض غلافها وفتح أول صفحة فيه، فهي اختبار حقيقي لشجاعتك وخيالك الجامح الخطر.

ولا مجال للتصويت أو التقييم؛ لأن روايات الرعب خاصة الحقيقية منها تحمل أبدًا الدكتاتوري المؤلف، والذي لا يقبل الجدال أو حتى مجرد النقاش العادي.





تصميم الغلاف



